الفكر القومي

اسلامياً وتاريخياً

تأليف

نجاح عطا الطائي

معاونية الرئاسة للعلاقات الدولية

في منظمة الاعلام الاسلامي

بسم الله الرحمن الرحيم

الفكر القومي

اسلامياً وتاريخياً

تأليف
نجاح عطا الطائي

١٣٦٠
سازمان تبليغات اسلامى

معاونيّة العلاقات الدوليّة
في
منظمة الاعلام الاسلامي

الكتاب: الفكر القومي اسلاميا وتاريخيا.

المؤلف: نجاح عطا الطائي.

الناشر: معاونية العلاقات الدولية في منظمة الاعلام الاسلامي.

الجمهورية الاسلامية في ايران. طهران ص.ب: ١٤١٥٥/١٣١٣

المطبعة: سپهر. طهران.

التاريخ: الطبعة الاولى ١٤٠٦ هـ /١٩٨٦ م.

طبع منه: ٥٠٠٠ نسخة.

مقدمة الناشر

القومية: هي الهدية الاستعمارية التي قدمت للتعويض عن الرابطة العقائدية الأصيلة التي كانت تشد العالم الاسلامي الى بعضه البعض من جهة والى أهدافه السامية من جهة أخرى. إلاّ ان الخطط الاستعمارية عملت على تمزيق القاعدة الرئيسة واستبدالها بقواعد أخرى: كالقومية، والوطنية، واللغة، وأمثال ذلك تنفيذاً لذلك المخطط الرهيب.

وهكذا وجدنا بعد مدة قصيرة أن هذه الفكرة تسري سريان النار في الهشيم و يتبجّح الزعماء بحملها والدفاع عنها.

فلكي نقف على حقيقة هذه الفكرة و آثارها؛ نقدم هذا الكتاب راجين ان يحقق الغرض والله الموفق.

معاونيّة العلاقات الدوليّة

في

منظمة الاعلام الاسلامي

مقدمة المؤلف:

ان المشاكل التي اوجدها المستعمرون للعالم الاسلامي كانت من الكثرة بحيث شملت مختلف مجالات الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية، ففي الجانب الاقتصادي جعلوا من البلاد سوقا كبيرا لمنتوجاتهم ومن خيراتها مواد اولية لصناعاتهم... وفي الجانب السياسي عملوا على ايصال مجموعة منفذة لسياستهم واهدافهم الى كراسي الحكم في البلدان الاسلامية لتحكم بلدانها بدلاً منهم.

وفي الجانب الاجتماعي عملوا على نشر الفساد والتهتك والخلاعة و بث الفرقة والانقسام بين فئات الشعب المسلم مما ادى بهم الى التشرذم والتناحر.

وقد كانت هذه المحاولات ثانو ية اذا ماقورنت بالهجمة الفكرية الرئيسة. فمنذ فشل الحروب الصليبية ورجالات الغرب يدعون للغزو الفكري بدلا من الغزو العسكري... فوضعوا مبدأهم القائل: ان النجاح في المجالات الاقتصادية والسياسية مرهون بالنجاح في المجالات الفكرية.

لذا فقد بدأت طلائع الغزو الفكري ــ متمثلة بالمستشرقين ــ تصل الينا قبل وصول الفرق العسكرية بعقود طو يلة...

وكان هدف تلك الطلائع هو تهيئة الارضية للسيطرة السياسية والاقتصادية... فلم يكد يمضي قرنان على تلك الهجمة الثقافية حتى

وصل الى سدة الحكم في العالم الاسلامي عملاء الاستعمار ممثَّلين بزعماء الاحزاب والقيادات العلمانية والقومية.

ولما كان الاسلام هو الخطر الرئيس على الاستعمار فقد ركز الاخير هجماته على العقيدة والتراث والشريعة والقيم الاسلامية.

ففي مجال التراث الاسلامي سعت فلول الغرب الى نهبه نهبا وجعلته خلال عقود معدودة، هباء منثورا.

وفي مجال القيم الاسلامية عملت على احلال مباذل الغرب محلها فجاءت بالخمور ونشرت الفجور لتعيد تجربتها مع مسلمي بلاد الاندلس.

اما العقيدة الاسلامية: فقد شككت كتب المستشرقين وعملائهم بها و بالقرآن المجيد و بأصولها الفكرية والأدبية، وسعت من جانب آخر الى نشر الفكر العلماني والعقائد الغربية، باسم الحضارة والتطور الغربيين، ومثَّلَ الفكر القومي العنصري النسبة الاعظم من ذلك الغزو فتأسس حزب الاتحاد والترقي في تركيا قالِباً الموازين الاسلامية فيها، ثم تبعته الاحزاب والمنظمات القومية العربية التي أخذت تنادي بالوحدة والعقيدة القومية...

وفي هذا الكتاب بالذات سعينا الى تتبع ذلك الغزو القومي في جذوره وانحداره والأسباب التي ساعدت على انتشاره في العالم الاسلامي، والاهداف المرجوة منه.. لنعطي القارئ الكريم نبذة عن الخطر العظيم لهذا الوباء الوبيل.

اما عن سبب كتابتنا في هذا الباب بالذات فهو احساسنا بضرورة فضح ذلك المذهب الغربي، المعادي للاسلام ولآمال وتطلعات الشعوب الاسلامية.

والسبب الآخر يتمثل في أننا لاحظنا بان الكُتَّاب الذين كتبوا عن القومية ورجالاتها ومبادئها هم في الأعم الأغلب من العلمانيين والقوميين المتطرفين، المنحازين بطبعهم لفكرهم ومذهبهم.

اضافة الى اعتقادنا بان مصائب العالم الاسلامي المزمنة السابقة والحالية من مثل نكبة التقسيم، وقيام دو يلة اسرائيل، واستمرار السيطرة الاستعمارية تعود الى الحركة القومية.

ونرجو من وراء ذلك السعي الحثيث مرضاة الباري جل و علا، فهو من وراء القصد.

نجاح عطا الطائي

(الفصل الاول)

الحركة

القومية التركية «الطورانية»

(١)ـ دور الكنيسة وكونت و نيتشة والثورة الفرنسية في نشوء الحركة القومية في اوربا.

(٢)ـ لماذا دفع الغرب «القومية» الى ساحة البلدان الاسلامية؟

دور الكنيسة وكونت ونيتشة والثورة الفرنسية في نشوء الحركة القومية في اوربا

تخبطات الاحداث العلمانية والقومية في ساحة الوطن الاسلامي واجتياحها للشارع العربي والتركي والايراني و.. توجب علينا النظر الى اعلى السلالم التي قذفت منها تلك الافكار والمرور بالذين ساعدوا وهيأوا اوربا لتقبل الفكر العلماني القومي من امثال «نيتشة، وكونت، والكنيسة، وسقطات الثورة الفرنسية».

ويهمنا هنا ان نلقي نظرة خاطفة على بداية القومية في منشئها ــ اوربا ــ كي نستطيع فهم الالتباسات والمؤامرات التي تجري وقائعها في فلسطين ولبنان ومعرفة اسباب نكبة الشعب العربي وتحلله من مسؤولية والزامية حل قضية الشعب الفلسطيني، ومعرفة دوافع اتجاه الانظمة العميلة لمحاربة الثورة الاسلامية في ايران بدل اسرائيل (الغدة السرطانية) فوراء كل حصاة ملعونة شيطان جائر وأيادٍ آثمة.

* * *

الديانة المسيحية رغم تغطيتها لمعظم بلدان اوربا بقيت بعيدة عن جوهرها و حقيقتها الأصيلة بعد حرف السلاطين لها و سيطرتهم عليها و تحول الكنيسة الى واسطة بين الانسان وربه.

فبعد تبوّء الكنيسة لمركزها كحلقة اتصال بين الخالق وخلقه، أخذ الناس ينظرون لها على انها يد الله في الارض... ومن ثم الصاق كل الافعال الفاسقة والكافرة والشاذة للكنيسة بالدين المسيحي.

وهذا لاينسينا الخطأ الاول يوم صُوِّرَ النبي عيسى (ع) على أنه ابن الله، والايمان بالتثليث: الأب والابن وروح القدس..

وأقوال اخرى؛ في ان الله سبحانه وتعالى يتمثل في شخص النبي عيسى (ع) اعطت الملحدين الذين ظهروا في عصر النهضة سلاحاً كبيراً لضرب الديانة المسيحية.. حيث نرى الفيلسوف (نيتشة) يقول في كتابه (هكذا تكلم زرادشت): اذا كان الله هو المسيح فان الالٰه المسيحي قد مات..!

اضافة الى هذا؛ فقد اتجهت الكنيسة للاتفاق مع الملوك والأباطرة، مقابل الشعوب البائسة المستضعفة، والاثراء غير المشروع على حسابها، الامر الذي ادى الى امتلاك خيرة الاراضي الزراعية، وثروات مالية خيالية.

وكان أغلب رجال الكنيسة لا يتورعون عن اي عمل دنيء في سبيل لذاتهم وشهواتهم، كان منهم «راسبوتين» الذي فاق في استبداده وشذوذه ارذل حكام اوروبا وافسقهم.

وعندما تمادى رجال الكنيسة في اعمالهم المنافية لكل الاعراف والقيم الخيّرة وابتعدوا عن نصوص الدين المسيحي، اندلعت الثورة ضدهم وظهر المذهب «البروتستانت» وعندما فشل المذهب البروتستانتي ايضا في السير على الطريق القويم نتج عنه بروز الافكار والمبادئ والمذاهب العلمانية والالحادية.

وقد اخذت تلك الجهات؛ تتذرع بعدم شمولية الديانة المسيحية، لمختلف ضروب و نواحي الحياة واقتصارها على الامور الروحية، مستندة في اغلب الاحيان، الى اخذ نصوص الديانة المسيحية القائلة: «دع ما لله

لله وما لقيصر لقيصر».

ولما وقفت الكنيسة، ضد العلم والعلماء واخذت تحارب نظرياتهم العلمية بقوة، ظناً منها بأن تلك العلوم سوف تفسد الدين ولكون تلك النظريات العلمية، والاكتشافات قد اظهرت بطلان و خطأ نظريات الكنيسة، حول مختلف الظواهر الكونية، فقد اعطت الكنيسة رجال النهضة الاوربية، العذر والحجة في دفن الكنيسة ودينها مع مخلفات العصور الوسطى.

فيوم بدأت النهضة الاوروبية، في بداية القرن السابع عشر وما بعده، اخذت الكنيسة تتخوف من الارتداد الى الوثنية ثانية، وهنا مزجت الكنيسة بين الايمان الديني والنظام الاجتماعي ـ الاقطاعي ـ الذي كان في طريقه الى الزوال! فأخطأت مرة اخرى.

و بينما كانت النهضة مستمرة، بقيت الكنيسة متخلفة عن الركب، تقود معركة ثقافية؛ ضد ما اعتبرته اخطاء «تحررية» و «علمية». الامر الذى ادي الى سقوطها في هاو ية الرجعية السياسية، والتناقض الاجتماعي.

وكانت تحالفاتها مع الملكية والارستقراطية والاقطاع مثيرة للتساؤل؟!

فقد تحالفت مع الملكية والارستقراطية ضد الليبرالية.. وفي القرن العشرين تحالفت مع الليبرالية ضد النظم الجماعية. عليه فمن حق الناس ان يضعوا الدين الذي تشهره الكنيسة في وجه ثورتهم ضمن القوى الرجعية!

وهذا عكس الاسلام؛ الذي دمر الأنظمة الرجعية، والحضارات المنهارة؛ و بنى نظاماً اجتماعياً جديداً.. الامر الذي ادى لأن يكون دين الشعوب المتطلعة الثائرة.

اما عن القومية؛ فلما كانت الترسبات اليونانية اللاتينية، لها

ارضية بين فئات المجتمع الاوربي المختلفة، فقد ساعدت على انتشار البذور المعادية للديانة المسيحية، ورعاية البذرة القومية والعلمانية بدلاً منها.

فقد اصبحت الصبغة اليونانية، في الادب الغربي؛ صبغة غالبة قاهرة؛ و كان الادباء والشعراء يحثون الخطى في نشر القصص المتناولة لاساطير اليونان واللا تين.. واصبح ابطال التمثيليات والملاحم عندهم، ابطالاً يونانيين ولا تينيين وتلاشت اغلب قصص القديسين وابطال الكنيسة من اعمال الادباء.

ولما انفجرت الثورة الفرنسية، تحررت اوروبا من تدخل الكنيسة في شؤونها الاجتماعية واخذت تشرّع القوانين المختلفة بعيداً عن سلطة رجالها وعيونها.. و يومها حلّ الممنوع والمباح باسم القانون محل الحرام والحلال باسم الدين.

ومنذ تلك الفترة ــ نهاية القرن الثامن عشر ــ حين انتصرت الثورة الفرنسية، ورفعت شعاراتها في الحرية والمساواة والاخاء وظهور جماعة المفكرين (الموسوعيين) اينعت الافكار القومية.

فبعد تحرك جيش نابليون؛ لاحتلال اراضي القوميات المجاورة، باسم القومية الفرنسية ــ وليس باسم الدين ــ اشتدت مسألة القومية، التى اجتاحت رياحها معظم اراضي القارة الاوربية.. فالدولة الفرنسية؛ كانت تتجه نحو توسيع رقعة ارضها ومد نفوذها نحو الشعوب المجاورة، باسم القومية، والشعوب تقاوم السيطرة الاجنبية، وتحبو للاستقلال باسم القومية، والسبب في هذا التغير هو ضياع الدين وافلاس الكنيسة.

وحول كيفية ايجاد الثورة الفرنسية للحركة القومية في اوربا نجد ان فرنسا احتفظت لنفسها فقط، بمبادئ الحرية والمساواة، وحجبتها عن شعوب البلدان التي احتلتها، وعلى رأسها المانيا حيث وجد الشعب الالماني، ان الثورة الفرنسية تتجه لخدمة الامة الفرنسية، وانها

تسعى لفرض وصايتها، على بقية الامم الاوربية، خاصة وان عامل الدين كان مفقوداً في غزوات وحروب نابليون، الأمر الذي دفع لظهور حركة قومية في ألمانيا معاكسة للحركة القومية الفرنسية المتمثلة في غزوات نابليون، اذ وقف الفيلسوف الالماني (فيخته) معارضاً للزحف العسكري الفرنسي، وانضم الى أعداء الثورة التي كان يؤيدها، حيث انتشرت محاضراته التي كان يلقيها في مؤتمراته، في اكاديمية برلين؛ بعنوان: الاعتراض على التميز، وبعنوان: ردّ الفعل امام «اختصاص الحرية والمساواة بالفرنسيين» واعلن عنوان: «الامة الالمانية» على حساب انها وحدة واقعية لا تتفكك وان لها خصائصها العنصرية والجغرافية واللغوية والثقافية والعرفية والاخلاقية وأن لها نبوغاً ذاتياً، واستقلالاً ومكانة خاصة بها.

وهكذا وجدت القومية الالمانية، التي اصبحت فيما بعد؛ اطروحة القومية في العالم . واخذ مفهوم اطروحة القومية الالمانية، يعني اشتراك القومية الواحدة في العنصر، والارض المشتركة، والتاريخ المشترك والثقافة المشتركة.

يقول آية الله الشهيد مطهري في كتابه (الاسلام وايران):

«وجدت القومية بعد فيخته مفكرين آخرين مثل: شال موراس، وبارس، اللذين اشتركا في تدوين وتنظيم الافكار العنصرية والقومية والوطنية لمختلف الامم الاوربية وتقدم (موراس) بفكرة، (الامة وحدة لا تنفصم) الى درجة ان قال بشخصية واقعية لمجموع الامة، حاكمة على ارادة الفرد وشخصيته، وافرغ هذه الشخصية الجماعية، في وجود الدولة الحاكمة، وهذه هي الفكرة التي اصبحت فيما بعد منشأ لوجود انظمة: التوتاليترية، والنازية في الألمان ونظام الفاشيست في ايطاليا».

اما الكنيسة فلكي تخسر آخر وريقاتها ـ بفعل الطريق الانحرافي ـ الذي خطته ـ فقد اتجهت للتحالف ـ في شخص احد بابواتها ـ مع نابليون، السلطان الجائر، الذي لاقت الشعوب المجاورة لفرنسا من ورائه

الدمار والخراب!

ففي حين كانت الكنيسة تعمل على احراق نفسها بنفسها وتتجه بسرعة جنونية نحو الهاوية، كانت الدعوات القومية والالحادية تثابر وتجد لأخذ مكان الكنيسة... ودون شعور اتجهت طوائف كثيرة من الناس، نحو عبادة الاوثان ثانية، يوم آمنت بفلسفة (اوجست كونت) الوضعية التي تهدف الى، (الانسانية الشاملة) او الجماعية والتي تمثلت في العنصرية والنازية والفاشية.

وقد تبع (كونت) الذي ظهر في النصف الاول من القرن التاسع عشر (فردريك نيتشة) الذي نشر افكاره الالحادية التي كتب اغلبها في ايام مراجعاته لمستشفيات الاعصاب في النصف الثاني من القرن التاسع عشر. وذلك الاستمرار لمنهج معارضة الدين هو الذي دفع بعد ذلك الى بروز الافكار الشيوعية.

وهكذا نرى ان القومية قد نتجت عن اخطاء الكنيسة، وعدم شمولية الدين المسيحي، والتأثر العميق بالفلسفة اليونانية، وانحراف الثورة الفرنسية اذ قال عدد من مفكرى اوربا عن القومية بأنها رد فعل سلبي للثورة الفرنسية.

وحول مسألة انتقال القومية الى العرب، فليس هناك شيء ايجابي فيها، بسبب وجود الشريعة الاسلامية المتكاملة وعدم خطأ المساجد ــ لانها بيوت للعبادة وليست واسطة بين الانسان وربه مثل حال الكنيسة ــ فهي منذ ان شيدت وما زالت مقراً وملجأ للمستضعفين.

ولما كانت العصور الوسطى عند الأوربيين، قدحدثت بسبب تدخلات الكنيسة وطيشها، ومشاركتها في الحكم ومساندة الاستبداد، نجد بأن القرون المظلمة التي مرّبها المسلمون، قد نشأت بسبب الابتعاد عن المساجد وضياع دورها وترك العمل بالشريعة الاسلامية...

ومن ناحية ثانية؛ فان العرب والاتراك والفرس ليس عندهم

ازدواجيـة بين الـديـن وفلسفة سابقة، مثل حال الاوربيين؛ الذين كانوا يمـزجـون بين الديانة المسيحية والروح اليونانية اللاتينية، ذلك ان الفلسفة الاسـلامـيـة، قد اكتسحت بقية الفلسفات القديمة وانهتها من الوجود على عكس الديانة المسيحية التي فشلت في تثبيت فلسفتها.

لماذا دفع الغرب «القومية» الى ساحة البلدان الاسلامية؟

للحديث عن الحركة القومية، والموجة الطورانية، والتيار العلماني في الـدولـة الـعـثـمـانـيـة، التي منهـا انـسـاب الى بـقـيـة البلدان العربية والاسلامية، نقول: بان تلك الافكار ما كانت لتأتي لولا الاستعمار الذي اعـتـرف بـذلـك، ومـا كـانت لتستقر في الامبراطورية الحاكمة على العالم الاسـلامـي لـولا الفوضى والانقسامات والجهل وحالات الفساد المنتشرة في جـهاز الدولة العثمانية وفي جميع المؤسسات الحكومية... وهذا يعني ان الـبـؤر الـفـاسـدة و بـراثـن الـكـفـر في النظام العثماني هي التي اصبحت الارض الصالحة لنمو تلك الاتجاهات والفلسفات..

امـا الـشعب الصالح فقد استمر على فطرته وعقيدته الاسلامية، على عـكـس الحـكـومة التي تلقفت العلمانية والحركة القومية؛ لأنها تساير اتجاهها المخالف للاسلام والقريب من الغرب.

وأمـا الـعـداء بين اوربـا والـديـانـة الاسـلامـيـة؛ فقد مربأربع مراحل:

المرحلة الاولى: تـمـثـلت في هجمات مبعثرة في الزمان والمكان ومـعارك متفرقة خاضتها جيوش الدولة الرومانية ضد المسلمين كان مصير معظمها الفشل.

المرحلة الثانية: بدأت بعد ان انتشر صيت الديانة الاسلامية في الـعـالم واخـذت تهدد بـاجـتـيـاح اوربـا مـن الانـدلس وتركيا، مما حدا بـالامبراطوريات الاوربية، للتجمع في صف واحد وقيادة الحملات التي

اطلق عليها بالحملات الصليبية والهجوم على قلب العالم الاسلامي (فلسطين)... وكانت نتيجة تلك الصولات والمعارك لتلك العساكر الفشل والخسران.

المرحلة الثالثة: بدأت في القرن السابع عشر، بعد صناعة اوربا للاسلحة النارية، وبطاريات المدفعية وقد اطلق على هذا الاستعمار اسم الاستعمار الحديث.

المرحلة الرابعة: اما هذه المرحلة؛ فقد بدأت في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، بعد نضج الثورة الصناعية واتساع الهوة بين الدولة العثمانية المتخلفة وأوربا... الامر الذي يعني ازدياد قوة وسطوة وقدرة أوربا العسكرية، وضعف واضمحلال وتراجع القوة العسكرية العثمانية.

هذه المرحلة كانت دقيقة وحساسة، الى درجة كبيرة، لان الاوروبيين استفادوا من تجاربهم السابقة وبرمجوا هجومهم على العالم الاسلامي وكانت الخطة تتمثل في ان الهجمات العسكرية والغزوالحربي لايجديان نفعاً مع المسلمين لقوة عقيدتهم وامتلاكهم لسلاح الجهاد والشهادة، فضلاً عن ان الحرب تحتاج لاكثرمن مليون جندي وتستوجب آستمرار الاحتلال والتبعية ووجدوا بان امثل طريقة لاخضاع المسلمين تتمثل في الغزو الفكري لهم وليس في الغزو العسكري. ولماذا؟ لان قوتهم لا تتمثل في السلاح، فالسلاح ينقصهم، بل تتمثل في متانة الفكر الاسلامي وقوة العقيدة الاسلامية.

وبعد أن توصل الاوربيون الى نقطة القوة عند المسلمين، برمجوا خططهم لاقتحام تلك المعاقل الاسلامية، التي فشلوا في اختراقها طيلة ١٣٠٠ سنة.

السلاح الفكري الاول الذي وقع عليه الاختيار، كان العلمانية الجامعة الشاملة. للفكر الاوربي المعادي للاديان، فهو ارضية واساس

المذاهب المستجدة على الساحة والتي جاءت بسبب ردود فعل على سقطات الكنيسة وانحرافها.. فهم قد جرّبوا العلمانية في بلدانهم وادركوا بأن المعتنق للعلمانية يسهل عليه اعتناق احدى ثمراتها المتمثلة بالقومية او الوطنية او الاشتراكية، والتحلل من الدين.

وبالفعل كانت الشخصيات من امثال طلعت باشا وانور باشا ومصطفى كمال اتاتورك شخصيات معتنقة للفلسفة والقيم والتوجهات الغربية ولا اعتقاد لها بالاسلام والوحدة الاسلامية، الامر الذي ادى لاعتناقها فكرة القومية الطورانية ومطالبتها بالوحدة الطورانية (اي الاتراك الطورانيين المنتشرين في تركيا والاتحاد السوفيتي والصين، الغالبة على نسبة كبيرة منهم صفة الكفر وعبادة الاوثان). التوجهات العلمانية عند هؤلاء المتغربين دفعتهم الى خطوات عديدة في مشاطرة اوربا في آرائها واهدافها، اذ عمدوا الى تأسيس الاحزاب وعلى رأسها حزب (تركيا الفتاة) على اساس قومي؛ اي ان هؤلاء ضلعوا في هذه السلسلة:

ساعدوا على نشر العلمانية في تركيا، وهذه بدورها ادت الى نشوء الخميرة اللازمة من الرجال والشخصيات، وهؤلاء ساعدوا على نشوء حزب تركيا الفتاة، والحزب بدوره تمكن من استلام السلطة ــ في احداث عام ١٩٠٩ بصورة مطلقة ودكتاتورية.

وبسبب ذلك الانسياب الفكري العلماني المتدرج، تمكنت اوربا من اسقاط الدولة الموحدة للمسلمين واجتياح تركيا ولبنان والبلدان العربية فكرياً.

* * *

وبعد ارساء اوربا لقواعدها وخلاياها، داخل كيان الدولة العثمانية، عملت وفق ما تشاء على تقويض اركان تلك الدولة. ولما كانت تدرك بان الوحدة الاسلامية هي القوة الكبيرة التي تستند عليها، لذا فقد استهدفت مؤامراتها تلك الوحدة...

ووجدت اوربا بان الطريق الأمثل لمحاربة الوحدة الاسلامية يتمثل في ايجاد البديل لها... وأن البديل الافضل يتمثل في الوحدة القومية والرابطة القومية.

بعد تصميم اوربا على زج القومية في ساحة الدولة العثمانية، شعر الغرب بترابط نشوء القومية في البلدان العربية والاسلامية ونشوئها في تركيا... وان نجاحها في تلك البلدان، مرتبط بنجاحها في تركيا والعكس صحيح.

وعلى هذا الاساس كان دعاة القومية التركية، يتذرعون بالحركات والاحداث القومية القائمة في الدول العربية، لاقناع الشعب التركي بأن القوميات الاسلامية الاخرى هي التي تريد ذلك.

وفي الجانب الثاني؛ كان القوميون العرب؛ يتذرعون بافعال حزب الاتحاد والترقي والحكومة العثمانية للسير في الخط القومي.

والحقيقة التي يجب ان تقال، ان القياديين من القوميين الاتراك والقياديين من القوميين العرب، كانوا لا يمتون بصلة للاسلام ولا يؤمنون بالعقيدة الاسلامية..! فالقوميون الاتراك؛ كان اغلبهم من يهود سلانيك (الدونمة) او من الاتراك غير المسلمين، القادمين من روسيا، كما ان القياديين من القوميين العرب، كان اغلبهم من نصارى لبنان المعادين للوحدة الاسلامية.. مثلاً: في اجتماع عقد في بيت عزيز المصري، قال احد الجنرالات الاتراك: ــ من اصل روسي ــ تأكدوا ان هؤلاء السفلة؛ الذين تسمونهم عرباً او ارناؤوطاً ــ رعايا الدولة العثمانية الاوربيين ــ هم لاشيء ولا يوجد سوى العنصر التركي، الذي سيحكم آسيا؛ لان عدد نفوسه يزيد عن خمسمئة مليون (على اعتبار ان سكان الصين جزء من القومية الطورانية)[1].

١ــ تو ينبي مبتدع المنهج التاريخي الحديث ــ فؤاد محمد شبل ــ ص ٤٨.

اما عن افعال القوميين الاتراك، داخل العاصمة؛ فان احد منشورات تركيا الفتاة جاء فيه، «ان هذه البدعة الخيالية المخيفة، التي يسمونها الامة الاسلامية، التي ظلت الى امد طويل سداً يحول دون التقدم بوجه عام، ودون تحقيق الوحدة الطورانية بوجه خاص هي في طريقها الى التفكك والزوال، وليس لنا ان نتخوف منها على انها تشكل خطراً على خططنا في تحقيق مبادئنا واهدافنا..»[٢]

الكلمات اعلاه تمثل اصوات الاتراك المعارضين للدين الاسلامي والمرتبطين بالفكر العلماني القومي، وتبرز لنا فظاعة دورهم في التخطيط المشترك مع المستعمرين والاعداء ضد آمال واهداف وعقائد الشعب.

وللاجابة ايضاً عن عنوان هذا الموضوع، حول سبب دفع الغرب للقومية الى ساحة البلدان الاسلامية، نسرد هنا قول احد السياسيين الغربيين في هذا المجال: «وقد ظهرت في القرن التاسع عشر الميلادي ردود فعل للثورة الفرنسية، هي ثلاثة في الاساس.

(١)ـ ردّ الفعل: القومي.

(٢)ـ ردّ الفعل: المحافظ.

(٣)ـ ردّ الفعل: الاشتراكي.

وقد عدّ عدة من فلاسفة السياسة ردّي الفعل: الاول والثاني منحرفين عن الاصول مضادين للثورة وادعوا ان الثالث هو المعتدل من الردود»[٣].

وقول المستشرق البريطاني توينبي حيث يقول: «ان مخلفات الحضارة الغربية هما الخمر والقومية».

٢ـ نفس المصدر

٣ـ *J.J. Chevallier: "Les grandes Oeuvres Politiques" - Troisieme Portie*

(الفصل الثاني)

الحركة القومية في تركيا «الطورانية»

ـــ نشوء الحركة القومية التركية.

ـــ دور اليهود في نشوء الحركة القومية التركية.

ـــ هو ية حزب الاتحاد والترقي.

ـــ اتاتورك صنم القومية.

نشوء الحركة القومية التركية «الطورانية»

وهكذا عرفنا بأن وجود الترسبات اليونانية واللاتينية وظهور الثورة الفرنسية واحتلالها لدول عديدة باسم القومية لا الدين، وفقدان الكنيسة لركائزها في المجتمع، وعدم تكامل الديانة المسيحية، تلك الاسباب وغيرها مجتمعة، كانت من أسباب نشوء وظهور القومية في أوربا. والآن نتعرف على اسباب انتقالها الى تركيا ومن ثم الى البلدان العربية و ايران:

اولا: ان وجود تركيا ضعيفة وبلدان أوروبية قوية، أدى الى اعتقاد بعض الاتراك بعدم كفاية الدين الاسلامي لمواكبة الحياة المتطورة وضرورة تقليد الاوروبيين في مبادئهم وعقائدهم.

ثانياً: الحروب القومية ضد الامبراطورية التركية، في دول البلقان؛ أدت الى سريان مفعولها في الجنود المقاتلين هناك وفي عقول المعلمين والموظفين الذين أرسلتهم الاستانة الى تلك المناطق ومنهم داعية القومية العربية (ساطع الحصري).

ثالثاً: موقف الاستانة من الاسلام والمسلمين، أدى الى فقدان الروح والعقيدة الاسلامية من بين فئات كثيرة من المسلمين.

رابعاً: انكسارات تركيا في حروبها ضد الامبراطوريات المجاورة.

خامساً: الجهد الاوربي لدفع تركيا في هذا المجال.

سادساً: ظهور جمعيات وأحزاب عديدة، تهدف الى تطبيق المبادئ القومية ولمّ شمل القومية الطورانية ـ التي ينتمي اليها أتراك تركيا ـ.

كل تلك الاسباب واخرى غيرها، ادت الى اتساع نشاط الحركة القومية بمعناها الدقيق، والتى تهدف الى رجوع القوميات، الى اوضاعها التي كانت عليها، قبل نزول الاديان السماوية و يعني ذلك تجاوز الديانة المسيحية وترك المبادئ والاحكام الأسلامية وكل ما يمت لها بصلة وانتقال داء القومية بكل ما فية من تعصب، وفتن، وأنانية، وأفكار الحادية الى الربوع التركية.

ولما كانت الفكرة القومية؛ قد نشأت في اوربا؛ بسبب أفعال الكنيسة، احتار القوميون الاتراك في ذرائع محاربة الدين الاسلامي، الذي ليس فيه كنيسة تتوسط بين الانسان وخالقه(!)

ولما كان القوميون الاوروبيون، يحاربون الكنيسة؛ مبقين على الحرية الدينية، عمل القوميون الاتراك على محاربة الاسلام و تقويض الحرية الدينية... عجيب!! مبتدئين بمنع نشر الكتب والمجلات الاسلامية وتحويل المساجد الى متاحف أثرية ومنع الحج وقمع نشاط الجمعيات والدور الاسلامية ووقف الاحكام الاسلامية، واستيراد نصوص الدساتير الغربية، وكانت طامتهم الكبرى في الغاء الحروف العربية وإحلال الحروف اللاتينية محلّها.

قبل مناقشتنا لفكرة القومية التركية (الطورانية)، نود أن نلقي نظرة سريعة على نشوء القومية في تركيا ومعرفة الجهات التي تقف وراءها وهل صحيح ان الحركة القومية التركية (الطورانية)، هي مؤامرة حاكتها اوروبا ضد الاسلام وزعيمة العالم الاسلامي ـ تركيا ـ يومذاك؟...

علماً بان الهدف من تلك الملاحقة والمتابعة هو معرفة حركة

القومية العربية ومن وراءها.

ان الحرب التي شنتها الامبراطورية الروسية وفرنسا و بريطانيا ضد الامبراطورية العثمانية لا تختلف بأي شكل من الاشكال عن الحروب الصليبية بل هي امتداد لها.

فبعد هزيمة الدولة العثمانية في الحرب العالمية الاولى، نشرت الصحف البريطانية صوراً للجنرال (اللّنبي) (قائد بريطاني) و عبارة: «اليوم انتهت الحروب الصليبية»[1]

وحينها هنأ لو يد جورج رئيس الوزراء البريطاني الجنرال اللّنبي في البرلمان البريطاني بمناسبة انتصاره في آخر الحروب الصليبية.

ووقف الجنرال الفرنسي، فوق قبر صلاح الدين قائلاً بشماتة: (عدنا ياصلاح الدين)[2].

هكذا استخدمت الدول الاوروبية مختلف الوسائل والسبل لمحاربة الدولة الاسلامية العثمانية، شملت غزو اجزاء منها و بث الدسائس والفتن والافكار العلمانية والقومية في أركانها، كل ذلك لإنهاء الرابطة الاسلامية وفسخها ومن ثم اقتطاع الامصار الاسلامية وتقسيمها والقضاء على تعاليم الدين الاسلامي الحنيف. ان الركيزة الاساسية التي اعتمدتها الدوائر الغربية في انهاء الدين الاسلامي والدولة العثمانية هي مؤامرة الحركة القومية التركية (الطورانية) واعتمدت في غرس و نشأة هذه الحركة على عملاء الغرب المنتشرين في مؤسسات الاستانة، من روس و فرنسيين ويهود (الدونمة) سلانيك. و يؤرخ «توفيق برو» بداية الحركة الطورانية بجمعية «ترك درنكي» التي تأسست في ديسمبر ١٩٠٨ ومن مؤسسي هذه الجمعية زعيمها (يوسف اقجورة)، وأحمد فريدبك،

١ــ القومية والغزو الفكري ــ محمد جلال كشك ــ ص ٨٤.

٢ــ نفس المصدر السابق ــ /٨٤

وأحمد غايبف، وحسين جاهد.

و يوسف أقجوره من أتراك روسيا في باريس ولقّن مبادئ القومية الطورانية على يد (العملاء الفرنسيين).. ياللمصيبة!!

و يقول (فردريك هرتزل) وكذلك الدكتور زين نورالدين: بأن فكرة الطورانية مستمدة من كاتب فرنسي هو (ليون كاهون) الذي مجد الغزاة المغول من جنكيزخان الى تيمورلنك، و اعتبر المغول جنساً أرستقراطياً، و بأنهم كانوا متفوقين كثيراً على العرب والفرس كمحاربين.

و يضيف زين نورالدين بأن قنصل فرنسا العام في سالونيك أعار كتاب (كاهون) هذا الى (الدكتور ناظم) الذي كان عضواً بارزاً في (الاتحاد والترقي) فاعتنق الاخير على أثر ذلك الطورانية...(!)

ومن المثير ان مشاهير المستشرقين مثل البروفيسور (غولاوسكي) والدكتور(قره جوخ) والبروفيسور (ماونان هارتان) قد اشتركوا الى جانب الخبراء الروس في تأسيس جمعية (ترك درنكي) ونشر مبادئ القومية التركية (الطورانية)... شرالبلية مايضحك!!

من هذا نفهم؛ ان داء القومية مرض خطير، زرقته القوى الغربية في جسد الامبراطورية العثمانية، على أمل انتقاله الى الدول العربية المجاورة.

ونعرف ايضا بأن الحركة العربية المعادية للاسلام لا تختلف نشأتها عن أختها الطورانية في تركيا، فمسألة القوميات هذه أريد بها ضرب الاسلام واحلال العقيدة الطورانية أو العقائد الغربية محل العقيدة الاسلامية.

والملاحظ في شعارات القوميين، ان كل واحد منهم يمجد قومه و يُغنّي على ليلاه.. فهذا (حسين جاهد) يكتب في صحيفة (طنين) بان الامة التركية كانت وستظل هي الامة الحاكمة، و يكتب آخر بأن الامة

العربية هي أفضل الامم، لان الرسول محمداً(ص) عربي وثالث يعلن بان القومية الفارسية هي ارفع الامم، لان الحضارة الفارسية هي ألمع وأعظم الحضارات.. وهكذا يريدون بحركة انحرافية الرجوع بالمسلمين الى ما قبل الاسلام فلا خبرجاء ولا وحي نزل!!

واستمر الا تراك يروجون للفكرة الطورانية كبديل عن الاسلام وزعموا بأن هذه الفكرة ستوحد العناصر التركية من المجر الى الصين وأن جنكيزخان مساوٍ للرسول محمد (ص) و بعد ان أفاقوا وجدوا بأنهم قد فقدوا كل شيء حتى تركيا!

وكان حزب «الاتحاد والترقي» يمضي بجد في خدمة القومية المستوردة، وأصبحت أعماله السياسية تسير جنباً الى جنب ايديولوجيّته الغربية، فنراهم يوم اقالوا الصدر الاعظم (كامل بك) صديق بريطانيا، ذهب وفد من الاتحاد والترقي الى السفارة البريطانية لتقديم الاعتذار وكان عقاب السفير لهم ان رفض استقبال الوفد في عاصمة الامبراطورية!! لاحظ مدى اذلال الغرب لهؤلاء العملاء رغم انفهم... وماذا بعد هذا الذل؟ عملوا لارضائها فمنحوها امتياز شركة لنشي (!)

يقول (سيتون واطسون): ان الحقيقة البارزة في تكوين جمعية الاتحاد والترقي انها غير تركية وغير اسلامية، فمنذ تأسيسهم لها لم يظهر بين زعمائها وقادتها عضو واحد من اصل تركي صاف.

و يقول (برناردلو يس): ان لفظة عثمانية لم تصطبغ بصبغة قومية ذات مدلول قومي، الا في القرن التاسع عشر، وذلك تحت تأثير الفكرة الليبرالية الاورو بية.

من جهة اخرى يقول (وليام بولك): عندما وصل أنصار تركيا الفتاة الى السلطة مارسوا سياسياً التتريك على نحو لم يحاوله اي حاكم عثماني من قبل.

ولكي يستمر الاتحاديون (الاتحاد والترقي) في الحكم، عملوا على

ارضاء الغرب بفصل الولايات الاسلامية عن جسد الامبراطورية العثمانية، وتناول عملهم كل البلدان حتى البانيا، اذ صفعوا الزعيم الالباني المسلم (اسماعيل كمال) على وجهه داخل البرلمان، وتوعدهم هذا الزعيم الذي افنى عمره في خدمة الدولة العثمانية هادفاً خدمة الاسلام ونفّذ وعيده فانفصلت البانيا.

وهكذا نفذ الاتحاديون خطط روسيا والغرب بكل دقة مضحّين بمستقبل الدولة الواسعة الأطراف في سبيل أتراك الصين وروسيا والعقيدة الطورانية!

ان سنة ١٩٠٨ تعتبر صفحة سوداء في تاريخ الحركة القومية التركية، لانها فصلت العالم الاسلامي بعضه عن بعض ودقت اسفينا في نعش الامبراطورية التي كثرت و يلاتها وأخطاؤها ومفاسدها، وأصبحت كهلاً لايقوى على الدفاع والصمود.

ليس هذا فحسب بل كان الخطأ الفادح والاستراتيجي لها، هو استمرارها في الطريق الذي عبّدته لها لندن و باريس و موسكو ـ طريق القومية ـ غير مدركة بأن قبرها قد حفر في نهايته.

والمثير للانتباه في موكب نعش الامبراطورية العثمانية، ان القوى التي حاكت المؤامرات لها، هي نفسها التي شاركت في مراسم الدفن والتعزية.

والملاحظ ان الدول الغربية لم تحاول فصل أجزاء الامبراطورية الروسية الضعيفة والارثوذكسية بل تحالفوا معها ضد الدولة العثمانية الاسلامية، ووضعوا صخرة القومية في طريقها لان الهدف المزمع تحطيمه هو «الاسلام».

دور اليهود
في نشوء الحركة القومية التركية

ان المصائب والكوارث والآلام والمتاهات التي تلفّنا اليوم، لا تعود الى سنوات مضت، بل الى عقود سابقة، حيث كتبت لنا اليوم اوربا كيف نعيش، وبماذا نعتقد ونؤمن ومن نصالح ومن نعادي.

فالغرب اراد ان يصبّنا في القوالب التي يريدها هو، لا كما نريد نحن، لذا أرسل العشرات من المستشرقين الاوروبيين الى بلادنا، ليكتبوا لنا تاريخنا وسيرة ملوكنا، ورجالنا، وشعوبنا، والأهم من ذلك كتابة المسيرة الاسلامية منذ البدء.

وبكتبهم تلك طمسوا معالم وحقوق اجزاء كبيرة من حضارتنا، وكان هدف حكوماتهم الاول هو: التعرف على نقاط القوة والضعف عند المسلمين، عن قومياتهم، ولغاتهم، وطوائفهم ومذاهبهم، وعصبياتهم، وعقائدهم، وسبل اتحادهم وتفرقهم.

وما ان تم لهم هذا، عن طريق مبعوثيهم المرسلين على شكل مستشرقين ومراسلين، وتجار، ودبلوماسيين، وجواسيس حتى بدأت دسائسهم ومؤامراتهم.

ووجد الاستعمار ان خير وسيلة لتفريق المسلمين هي مسألة القوميات اذ اراد بها فصل الاتراك عن العرب، والعرب عن الفرس، والاكراد عن البلوش و.. وعن بعضهم البعض، واثارة النعرات العصبية بينهم... ووقع الاختيار على الاتراك اولاً: الاتراك لانهم اصحاب السلطة يومذاك ومن ثم العرب لكونهم حملة الرسالة الاسلامية الاوائل، واصحاب لغة القرآن، وامتلاكهم لبلاد واسعة المساحة واستراتيجية، وثروات عظيمة.

وبعد سقوط (عبدالحميد) عام ١٩٠٨ــ ١٩٠٩ م ووصول حزب الاتحاد والترقي الى السلطة، يومها وصل الغرب بصورة فعلية الى حكم العالم الاسلامي!

يقول (سيتون واطسون): «ان الحقيقة البارزة في تكوين جمعية الاتحاد والترقي، انها غير تركية وغير اسلامية، فمنذ تأسيسها لم يظهر بين زعمائها وقادتها عضو واحد من اصل تركي اصيل.. اما (طلعت) الذي ترأس الجمعية لمدة عشر سنوات، فيقول في رسالة بعثها الى (او بري هربرت) عضو البرلمان الانجليزي: «اننا نحن تركيا الفتاة قدمنا لكم تركيا على طبق»!

ولما كان المسلمون الاتراك بعيدين عن مسألة الاخلاص للافكار الغربية وترويجها ومعاداة الاسلام، عليه كان الاعتماد على يهود سلانيك (الدونمة) الذين اعتنقوا الاسلام في الظاهر، وبقوا مصممين على خدمة فكرة (الشعب المختار!) ومعاداة الاسلام ــ متناسين خدمات المسلمين الاتراك لهم، بعد فرارهم من اسبانيا.. فهم يصرون على ان يبقوا رذلاء حتى النهاية!!ــ

من بحثنا هذا، سوف نستطلع خفايا اعمال اليهود وتصرفاتهم في القضاء على الخلافة الاسلامية وبث فكرة القومية في تركيا المسلمة.. وبالتالي العبور لخطف فلسطين.!

فقد كان اكثر الرجال المؤثرين في جمعية الاتحاد والترقي من يهود الدونمة ومن المتأثرين بافكارهم، واتاتورك نفسه تربى على يد يهود السلانيك، ونشأ في احضانهم.

ويذكر بأنه الى جانب فكرة القومية، كانت الماسونية تمد اخطبوطها في الخفاء بمساعدة اليهود ايضا.

فيهود (سلانيك) كانوا حملة آفات ثلاث، القومية والعلمانية والماسونية اضافة لجهودهم لتأسيس اسرائيل.

وكان اليهود هم المسيطرين على الاعلام وعلى وزارة المال في الدولة العثمانية.

يقول كتاب (اسرائيل الكبرى): ان (المنظمة الصهيونية) قامت بتمويل صحيفة (التركي الفتي) بعد عام ١٩٠٨ وعمد الصهيونيون الى وضع رئاسة تحريرها بيد ناشر مشهور (جلال نوري بك)، احد الوجهاء النافذين وابن وزير تركي.. وحين انضم فلاديمير حابوتنسكي اليهودي، الى مكتب الاستانة بناء على توصية من (جاكوبسن) كانت شبكة الصحف التي يسيطر عليها الصهاينة في منتصف عام ١٩٠٩م تضم بالاضافة الى الصحيفة المذكورة مايلي:ـ

١ـ مجلة اسبوعية باللغة اليهودية الاسبانية، يترأس تحريرها (دافيد الكانوت).

٢ـ مجلة اسبوعية بالفرنسية (الفجر) يرأس تحريرها (لوسيان سيوتو).

٣ـ مجلة اسبوعية بالعبرانية..[٣]

والسؤال هو:

هل كان باستطاعة اليهود نشر تلك الصحف دون مساعدة رجال الاتحاد والترقي! ودون ضغط من اوربا؟

كما كان (نسيم روسو)، و(نسيم مازلياح افندي)، اليهوديان ـ من مؤسسي حركة تركيا الفتاة ـ عضوين في البرلمان العثماني.

وهكذا طلب من هرتزل زيارة تركيا، بعد انقلاب جمعية الاتحاد والترقي، وفتحت الابواب امام هجرة اليهود الى فلسطين.

وفي تلك الايام كان يهود (سلانيك)، يرعون و يهتمون باشخاص عديدين في السلك العسكري، للاعتماد عليهم في اغراضهم واهدافهم

٣ـ نفس المصدر السابق.

المستقبلية، كان من بينهم مصطفى كمال (اتاتورك)!

لذا فان عملية خلع السلطان (عبدالحميد) ووصول جمعية الاتحاد والترقي، تعتبر خطة غربية نفّذها اليهود وعملاؤهم.. ومن هذا نفهم سبب انتخاب (عمانو يل قره صوأفندي) اليهودي الماسوني ــ الذي فشل في اقناع السلطان عبدالحميد بفكرة انشاء وطن قومي لليهود ــ للذهاب الى عبدالحميد لابلاغه نبأ عزله عن السلطة! ألا يعني هذا ثأر اليهود من اعمال السلطان المناهضة لهم؟

بعد استيلاء حزب الاتحاد والترقي على السلطة، أصدر رئيسه (طلعت) قراراً بضرورة تتريك الامبراطورية، على أمل تطبيق مبدأ المساواة.! وهكذا ارتفعت راية القومية الطورانية ضد القوميات الاخرى وضد الاسلام.

يقول (المارشال فوت درغولتز): ان جمعية الاتحاد والترقي كانت منذ نشأتها الى اليوم ألد اعداء نفسها واعظم خطر على كيانها.

و يقول (وليام بولك): عندما وصل انصار تركيا الفتاة الى السلطة، مارسوا سياسياً التتريك على نحو لم يحاوله اي حاكم عثماني من قبل، و بدأت المدارس تعلم اللغة التركية وتؤكد على عظمة الا تراك وفضائلهم، وهذا الموقف الجديد من جانب الا تراك ، دفع العرب الى البحث لانفسهم عن كيان متميز عن العثمانيين. وذكر بان اكثر المراقبين الاجانب تحمساً، ما كان ليجد أثراً للقومية العربية ــ الا فيما ندر ــ قبل اثارة الا تراك لها، وان الفكرة الاساسية جاءت من اوروبا وامريكا!

و بلغ الامرخطورته؛ يوم بدأت تظهر في الافق النصوص النثرية والشعرية التي تعادي الرسول محمداً(ص) ومن تلك النصوص، كلمة لشاعر تركي يقول فيها ــ ما ترجمته ــ

جدنا نحن جنكيزخان العادل

وجدنا نحن معادل لجد الحسين!

وهكذا نجد ان الطورانية حركة مشبوهة تحركها اصابع دخيلة؛ هدفها الرجوع الى افكار جنكيزخان واتباعه والتخلص من شرائع الاسلام والوحدة الاسلامية.

ان سلانيك.. التى ولد وتخرج فيها العديد من الشخصيات الصهيونية والماسونية ومثلها من الحركات والجمعيات المعادية للاسلام، تكوّن فيها عام ١٩٠٦ تشكيل عسكري، من ضباط الجيش الخامس يرأسه احد مواليد هذه المدينة ومن المتأثرين بافكارها يدعى (مصطفى كمال).

يقول كتاب (اسرائيل الكبرى): ان يهود الباطن الذين عرفوا بطائفة الدونمة (منذ ان فضل المسيحي الدجال في القرن السابع عشر، شبتاي زخي (١٦٢٦ــ ١٦٧٦) اعتناق الاسلام في الظاهر طمعاً بالامتيازات وخوفاً من عقوبة الموت) لعبوا على ما يبدو دوراً بارزاً في انقلاب (تركيا الفتاة) الذي جرى التخطيط له في عقر دارهم بمقاطعة سالونيكي (سالونيك).

وبعد فشل وخسارة جمعية الاتحاد والترقي، في الحرب العالمية الاولى الى جانب المانيا، اتجهت انظار يهود الدونمة الى الجيش الذي عوّلوا عليه الكثير، وبالذات الى شخص مصطفى كمال (اتاتورك).

واليهود كانوا يتخوفون من عودة الخلافة الاسلامية و يدركون خطرها عليهم وعلى نياتهم في تأسيس اسرائيل. وما ان وصل اتاتورك الى السلطة بقوة الجيش والسلاح، حتى اعلن عن استعداده لارضاء الحلفاء في كل ما يطلبونه: ــ تقسيم، تهجير، احتلال اي شيء آخر ــ وحينها اقترح احد الكتاب الفرنسيين حلاً للمسألة الاسلامية، (القضاء على المسلمين

ونبش قبر الرسول، ونقل عظامه الى متحف «اللوفر» في باريس)[٤] وهذا يعني ان الصراع كان صراعاً بين الاسلام من جهة والصليبية والصهيونية من جهة اخرى.. وامثال اتاتورك كانوا ادوات بيد اعداء الاسلام.

يقول تو ينبي: امام الاسلام طريقان، الاول: دَسُّ المسلمين رؤوسهم في التراب، والثاني السير على خطى اتاتورك ، ومحمد علي..!! لاحظ الاستعمار؛ إنه يريد منّا ترك اسلامنا وتاريخنا وحضارتنا والجري خلف اتاتورك .

وعندما تحرك الايطاليون لاحتلال ليبيا، كان جنودهم يرددون هذا الشعار المعادي للاسلام:

«اناذاهب الى طرابلس.. فرحاً مسروراً.. لأبذل دمي.. في سبيل محق الامة الملعونة.. ولأحارب الديانة الاسلامية.. سأقاتل بكل قوتي لمحو القرآن..»!!

فالصراع ــ كما قلنا ــ كان ضد الاسلام وليس ضد القوميات.

وكان لافعال اتاتورك وقع حسن في قلوب الحلفاء خاصة وهم يسمعون بانجازاته في طريق ابعاد تركية عن الاسلام، اذ الغى الحروف العربية، وأتى بالحروف اللا تينية كي يصعب على الا تراك قراءة القرآن والصلاة والا تصال بالاقطار الاسلامية، والغى الخلافة الاسلامية وقلّص عدد المساجد والوعاظ الدينيين واغلق العديد من المدارس الدينية ومنع تدريس و تعلم اللغتين العربية والفارسية.. و بدّل الطربوش التركي بالقبعة الاوروبية واجبر الناس على لبس البنطلون وشحن الكتب الاسلامية التي تقدر بالملايين الى مصر، والهند، وايران.. وهكذا جاءت افعال اتاتورك المعادية للدين والمناصرة للقومية، لتمنع فكرة تقسيم تركيا، اذ كان المتوقع اعطاء ازمير الى اليونان واجزاء اخرى الى فرنسا وايطاليا.

---

٤ ــ الاتجاهات الوطنية في الادب المعاصر/ د ــ م.م. حسين.

ولـو حدث الانتداب والتجزئة على ان تبقى تركيا اسلامية لكان افضل من ان تباع تركيا كلها، وتمسخ كما هي عليه الآن.

ولـكـي يـواصـل اتاتورك الطريق الذي خطّه الغرب. عمل سنة ١٩٣٢ على تـرجمة القرآن الكريم الى اللغة التركية وتوزيعه، وقراءة الأذان باللغة التركية.

ان اعـمـال اتـاتـورك المعادية للاسلام، فاقت اعمال بريطانيا و فرنسا مجتمعة، فبريطانيا لم تستطع ان تفعل في مصر، مثلما فعل اتاتورك في تركيا، وفرنسا رغم جرائمها لم تستطع ان تفعل بالجزائر، مثلما فعل اتاتورك بـتركيا، رغم طول فترة الاحتلال فربّ عميل يفعل اضعاف ما يستطيعه سيده!

لقد وجد الشعب التركي نفسه بلا عقيدة، يوم ابعد عن الاسلام ووجـد نـفـسه غريباً عن العالم الاسلامي وسجيناً يوم حشر مع اوروبا، وبـلا حـضـارة ولا تـراث ولا اصل يوم غيِّرت حروفه و ارقامه و بلا عدل ولا استقلال ولا حرية، يوم فرضت عليه القومية والعلمانية.

فـتـركـيـا بـعـد مـرور اكثر مـن ٦٠ عاماً على حركة اتاتورك بلا شـخـصـية، ولا ركائز وجود، وبلا وحدة اسلامية ولا وحدة طورانية، ولا حضارة غربية!!

وبعد ان كانت زعيمة العالم، يوم التزمت بالاسلام؛ نراها اليوم اصبحت قاعدة ذليلة محتلة، تابعة لامريكا.

فهي الآن دولة بلادين، ولا صناعة، ولا زراعة، ولا تاريخ، ولا اسلام، ولا قـومـيـة... و الـذي تـمـلـكه اليوم هو حكومة تعينها امريكا، وقـواعـد عـسـكـريـة تـمـلـكـهـا امريكا، وصناعة تجميعية (مونتاج) تتبع امريكا، وأخلاق غربية (فساد، خمور، سرقة، قتل، مخدرات) وديون تثقل كاهل الخزينة... فقط!!

هذا ماجناه اتاتورك على تركيا.. وما جناه اليهود على البلد الذي

فرّوا اليه ولاذوا به.. فهل يبغون المزيد؟

هوية
حزب الاتحاد والترقي

ان الافراز غير الطبيعي، المتمثل بالقومية؛ الذي افرزته المنطقة، بفعل تأثيرات خارجية هادفة، توجب علينا ومن باب كشف اوراق اللعبة الغربية، نلقي المزيد من الأضواء على دور حزب الاتحاد والترقي واتاتورك في انشاء القومية العربية.. واسباب تحول الغرب من العناية بحزب الاتحاد والترقي الى رعاية اتاتورك .. خاصة و ان النقطة الاخيرة قد اهملها الباحثون او حظيت بالنزر القليل من الالتفات.. دون المساس بجوهر المسألة.

قوة الاسلام:

يقول (هانوتو) وزير خارجية فرنسا السابق: (لا يوجد مكان على سطح الارض الا واجتاز الاسلام حدوده وانتشر فيه، فهو الدين الوحيد الذي يميل الناس الى اعتناقه، بشدة تفوق كل دين آخر)[5]

و يقول البرمشادور: (من يدري؟ ربما يعود اليوم الذي تصبح فيه بلاد الغرب مهددة بالمسلمين، يهبطون اليها من السماء لغزو العالم مرة ثانية، وفي الوقت المناسب)[6].

و يتابع: (لست متنبئاً لكن الامارات الدّالة على هذه الاحتمالات كثيرة.. ولن تقوى الذرة ولا الصواريخ على وقف تيارها. ان المسلم قد استيقظ، واخذ يصرخ ها أنذا انني لم أمت، ولن اقبل بعد

٥ــ الفكر الاسلامي الحديث، وصلته بالاستعمار الغربي/ ص ١٨.

٦ــ لم هذا الرعب كله من الاسلام/ الاستاذ جودت سعيد.

اليوم ان أكون أداة تسيّرها العواصم الكبرى و مخابراتها).

ولو كتب لهؤلاء ان يعيشوا الى ايام الثورة الاسلامية في ايران و انتصاراتها لكتبوا اكثر من ذلك بأضعاف.

المهم ان الغرب و بسبب نصائح وانذارات علمائه و باحثيه ومستشرقيه وتاريخه مع المسلمين المليء بالهزائم والنكسات، كان يتخوف تخوفاً رهيباً من الاسلام وقيامه... لذا كانت مؤسساته ودوره، دائمة البحث عن سبل ووسائل مسخ المسلمين ، وطرق إبعادهم عن عقيدتهم وقيمهم الاسلامية.

ولما كانت الحضارة الاسلامية، مازالت تلوح في الافق والامبراطورية العثمانية مازالت في الوجود، لذا كانت نقطة الانطلاق لتهشيم وتحطيم الاسلام والخلافة الاسلامية معاً قد بدأت من الاستانة، مركز الحكم وعاصمة المسلمين.

وكان اختيار القومية كفكرة وعقيدة ومبدأ بديلة عن الاسلام مبنياً على أسس عديدة.. وفعلاً تمكّن الغرب من طرح شعار القومية في الشارع الاسلامي و تضليله لبسطاء الناس. فبجهود مضنية واموال لاتحصى، تمكنت اوربا من زرع فكرها في رؤوس العديد من المحسوبين على المسلمين...

ولما كانت المارونية واليهودية والبهائية منتشرة في لبنان وتركيا وايران على التوالي فقد اتخذت قرارات بالاستفادة منها في هذا الخصوص:

في محافظة سالونيك التي تتبع اليونان حاليا، كانت هذه المدينة جزءاً من الامبراطورية العثمانية بأقليتها اليهودية. وهذه كانت الموطن الاول للقومية، على أمل نشرها بين بقية الاتراك المسلمين ــ تصور ان يهوداً من أصل أسباني يعتنقون القومية التركية الطورانية..!! وهذه الحالة تشبه اعتناق الصليبيين من امثال عازوري واتباعه للقومية العربية ــ.

ومن ضمن الحركات والتنظيمات التركية التي حصلت على عناية خاصة من الغرب والماسونية والصهيونية هي جمعية الاتحاد والترقي..

فبعد فشل هرتزل في اقناع السلطان عبدالحميد بوطن قومي لليهود في فلسطين ــ بسبب نظرة عبدالحميد للعالم الاسلامي ــ اتجهت الانظار لاحتواء وتمويل وتهيئة التنظيمات والشخصيات المعادية للسلطان، البعيدة عن القيم والمبادئ الاسلامية.

وقد تشكل اول مؤتمر قومي للاتراك في باريس.. «ففي عام ١٩٠٢ عقدت تركيا الفتاة اول مؤتمر لها في باريس»[٧] وكان المؤتمر الثاني في باريس ايضا في عام ١٩٠٧.وأُنشئت فيها ايضاً مجلة لجمعية الاتحاد والترقي اسمها (مشورت)... ولكن لماذا اختارت اوربا اول الامر جمعية الاتحاد والترقي ومن ثم انتقلت الى اتاتورك ؟

ان اختيار فرنسا وبريطانيا لجمعية الاتحاد والترقي، قائم على نقاط عديدة، تمثل قمة التوافق والالتقاء بين الغرب والحركة القومية، فجمعية الاتحاد والترقي ومن خلال افعالها وخطها في الحكم كانت غربية، وعلمانية، وقومية.. معادية للاسلام والمسلمين وفي حالة صراع مع الامبراطورية الروسية، التي تحكم الملايين من الاتراك الطورانيين. لذا فنقاط الالتقاء مشتركة بين الحزب والغرب فمن جهة يرغب الغرب في سلطة عثمانية تعارض الاسلام والوحدة الاسلامية، كي تتأزم العلاقة بين الاستانة والعواصم الاسلامية التابعة لها وتبتعد الملايين من المسلمين عن نصرة الحكومة العثمانية في اي صراع تدخله... فالغرب كان يعرف ان دخول أية حرب ضد الدولة العثمانية سوف يؤدي الى دخوله في حرب مع كل البلدان الاسلامية التابعة لها و هذا يعني اشتراك الملايين من

٧ــ خواطر احمد نيازي / المنار.

المسلمين في الحرب بجانب الاستانة ومثل تلك الوحدة الاسلامية سوف تؤدي الى انتصار الدولة العثمانية في حروبها.

ومن جهة ثانية كانت باريس ولندن تنظران الى الامبراطورية الروسية، على انها المنافس الكبير الذي يهدف للزحف نحو الشرق، حيث المستعمرات الغربية وعلى رأسها الهند والبلدان التابعة للدولة العثمانية.. اضافة الى استحكام العداء بينهما و بين الامبراطورية الروسية بعد حرب القرم.

لذا وجد الغرب؛ في حزب الاتحاد والترقي؛ ضالته المنشودة؛ فهو مناصر عنيد لفرنسا و بريطانيا ومبغض للديانة الاسلامية والامبراطورية الروسية.. وهذا ماحدا بهم لان يعلقوا آمالهم على ذلك الحزب.

وفعلا كان الحزب عند حسن ظن هؤلاء، اذ اخذ يذلّ المسلمين و يقتل احرارهم و يتصرف معهم تصرفاً استعمارياً منفراً لهم، الامر الذي ادى الى نفرة المسلمين وعلى رأسهم العرب، من الحكم التركي ومن الاتحاد والترقي بالذات.

فهذا جمال باشا احد القادة الثلاثة للجمعية وللدولة عمل كل ما في وسعه من أجل إثارة النعرة القومية عند عرب سوريا بقتله وشنقه للمئات واحتقاره لهم ولدينهم وقوميتهم!

و بفعل اعماله القومية العنصرية تلك، نال لقب (السفاح) ومن يومها أخذ يعرف بأسم جمال باشا السفاح.

و بفعل الاهتمام بالقومية الطورانية، قلّت عناية السلطة بالمسلمين و بلادهم واصبحت نظرتها اليهم لا تختلف عن نظرتها الى بلدان البلقان المسيحية واضحت السلطة دولة مستعمِرة (بالكسر) مثل بريطانيا وفرنسا بعد تركها للاسلام.

«ان النتائج التي أسفر عنها برنامج التتريك الذي حاولت تركيا الفتاة تحقيقه كانت حافزاً قوياً لزعماء العرب، للتشديد على القومية

العربية، في مطالبتهم بالاستقلال التام للبلاد العربية. فلا نكون بعيدين عن الحقيقة اذا قلنا ان السياسة العرقية القومية، التي كانت تتبعها تركيا الفتاة، هي التي ألهبت شعور القومية في نفوس العرب، فان اللعب بالاحاسيس القومية و بالشعور الوطني في امبراطورية تتألف من قوميات مختلفة ومن وطنيات مختلفة امر محفوف بالمخاطر. وإنَّ اذكاء الروح القومية يولد منافسة وعداء بين مختلف القوميات يؤديان حتماً في النهاية الى خراب البلاد و تجزئتها، وعليه فعندما اتخذت تركيا الفتاة، من الوطنية المتطرفة والتفوق العرقي اساساً لبناء تركيا الجديدة، تركيا القومية الموحدة ثقافياً وسياسياً، كانت ردة الفعل عند قادة العرب، انهم راحوا يفكرون بمستقبل اوطانهم العربية بالاسلوب ذاته، وقد اسفر الأمر عن تأسيس عدد من الجمعيات العربية والاحزاب السياسية للدفاع عن قضايا العرب وحقوقهم»*.

وكتب السير أدوين بيرز عن جمعية الاتحاد والترقي يقول: «إنها لا تتسامح بقضية اللغة التي يجب أن تكون التركية فقط. لذا فرضوا على الناس تعلم التركية في المدارس، وصدرت الاوامر بتغيير أسماء الشوارع غير التركية الى اسماء تركية»[8]

وماذا نجد ايضا: لما كانت العلاقة بين العرب المسلمين والاتراك المسلمين جيدة بالاستناد الى الرابطة الاسلامية المقدسة، دفع الغرب الحاكمين (الاتراك) وليس المحكومين لفسخ تلك الرابطة ــ فأي بلهاء ومرتزقة هؤلاء ــ فبدل ان يتجه المحكوم لفسخ الرابطة مع حاكمه حدث العكس.. حينها كتب للغرب اول انتصار في الاستعمار الفكري.. وفي قلب عاصمة المسلمين.. بينما نجد في يوم وصول نابليون في حملته الغازية

---

٨ ــ الهلال، مجلد ٢٧، جزء ٧ نيسان ١٩٠٩/ ص ٤١٥.

* الهلال مجلد ٢٧ / ج ٧ / نيسان ١٩٠٩ / ص ٤١٥.

الى مصر وفي محاولة منه لكسب المسلمين وتهدئة ثوراتهم قد أعلن اسلامه وانصرف لتعلم اللغة العربية.. اما تلك الزمرة ــ الاتحاد والترقي ــ التي كانت تحكم البلاد العربية فقد اعلنت ارتدادها عن الدين و عدم احترامها للمسلمين..!! لاحظ الغباء المفرط..

اما الغرب فكيف كان يعرف المسلمين؟ لنقرأ معاً هذا التقرير السري:

«في ١٩/آب/١٨٥٦ بعث السيد (دي لسيبس) قنصل فرنسا العام في سوريا، تقريراً ضمنه مقتطفات من رسالة بعث بها اليه، نائب القنصل العام في طرابلس السيد (بلانش). يقول بلانش: «من ابرز الحقائق التي يلحظها من يريد دراسة هذه البلدان، المكانة آلتي يحتلها الدين في نفوس الناس، والسلطة التي له في حياة الناس. فالدين يظهر في كلّ أمر وفي كل مكان في المجتمع الشرقي. يظهر اثر الدين في الاخلاق العامة وفي اللغة، وفي الادب، وفي جميع المؤسسات الاجتماعية. والرجل الشرقي لا ينتمي الى وطن ولد فيه ــ الشرقي ليس له وطن ــ بل الى الدين الذي ولد في ظله.. وكما ان الرجل في الغرب ينتمي الى وطن فإنه في الشرق ينتمي الى دين. وامة الرجل الشرقي هي مجموعة الناس الذين يعتنقون الدين الذي يعتنقه هو ذاته، وكل فرد خارج عن حظيرة الدين هو بالنسبة اليه رجل أجنبي غريب»[٩].

اذاً لماذا فعلت السلطة العثمانية تلك الافعال ضد المسلمين؟ يجيب «سيتون واطسون»: «ان الحقيقة البارزة في جمعية الاتحاد والترقي انها غير تركية و غير اسلامية». فمنذ تأسيسها لم يظهر بين زعمائها وقادتها عضو واحد من اصل تركي صاف. فأنور باشا مثلا هو ابن رجل بولندي مرتد. وكان جاويد من الطائفة اليهودية المعروفة بـ (دونمة)، وكراسوا من

٩ـ Paris Archives du Ministere des Affaires Etrangeres, Turquie, Vol. 11 - No. 32.

اليهود الاسبان القاطنين في مدرسة سالونيكا. وكان طلعت باشا بلغاريا من اصل غجري اعتنق الاسلام دينا ــ ظاهراً ــ اما احمد رضا، احد زعمائهم في تلك الفترة، فكان نصفه شركسياً والنصف الآخر مجرياً الى جانب كونه من اتباع مدرسة كونت الفلسفية»[١٠]

و يضيف واطسون قائلا: «أمَّا اصحاب العقول المحركة وراء الحركة فقد كانوا يهودا او مسلمين من اصل يهودي، وأما العون المادي فكان يجيئهم عن طريق الدونمة ويهود سالونيكا الا ثرياء كما أنه كانت تأتيهم معونات مالية من الرأسمالية الدولية او الشبيبة الدولية من فينا و بودابست و برلين وربما من باريس ولندن»[١١]

وهكذا نجد الاصابع اليهودية قد ساهمت مساهمة فعالة في البرنامج التحريفي الموضوع لجمعية الاتحاد والترقي.. و بعد ذلك برزت الصهيونية الى السطح، فأخذت على عاتقها مسألة مساعدة القومية في تفريق الامم والبلدان الاسلامية.. واخذت دور المحرك للمؤامرات والفتن، خدمة لاهدافها المشتركة مع الغرب... وكان الغرب. يسندها بقوة و دون حدود، الامر الذي ادى بأحدهم، وهو (جاو يد) لان يصل الى منصب امين صندوق جمعية الاتحاد والترقي التى تحكم امبراطورية شاسعة وملايين من المسلمين.. ولما استمر ضغط الغرب على حزب الاتحاد والترقي، في ضرورة اعطاء المسؤولية لليهود، اضطر ذلك الحزب لاعطاء منصب (وزير المال) لجاو يد.. واستمرت مساندتهم لجاو يد ــ لان ثقتهم باليهود، اكثر من غيرهم من العملاء ــ فعندما وصل اتاتورك الى الحكم اصدر امراً باعدام (جاو يد) بسبب خلافات شخصية معه، وكان الاعدام يشمل مجموعة من الوزراء من ضمنهم ذلك الوزير

١٠ــ *Seton - Watson, "The Rise of Nationality in the Balkant" (London - 1917), PP. 135 - 136.*

١١ــ نفس المصدر السابق/ ص ١٣٤ــ ١٣٥.

اليهودي.. وهنا طار صواب الغرب تنفراً من ذلك الحكم، ليس من اجل هؤلاء الوزراء المحكومين بالاعدام، بل من اجل جاو يد وحده، فأرسلت فرنسا وزير خارجيتها، في مأمورية خاصة للاستانة من اجل انقاذه!!

واذا اردنا ان نقرأ وصفاً جيداً، عن سبب تلاحم الصهيونية مع الغرب والمسيحيين ضد المسلمين فما علينا الا تذكّر مقولة رئيس الوزراء البريطاني في هذا المجال، اذ قال تشرشل: لقد كان اخراج القدس من سيطرة الاسلام حلم المسيحيين واليهود على السواء، ان سرور المسيحيين لايقل عن سرور اليهود. ان القدس قد خرجت من أيدى المسلمين، وقد أصدر الكنيست اليهودي ثلاثة قرارات، بضمها الى القدس اليهودية ولن تعود الى المسلمين في أية مفاوضات مقبلة ما بين المسلمين واليهود» [١٢]

و بينما كان هؤلاء الاعداء، يفكرون في وسائل تدمير المسلمين، استمرت جمعية الاتحاد والترقي تساند اوربا في مخططاتها وتمنحها الامتيازات المهمة...! حيث قال (طلعت) أحد القادة الثلاثة في رسالة بعثها الى او بدي هربرت عضو البرلمان الانجليزي: «اننا نحن تركيا الفتاة اعطينا لكم تركيا على طبق»...!! وهذا القول لا يحتاج الى تعليق.!

ولما انجز الاتحاديون ماعليهم من خدمات لاوربا وفعلوا جرائمهم العنصرية ضد المسلمين، لاحظوا فشلهم في استمرار ضم المسلمين العرب و عدم تحقق الوحدة الطورانية وادركوا نوايا بريطانيا وفرنسا في اقتطاع الامبراطورية وتقسيمها.. يومها عرفوا بأن خدماتهم وخياناتهم وخضوعهم لبريطانيا وفرنسا لم تنفعهم شيئا..! ومن حينها اتخذوا المانيا سيداً ومستعمِراً (بالكسر) وحامياً جديداً بدل فرنسا و بريطانيا..!!

و بانحرافهم الجديد؛ إرتكب الاتحاديون غلطة اخرى؛ بدخولهم

١٢ــ مأساة مراكش ــ روم رولاند/ ص ٣١٠.

الحرب الى جانب المانيا، مما ساعد بالتالي على اقتطاع فلسطين واستعمار البلاد العربية الاسلامية ودخول العلمانية والقومية والصهيونية اليها.

و بدخول تركيا الحرب التفتت الى العرب لحثهم على المشاركة، ولكن اعمالها المشينة كانت تحول دون ذلك.

قال الجنرال الالماني (ليمان فون ساندرز) قائد القطاع الجنوبي التركي في الحرب العالمية الاولى في ٢٥/ت١/١٩١٦ للجنرال لودندورف: «ان الاجراءات الصارمة القاسية التي اتخذها جمال باشا بحق العرب، جعلتهم يتخلون عن تركيا وافقدتهم كل عطف نحو الاتراك ... ان سياسة الحكومة التركية المؤسفة والمحزنة نحو البلدان العربية قد جعلت من العرب اعداء الداء»[١٣].

لذا فان جرائم و خيانات جمعية الاتحاد والترقي واثارتها النعرة القومية في البلاد هي التي سهلت على فرنسا و بريطانيا نشر الداء العضال (القومية) بين المسلمين بواسطة اليهود والمسيحيين.

ورغبة الاتحاد والترقي والغرب في إثارة النعرة القومية بين المسلمين هي التي نصبت السفاح جمالاً والياً على بلاد الشام الذي اراق واباح دماء المسلمين.

لذا اصبح بالامكان اضافة اسم جمال باشا السفاح الى قائمة مؤسسي القومية العربية(!) بجهوده التي بذلها في هذا المضمار، الى جانب مؤسسي القومية العربية الغرباء من امثال مكماهون، ولورنس، واللنبي، وعازوري، وشميل، وزريق.

ولما شعرت فرنسا و بريطانيا بتحول جمعية الاتحاد والترقي، نحو الاستعمار الالماني، عندئذ جرى التخطيط لانهاء الجمعية، وإبراز طرف آخر محلها(!) يؤمن بما كانت تؤمن به الجمعية المذكورة، من قومية

١٣ــ راندولف تشرشل، حرب الايام الستة/ ص ١٢٩ (من الترجمة العربية).

وطورانية ولكن بشرط ان يكون معادياً لالمانيا... فأختير اتاتورك المعادي للاسلام والعرب والروس والالمان والخلافة والمؤيد للغرب (بريطانيا) والعلمانية والطورانية والصهيونية!!! اذ وجدت بريطانيا وفرنسا في اتاتورك كل آمالها و تطلعاتها و رغباتها و كان هو عند حسن ظنها فيه اذ لم تبق فتنة الا واعدّها، ولا عصبية الا وحركها، ولا نهضة اسلامية الا ودمّرها.. وثمرة افعاله تبرز في حال تركيا الآن، التي يرثى لها، وحال البلاد العربية التي يؤسى لها.

اتاتورك صنم القومية

منذ اعلان الرسول محمد(ص)، عن رسالته الاسلامية السماوية، لم تتعرض الحركة الاسلامية الى صدمة، مثلما تعرضت له على يد الحركة القومية في القرن العشرين.

فلا حركات الردة التي جاءت بعد وفاة الرسول(ص) ولا حملات التتر، ولا غزوات الصليبيين، استطاعت ان تشتت الامة الاسلامية مثلما فعلت القومية وعلمانيتها...

فحركات الردة قُمِعَتْ، والتتر تحولوا الى مسلمين، والصليبيون رُدوا على أعقابهم، اما القومية وبالاسلوب الجديد للاستعمار، فقد وجدت من الزبائن الكثير..!!!

هجمات الاعداء الثلاث آنفة الذكر استهدفت الجسد أمّا في هجمة القرن العشرين فقد استهدفوا الرأس، اي الذهن والفكر لمسخه وتضليله، وهنا تكمن المصيبة.

لذا كانت الحملة الاخيرة من اخطر واكبر الهجمات الاستعمارية على مرّ التاريخ.. وهي بمثابة تحول رهيب في استراتيجية وطرق ووسائل الاستعمار وتعد سلاحاً بديلاً عما استخدمه الصليبيون في

حملاتهم.

ان حملات الصليبيين فشلت لتماسك واتحاد المسلمين. اما حملات القومية العلمانية فنجحت لتفككهم وتناحرهم.. يوم شن الصليبيون حملتهم، كان الحاكم هو الهلال، اما يوم شنت القومية العلماينة حملتها، فكان الحاكم هم المستبدون العلمانيون من جمعية الاتحاد والترقي واتباع لورنس ومكماهون.

ان المسيحين واليهود والصليبيين والصهاينة انهزموا في حروبهم مع المسلمين، ... اما مع القوميين فالنتيجة كما تشاهدون: سلب فلسطين واحتلال لبنان وإذلال و استغلال وتبعية بقية البلدان العربية والاسلامية..!!!

فبعد نضال القوميين طيلة العقود الثمانية الماضية، أصبحت النتيجة كما تعرفون.. فماذا سيكون لو استمرت الحال على هذا المنوال من النضال..!!

المسلمون الاوائل هزموا الامبراطوريتين العظيمتين الفارسية والبيزنطية، واحفادهم حطموا التلاحم الصليبي لجيوش اوربا بقيادة ملوكها، اما قادة القومية، طلعت، واتاتورك ، وعازورى، وشبلي شميل، وعفلق وصدام فقد اصبحوا طابوراً خامساً وأعواناً تبعاً لهم..!!

تجربة اتاتورك :

جمعية الاتحاد والترقي، والحركات القومية العربية، ومؤتمرات باريس، وثورة لورنس (الثورة العربية الكبرى)، ونصائح مكماهون، وقيادة اللّنبي مثّلث المرحلة الاولى من مراحل الاستعمار الفكري والتغرب الذهني. فهؤلاء حملوا القومية وعلمانيتها ونشروها وجابوا الآفاق في حمل الناس عليها في زمن ما قبل الحرب الاولى.

اما المرحلة الثانية فقد حمل لواءها مصطفى أتاتورك .. وتمثلت

في التطبيق الحرفي للقومية والمسخ والعداء العلني للخلافة والرابطة والمبادئ الاسلامية، في مرحلة ما بين الحربين.

وهناك نقطة مهمة جديرة بالملاحظة و هي ان المرحلتين الاولى والثانية بدأ تطبيقهما في تركيا.. مركز الخلافة الاسلامية!!

المرحلة الاولى قادتها جمعية تركيا الفتاة وجمعية الاتحاد والترقي، والمرحلة الثانية تصدى لها اتاتورك .. ليس هذا فحسب بل ان الانقلاب القومي بدأ اولاً في تركيا في ١٩٠٨، ١٩٠٩ و من ثم قامت الثورة العربية الكبرى! عام ١٩١٦، والحركة القومية الايرانية عام ١٩٢٣ والحركة القومية الكردية..!!! ذلك ان الاستعمار كان يعرف بأن انظار المسلمين منشدّة الى تركيا عاصمة الخلافة ومركز الامبراطورية لذلك بدأت الحركة، والمؤامرة والحكم القومي منها..!! ففرنسا و بريطانيا ارادتا من عملها ذلك، تحطيم وتهشيم رأس الامبراطورية الاسلامية.. ليسهل التهام الاجزاء الأخرى.

وكما توقع الغرب.. عمل عازوري واسكندرعمون على تقليد دعاة الطورانية الاوائل.. وسارت الحركات القومية العربية على خطى جمعية (ترك ــ درنكي) والاتحاد والترقي.. واستلهم الشريف حسين مبادئ ثورة أنور وطلعت وجمال السفاح..! وفي المرحلة الثانية اقتبس عفلق من اتاتورك طرق الحكم وتطبيق المبادئ القومية.. وهكذا أخذت القومية العربية كل ابتكارات وانجازات وتجارب القومية الطورانية.. واصبحت المقلد والتابع والتلميذ رقم(١) لها..!!! فأين الأصالة في حركة القومية العربية البعيدة عن التراث والحضارة الاسلامية.. والمستوردة لافكار الطورانيين والغربيين؟!

وكان المؤرخ والمستشرق الغربي توينبي مصيباً وواقعياً يوم قال: «تراجع القومية مرهون بتراجع الاستعمار.»

فما دامت القومية في بلادنا يجب ان ندرك بأننا مازلنا في فلك

الاستعمار وان خيوطه مازالت تلعب بمصيرنا ومقدراتنا... واننا بلا استقلال و بلا كرامة.

بعد تحول جمعية الاتحاد والترقي من التبعية (الانكلو ـ فرنسية) الى التبعية الالمانية تم استدعاء خبراء عسكريين المان واعطيت لهم مراكز مهمة:

«الجنرال ليمان فون ساندرز» مسؤول عن تنظيم الجيش التركي وتدريبه، والجنرال «فون دير غولتز» قائد للقوات التركية في البحر الاسود، والكولونيل «كريس كريستشتاين» رئيساً لاركان الجيش الرابع، والجنرال «كانينجيسير» قائداً لقوات المدفعية كما عين الكولونيل برونسارت فون شيلتدورف» مستشاراً خاصاً والجنرال «ليمان فون ساندرز» مفتشاً عاماً لجميع القوات التركية.

وكما قلنا سابقاً:

ان تحول الاتحاد والترقي نحو المانيا ودخوله الحرب الى جانبها دفعا الغرب للتفتيش عن بديل تتوفر فيه الصفات المطلوبة، مؤيدا لها ومعارضا لالمانيا.

فكان اتاتورك ..

ولد اتاتورك ونشأ في محافظة (سالونيك) أيام نشاط وفاعلية (يهود الدونمة) المتلبسين بالاسلام، وفي اثناء رواج التنظيمات الماسونية والصهيونية.. وبحكم قرب سالونيك من اوربا وتأثرها بالثورة الفرنسية والحركات القومية الاوربية و بالعلمانية الغربية نشأ (مصطفى كمال) وتربى في احضان بعيدة عن الاجواء والمبادئ الاسلامية وقريبة من القومية والعلمانية والماسونية. و يوم كانت الماسونية تمد خيوطها في التنظيمات الحزبية إنخرط مصطفى كمال في (جمعية الوطن) السرية لعدائها للسلطان عبدالحميد ولايمانها بالافكار والمبادئ التي كان ينشرها اليهود الاسبان (الدونمة)... فهؤلاء اليهود لم تكفهم دسائسهم في

أسبانيا.. ولا ضيافة المسلمين والخليفة العثماني لهم بعد نفيهم من اسبانيا وتوطينهم في سالونيك بل راحوا يؤلبون الشعب على الخليفة و يناصرون الاوربيين والروس على المسلمين، و يثيرون النعرات القومية، و يبطنون التأييد للماسونية والصهيونية.. علماًبأن نشاطهم قد تضاعف بعد امتناع السلطان عبدالحميد عن استقبال هرتزل مما دفعهم لتهديد السلطان وتوعده ان لم يرض باعطاء فلسطين لليهود وتوجوا جهودهم ووعيدهم بتزعمهم لجمعية الاتحاد والترقي و باجبار الجمعية على ارسال الصهيوني (عمانو يل قره صوافندي) لابلاغ السلطان عبدالحميد بنبأ خلعه من الخلافة!!! هكذا في زمن القوميين الا تراك اصبح اليهود هم الذين ينصبون ويخلعون السلاطين. علماً بأن اتاتورك الطموح للسلطة لم يكن يهمه التعاون مع اليهود ام مع الشيطان.. و بسبب ذلك الطموح إنخرط اتاتورك في فكر الماسونية، التي يسيّرها اليهود... كيف لا وهو يعرف ان الجيش الذي اسقط السلطان عبدالحميد تحرك بدعم ودفع هؤلاء، و من ارض سالونيك بالذات.

وكان مصطفى كمال اتاتورك ضد دخول الحرب الى جانب المانيا وكان يفضل بريطانيا على المانيا و بسبب ذلك وقف ضد انور، وهو احد القادة الثلاثة للدولة وضد القادة الالمان العاملين في الجيش، مما دفع انور الى نفيه وتعيينه ملحقاً عسكرياً في صوفيا.

و بعد نفي أتاتورك ماذا حدث؟

وهنا بالذات تطابقت وجهات نظر اليهود واتاتورك والحلفاء في معاداتهم لالمانيا وهذا التطابق دفع بهؤلاء لاختياره قائداً لتركيا وخلفاً لحزب الاتحاد والترقي. فبعد اعلان العصيان من قبل مصطفى اتاتورك ضد السلطان في شهر ايار/١٩١٩ وجدت فيه بريطانيا ضالّتها المنشودة خاصة و ان السلطان «وحيدالدين» كان ضعيفاً ومشكوكاً فيه من حيث علاقته مع المانيا وزيارته لها. كما ان صهر السلطان «الداماد فريد»

رئيس الوزراء كان ضعيفاً ايضا مما سهل بالتالي على الروس النفوذ الى البلاد. اما عن رأي الغرب في السلطان؟ فبسبب ميله وصهره للخلافة والوحدة الاسلامية ورغبته في المانيا، فقد اصبح معادياً لاستراتيجية فرنسا و بريطانيا في المنطقة وهذا ما أدى الى عدم مساعدة بريطانيا للسلطان وحيدالدين (محمدالسادس) في اثناء عصيان و تمرد أتاتورك عليه... مما سهل بالتالي في توسع رقعة الأرض التي تتبع مصطفى اتاتورك .. بل انها نفّذت مؤامرة استهدفت اسقاط الخليفة في نظر الشعب والعالم وابراز شخصية مصطفى كمال اتاتورك تمثلت في معاهدة سيفر التي عقدت في ١٠/آب/١٩٢٠ إذ ارغموا الداماد فريد باشا على توقيعها وقد نصت على انتزاع القسم الشرقي كله من تركيا بما في ذلك مناطق «كارس» و «اردهان» و «ارضروم» واعلانهم جمهورية ارمينيا مستقلة، كما قضت بانشاء دولة كردية مستقلة جنوب الجمهورية الارمنية تضم جميع المناطق الواقعة شرقي نهر الفرات. في حين تعطى «كيليكيا» والجنوب كله لفرنسا. اما ايطاليا فقد اعطيت جميع المناطق الواقعة في جنوب ــ غربي الاناضول بموازاة خط يمتد من بورصة حتى «قيصرية» ويخترق «افيون قره حصار». بينما حظيت اليونان بمدينة ازمير وغربي الأناضول كله بالاضافة الى تراقيا الشرقية بما في ذلك ادرنه وغاليبولي حتي ماريتزا وجزر الدوديكانيز. اما العاصمة اسطنبول وشواطئ بحر مرمرة، فقد اعلنت مناطق مجردة من السلاح بينما اخضع مضيق البسفور ومضيق الدردنيل لرقابة لجنة دولية تقرر كيفية عبورهما في حالتي السلم والحرب... وهكذا لم يتبق لتركيا سوى رقعة صغيرة من الارض تبلغ مساحتها ١٢٠/٠٠٠ كيلومتر مربع تتألف معظمها من اراض قاحلة غير صالحة للزراعة او لأي شكل من اشكال الحياة. اما الشعب التركي نفسه، فقدوضع تحت نوع من العبودية لم يعرفها اي شعب آخر في التاريخ، اذ اخضعت جميع حركاته وسكناته لنظام رقابة صارم: فالموارد

المالية وضعت تحت اشراف لجان اجنبية، على ان تدفع بالدرجة الاولى كتعويضات حرب للحلفاء. كما تألفت لجنة حليفة للاشراف على حل الجيش العثماني كله واستبداله بقوة رمزية من (الجندرمة). واعيد (نظام الامتيازات) الذي كان السلطان عبدالحميد قد اقرّه تحت ضغط الدول العظمى.

كما اخضع البوليس والنظام الضرائبي والجمارك والمياه والغابات والمدارس الخاصة والرسمية للرقابة الدائمة من قبل الحلفاء!!! اما موارد البلاد والامتيازات الخاصة باستثمارها التي كانت قائمة قبل الحرب كالسكك الحديد والموانئ وسواها، فقد تقرر اعلانها (شركات احتكارية) للدول الحليفة.

وعلى اثر انتشار خبر المعاهدة وقف الشعب التركي بكل فئاته من رجال ونساء ضد الحلفاء، وضد الحكومة والسلطان باعتبارهما قد اصبحا مطية للاستعمار وهذا ما كان يريده المستعمرون اذ فصلوا السلطة (الخليفة) عن الشعب واسقطوا النظام من اعين الجماهير..(!)

ليس هذا فحسب بل شجعوا اليونان على غزو تركيا واقتطاع ازمير(!) وفعلاً تحرك الجيش اليوناني واحتل ازمير وأعمل القتل والنهب والاغتصاب والحرق في اهلها..! كل ذلك لاظهار السلطان بمظهر الضعيف والجبان.

واستمرت بريطانيا في احتلالها لاسطنبول مركز الخلافة وحصر الخليفة في قصره.

وبعد تصدي اتاتورك (الرجل الطوراني والعلماني) للمعارضة بذلت بريطانيا وفرنسا كل ما في وسعهما لتمكينه في خطوته وحركته. فعندما تحرك اتاتورك نحو القوات الفرنسية في جنوب البلاد لم تحاربه الاخيرة رغم قوتها وقدرتها على ذلك بل تعهدت لاتاتورك بالانسحاب من كليكيا في المعاهدة التي عقدت بين الطرفين ثم اوقفت تأييدها للاكراد

في جمهوريتهم الموعودة وامتنعت عن مدهم بالسلاح مما سهل على أتاتورك تشتيت حركتهم والانتصار عليهم و بالتالي ضم أراضيهم الواسعة الى سلطته.

اما من جهة اليونان فقد سحبت بريطانيا وفرنسا تأييدهما لها وتركتاها وحيدة في الميدان... ليس هذا فحسب بل فكت القوات الفرنسية الحصار عن ثمانين الف جندي تركي كانوا محاصرين في كليكيا لمساعدة اتاتورك في حربه مع اليونان، ودخلت فرنسا ذاتها الحرب الى جانب تركيا يوم سلحت ٤٠/٠٠٠ جندي تركي.[١٤]

كما انسحبت القوات الايطالية من المناطق التي تحتلها بعد مناوشات حدثت بين الطرفين.. لاحظ مدى المعارضة للخليفة ومدى الدعم لا تاتورك والاهم من هذا كله هو سماح القوات البريطانية المحتلة للقسم الغربي من تركيا لقوات اتاتورك بدخول القاطع الغربي لمحاصرة القوات اليونانية و بذلك سهلت فرنسا و بريطانيا لا تاتورك ضم كل اجزاء تركيا في حين انهما منعتا السلطان من اي عمل عن طريق سجنه في قصره واذلاله بالمعاهدات والشروط المهينة.

ولـمّا تمكن اتاتورك من السيطرة على الحكم، عقد الاستعمار (الانكلو ـ فرنسي) معاهدة جديدة معه هي معاهدة لوزان.. أعطيت بموجبها الاراضي المغتصبة لتركيا ولكن بشروط مذلة لمسلمي تركيا والخلافة الاسلامية.

اذ اشترطت بريطانيا على اتاتورك عدم انسحابها من تركيا الا بعد تنفيذ الشروط التالية:

(١) ـ الغاء الخلافة الاسلامية، وطرد الخليفة من تركيا ومصادرة أمواله.

---

١٤ ـ اتاتورك / مصطفى الزين / ص ١٢٨.

(٢)ــ ان تتعهد تركيا بإخماد كل حركة يقوم بها أنصار الخلافة.

(٣)ــ ان تقطع تركيا صلتها بالاسلام.

(٤)ــ أن تختار لها دستوراً مدنياً بدلاً من دستورها المستمد من أحكام الاسلام.[١٥]

ولما نفذ كمال اتاتورك الشروط السابقة، انسحبت الدول الاوربية من تركيا منتصرة بعد دحرها لدولة المسلمين وابعادها الاسلام والخلافة عن دولة المسلمين واليكم موقف الغرب من المعاهدة المبرمة:ــ

(ولما وقف (كرزون) وزير خارجية انكلترا في مجلس العموم البريطاني يستعرض ما جرى مع تركيا، إحتج بعض النواب الانكليز بعنف على كرزون، واستغربوا كيف اعترفت انكلترا باستقلال تركيا التي يمكن ان تجمع حولها الدول الاسلامية مرة اخرى وتهجم على الغرب.

فأجاب كرزون: «لقد قضينا على تركيا التي لن تقوم لها قائمة بعد اليوم... لاننا قضينا على قوتها المتمثلة في أمرين: الاسلام والخلافة».

فصفق النواب الانكليز كلهم وسكتت المعارضة).[١٦]

افعال اتاتورك :

بعد تربع اتاتورك على عرش البلاد ومحاولته ارجاع الاتراك الى ماقبل الاسلام ــ كما تريد بريطانيا وفرنسا ــ الغى السلطنة عام ١٩٢٢ ونصب نفسه دكتاتوراً مطلقاً للبلاد.. فخنق الانفاس وقمع الحريات مما أدى الى وقوف اقرب اصدقائه وحلفائه في صفوف المعارضة من أمثال

١٥ــ الارض والشعب/ ص ٤٦/ ج ١.

١٦ــ كيف هدمت الخلافة/ ص ١٩٠.

رؤوف، وكاظم قره بكير، ورأفت، وعلي فؤاد، و نورالدين باشا، وعارف، اضافة الى الجمعية الوطنية، ورجال الدين وكل المسلمين الاتراك.

وكما تعهد اتاتورك بتنفيذ شروط معاهدة لوزان الاستعمارية، فقد الغى الخلافة الاسلامية واعلن الجمهورية في ٢٩/ت١/١٩٢٣.

واستناداً الى الشرط الثالث من معاهدة لوزان في محاربة الاسلام وارضاءً لحقده الدفين على الاسلام والمسلمين فقد شرع اتاتورك بعد تربعه على كرسي رئاسة الجمهورية في حملة شعواء ضد القيم والمبادئ والتقاليد الاسلامية.

اذ اراد ان يغير كل ما لدى المسلمين الاتراك. فبعد الغائه للخلافة اصدر أمراً بوضع القبعة الاوربية بدل الطربوش ومنع الجبة والعمة.

«فنفذ رجال الامن أوامر الغازي (اتاتورك) بكل دقة وصرامة فراحوا يجوبون المدن و يضربون ويجلدون و يسجنون وأحياناً يطلقون الرصاص على كل من يرفض الاذعان للقانون الجديد»[١٧].

يذكر ارمسترونغ: «ولما لم يجد الناس قبعات كافية لتغطية رؤوسهم، هاجموا متجراً لبيع قبعات نسائية! يمتلكه رجل أرمني فابتاعوا محتوياته وارتدوها بريا شها واشرطتها الملونة!! ولما حاول أحد النواب من العسكريين الكبار ـــ وكان برتبة جنرال يدعى نورالدين باشا ـــ الاعتراض على قرار الغاء الطربوش طرده مصطفى كمال من الجمعية الوطنية وجرده من رتبته العسكرية»[١٨]. هكذا هي القومية وهكذا كان الدكتاتور اتاتورك.

١٧ـــ اتاتورك/ مصطفى الزين.

١٨ـــ نفس المصدر السابق.

كما أجبر الناس على ارتداء اللباس الاوربي القميص والسروال (البنطلون) وفي ٣/ت ١٩٢٨/٢ أقرّ اتاتورك الزامية كتابة التركية بالحرف اللاتيني بدل الحرف العربي... هادفاً من وراء ذلك ابعاد الاتراك عن الحرف العربي و بالتالي عن القرآن والسنة والكتب الاسلامية المكتوبة باللغة العربية والتركية والفارسية، وشحن تلك الكتب التي لا تعد ولا تحصى الى الاسكندرية وايران..!! لاحظ ان اتاتورك لم يكن طورانياً حقاً اذ الغى الاحرف التركية ودعا الى الكتابة بالاحرف اللاتينية الاجنبية! فكان بالمرتبة الاولى غربياً و بالمرتبة الثانية قومياً وهكذا هم بقية القوميين..

في حين «حاول جمال الدين الافغاني الحسيني اقناع عبدالحميد بأستبدال التركية بالعربية وقال: اذا فعل هذا فان الامبراطورية العثمانية كدولة اسلامية والسلطان كخليفة للمسلمين يزدادان قوة ومنعة ونفوذا في العالم العربي والاسلامي»[١٩].

و بعد الغاء مصطفى كمال للخلافة والرابطة والأحرف والملابس والمكتبات الاسلامية، أغلق المعاهد والمدارس الدينية ونفى رجال الدين وحارب المساجد ودورها الإسلامي. وادخل القوانين القضائية الغربية وفرض دستوراً علمانياً وأبعد تركيا عن البلاد الاسلامية وقرّبها من أوربا كما فرض اللباس الغربي على الجيش، وطبق المبادئ العنصرية الطورانية وكل التقاليد والقيم والاحكام الغربية متصوراً بأنه في نهاية هذا الطريق سوف تأتي الحضارة والتقدم.

و بعد مرور ستين سنة على تلك القرارات واستمرار تركيا على نهج وخطى أتاتورك نجد بأن تركيا تسير في كل يوم نحو التبعية والاستعمار والانحلال والتفسخ والتأخر.. وهي اليوم تستجدي الدولار من اوربا،

١٩ــ خاطرات جمال الدين الافغاني. م المخزومي / ص ٢٣٦ ــ ٢٣٧.

والسلاح من امريكا، واراضيها مرتع للقواعد الامريكية والغربية والصهيونية وهذا ما اراده اتاتورك ..! وهذا ما ارادته القومية...! و هذا ما اراده الكفر...! وهذا ما اراده الاستعمار...!

من هذا نفهم بأن القوميين الذين يريدون تطبيق القومية والعلمانية في بلادنا العربية، يريدون السير على نهج و مبادئ أستاذهم ومعلمهم وكبيرهم أتاتورك مثلما قال السادات. فكمال ارادها قومية طورانية، وهؤلاء أرادوها قومية عربية...!!

بعد ذلك السرد نجد بأن القومية العربية والقوميين العرب، مدينون كثيراً لأتاتورك دكتاتور القومية ورجلها الأول في العالم الاسلامي... فليعرفوا بأنهم أحفاد أتاتورك الطوراني الصهيوني وليسوا أحفاداً للرسول(ص). وللتأكد من شخص وأصل أتاتورك تستلزم مراجعة (دائرة المعارف الماسونية المصورة) إذ جاء في صفحة ١٦٢: «إن أتاتورك هوأحد أقطاب الماسونية» و قال عنه توينبي في كتابه (العظماء المعاصرون): «إن دماً يهودياً يجري في عروق الأسرة الكمالية».

ويمكن تلخيص أعمال أتاتورك المعادية للاسلام في النقاط التالية:ـــ

* الغى عيد الفطر وعيد الاضحى لعدة سنوات.
* جعل يوم الاحد يوم العطلة الاسبوعية بدلاً من يوم الجمعة.
* منع الحج لسنوات عديدة.
* هدم الخلافة التي كانت مصدر قلق كبير للغرب.
* منع الحجاب.
* فرض الأذان باللغة التركية.
* حوّل أيا صوفيا من جامع الى متحف... و بذلك طمس رمز انتصار المسلمين على الاوربيين... وحول (مسجد الفاتح) الشهير الى

مستودع.

* اغلق المكتبات الاسلامية وصادر كتبها.
* اغلق المعاهد والمدارس الدينية.
* حارب علماء الدين وطاردهم ونفى الخيرين منهم.
* حول البلاد الى دار نفايات لكل ما هو شاذ في اوربا فملأها بالمشروبات المسكرة، ودور البغاء والفجور، واستورد قيم الخلاعة والفساد.
* قطع علاقة تركيا بالبلاد الاسلامية وربطها بالبلدان الغربية.
* الغى الأحرف العربية واستورد الأحرف اللاتينية.
* جعل الحكم دكتاتورياً مستبداً.
* مسخ كل الافكار والقيم والشرائع والاحكام والعادات الاسلامية.
* ادخل المبادئ والافكار القومية العنصرية في كافة المجالات.
* أقرّ زواج المسلمة بغير المسلم. ومساواة المرأة بالرجل في الميراث.
* الغى من الدستور النص على ان دين الدولة الاسلام، والغى التشريع الاسلامي الذي اطلق العهد الجديد عليه «شريعت عتيقيت» اي القانون البالي واستبدل به القانون المدني السويسري والقانون الجنائي الايطالي.
* الغى التقويم الهجري.
* حارب المساجد ووضع شروطاً قاسية لاقامة مسجد، كذلك خفّض عدد الوعاظ الى (ثلاثمئة) واعظ.
* حذف من مناهج الكليات التعليم بالعربية.

وبعد ذلك نريد أن نقدم وثيقة مذهلة تبين مدى ارتباط مصطفى كمال بالغرب وبالانجليز بالذات، اليكم الوثيقة التي ننقلها بنصها الحرفي من جريدة الاهرام التي قامت بنقلها من جريدة «صندي تايمس» في يوم الخميس، ١٦/ذي القعدة/١٣٨٧ المصادف (١٥/فبراير

(شباط)/١٩٦٨ تحت عنوان:

«كمال اتاتورك رشح سفير بريطانيا ليخلفه في رئاسة الجمهورية التركية».

نشرت «صندي تايمس» صفحة من اغرب صفحات اسرار التاريخ الدبلوماسي بعنوان «كيف رفض رجلنا ان يحكم تركيا».

قالت الصحيفة: انه في نوفمبر ١٩٣٨ كان كمال اتاتورك رئيس تركيا يرقد على فراش الموت، وعلى امتداد ١٥ سنة حاول اتاتورك بدكتاتورية صارمة، ان يجرجر تركيا رغم أنفها و يدخلها الى القرن العشرين، ومنع لبس الطربوش والحجاب وحطم سلطان الدين وادخل نظام اللغة التركية بالحروف اللاتينية.

وعندما رقد اتاتورك على فراش الموت كان يخشى الا يجد شخصاً يخلفه قادراً على استمرار هذا العمل الذي بدأه فأستدعى السفير «بيرسي لورين» السفير البريطاني الى قصر الرياسة في اسطنبول. أما ما دار بينهما فقد ظل سراً أكثر من ثلاثين عاماً، وها هو اليوم يكشف النقاب عنه — لاول مرة — على يد «بيرز ديكسون» عن حياة والده «السير بيرسون ديكسون» فقد كان بين اوراق ديكسون برقية بعث بها «بيرسي لورين» الى اللورد هاليناكس وزير الخارجية، وربما كانت هذه البرقية اغرب وثيقة تاريخية في التاريخ البريطاني المعاصر على الاطلاق. ففيها يروي لورين تفاصيل مقابلته غير المألوفة مع الدكتاتور المحتضر: «عندما وصلت.. وجدت صاحب الفخامة يجلس في فراشه تسنده بعض الوسائد ويحيط به طبيب وممرضتان... وما ان دخلت حتى صرف الرئيس الطبيب والمرضتين قائلاً لهم انه سيضرب لهم الجرس اذا احتاج لهم، وعندئذ بدأ فخامته يتحدث ببطء ولكن بعناية شديدة وقال لي انه أرسل في طلبي لأنه يريد أن يطلب مني طلباً عاجلاً راجياً ان اعطيه جوابي عليه بطريقة قاطعة.

ولقد كانت صداقتي ونصيحتي اليه هي الوحيدة التي كان يحفل بها و يقدرها اكثر من أية نصيحة اخرى لأنها كانت ثابتة لا تتغير، وكان هـذا هو السبب الذي جعله يستشيرني في مناسبات متعددة... بحرية تامة كما لو كنت وزيراً في مجلس الوزراء التركي.

وقد كان من سلطاته كرئيس للجمهورية ان يختار خليفة له قبل وفاته. وقد كانت اخلص رغبة له هي أن أخلفه في منصب الرئيس ومن ثم فقد كان يريد ان يعرف رد فعلي على مثل هذا الاقتراح.

و بعد بضع دقائق من التفكير الصامت قلت لفخامته: ان جوابي هو أنني عاجز تماماً عن ان أجد الكلمات التي تعبر عن مشاعري بصدق، او بما فيه الكفاية! و بالفعل فقد كانت مشاعري في هذه اللحظة مهزوزة بـأعـمق مما استطيع ان أذكر أنني أحسست به من قبل، في أي وقت أخر من حياتي.

فبهذا الاقتراح طال فخامته لوناً قريباً من الثناء والمديح، لا بـشخصي أنا فحسب؛ وإنما للسياسة الخارجية لحكومة صاحب الجلالة.. ولـكني كـنـت أشك تماماً فيما اذا كانت أفضل ملكاتي، تتركز في المقدرة الاداريـة. كما ان مسؤوليات رئيس الجمهورية التركية تختلف تماماً عن مـسؤولـيـات الـسفير البريطاني وأضفت أنني أشعر بأن قدراتي و تجربتي، تـليق اكثرما تليق باستمراری في صفتي الثانية.. وعلى ذلك فإنني لا اجد سوى أن اعتذر آسفاً ولكن بجزم.

وعـندما انتهيت من حديثي، ظهرت على الرئيس علامات التأثر الـشـديـد ومـال بظهره الى الوسائد ودق الجرس للمرضات اللواتي اعطينه دواء من ــالعلبةــ و عندما استعاد فخامته مقدرته على الكلام، قال لي: انـه يفهم تماماً الاسباب التي دعتني الى اتخاذ هذا القرار. وقد كان رقيقاً كـعـادتـه، عندما أضاف أنه بالرغم من خيبة أمله الشديدة فقد كان هذا هـو الجـواب الـذي يـنتظره مني ولهذا فقد قرر أن يعين عصمت إينونو بدلاً

مني.

وسـانـد اتاتورك ورفع جسمه على منكبه وشدّ على يدي وشكرني على ما فعلته في سبيل تدعيم الروابط والصداقة الانجلوـ تركية، ثم غطس مـرة أخـرى بين وسـائدَه مغشياً عليه وعندئذ أحسست بأن الافضل هو أن أنسحب».

وختم بيرس لورين رسالته لوزير خارجيته بقوله: «وأكون شاكراً لـكم لو تلقيت منكم ياسيادة اللورد رسالة تتضمن موافقتكم على الموقف الذي اتخذته ورجائي ابلاغ الملك».[٢٠]

بعد قراءتكم للوثيقة الصادرة عن وزارة الخارجية البريطانية هل تـرون ان الـتـاريـخ يضم بين جنبيه عميلاً ممسوخاً، وعلمانياً خائناً لدينه وأمته ووطنه مثل كمال اتاتورك ..؟.!!

٢٠ــ الرجـل الـصنم كـمـال اتـاتـورك / تـأليف ضابط تركي سابق / ترجمة عبدالله عبدالرحمن.

(الفصل الثالث)

الحركة القومية العربية

مراحل القومية العربية

- مرحلة ماقبل نهاية الحرب العالمية الاولى.
- الحركات القومية العربية.
- دور فرنسا في الحركة القومية العربية.
- مؤتمر باريس القومي... لماذا؟
- نجيب عازوري.
- دور بريطانيا في الحركة القومية العربية.
- الامير فيصل.
- دور الصليبية في الحركة القومية العربية.
- حضارة الاسلام وتبعية القومية.
- العرب في ظل الدساتير الوضعية، والعرب في ظل الشرائع السماوية.

مراحل القومية العربية

بعد ظهور مسألة الاحزاب والحركات المنظمة في اوربا في القرن الثامن عشر انتقلت هذه الظاهرة الى العالم الاسلامي شأنها شأن بقية الظواهر الغربية...

وعلى نفس خطى بقية الظواهر المستوردة فقد جرى الاستفادة من هذه التشكيلات الحزبية بصورة سلبية لصالح الاجانب. اذ انتشرت التنظيمات السرية والعلنية في العالم الاسلامي المعارضة للدولة العثمانية والمؤيدة لتوجيهات الغرب وتطلعاته آخذة على عاتقها تطبيق احلام الغرب في العالم الاسلامي، بكل ما فيها من تصميم على ابعاد الرسالة الاسلامية وضرب الوحدة الاسلامية وقمع واذلال ومسخ المسلمين وتطبيعهم على عقائد وقيم ونعرات وتسلط الغرب...

فالغرب استفاد من التنظيمات ومازال يستفيد منها في سبيل **استمرار استعماره واستغلاله للمسلمين وخيراتهم شأنها شأن الاختراعات العلمية التي وصلت العالم الاسلامي بشكل شركات احتكارية اطبقت** سيطرتها على كافة مرافق الحياة فنهبت الثروات النفطية والمعدنية الاخرى والثروات الزراعية ولم تصلح جانباً واحداً من جوانب الحياة المختلفة من صناعية وزراعية وصحية وثقافية وعلمية وغيرها، اضافة الى الآلات

العسكرية فقد استخدمها الاستعمار الغربي في سبيل تحطيم الجيش العثماني و بقية جيوش المسلمين وليس تحديثها عن طريق النفوذ وفرض الوصاية عليها.. فتفقد الدولة الجيش والآلة بعد ان كانت تفتقر الى الآلة فقط (!)

كذلك التنظيمات الحركية اصبحت خلايا وخمائر و بؤراً للفكر والرؤى الغربية خاصة وان اغلب زعماء الحركات التنظيمية كان ممن عاش ودرس في اوربا، او من المعتنقين لمبادئها ومذاهبها ومن المرتبطين بسفارات بريطانيا وفرنسا في عواصم البلدان الاسلامية، والامثلة على هذا كثيرة لا تُعَدُّ ولا تحصى.

و بفضل التنظيمات اصبح العالم الاسلامي يفتقد الرجال والتشكيلات التنظيمية، بعد ان كان يفتقد التنظيم فقط(!)

ونستطيع القول بأن الحركة القومية في البلدان العربية قد مرّت بمراحل ثلاث، وهذا التقسيم اعتمد على اخذ الامور الجوهرية والكلية بنظر الاعتبار دون مراعاة للامور الجانبية والشاذة والجزئية:

المرحلة الاولى: تمثل زمن ما قبل الحرب العالمية الاولى.

المرحلة الثانية: تنحصر في سنوات ما بين الحربين الكونيتين.

المرحلة الثالثة: تبدأ مع نهاية الحرب العالمية الثانية ولم تنته بعد.

مرحلة ماقبل نهاية الحرب العالمية الاولى:

كانت العقود الزمنية التى سبقت الحرب العالمية الأولى تمثل صراعاً رهيباً وعنيفاً بين الدولة العثمانية و بين فرنسا و بريطانيا حول السيطرة على البلاد العربية. والارض المتنازع عليها لم تكن تمثل قارة جديدة او جزراً مهجورة بل تمثل ارض الرسالات السماوية والاماكن المقدسة للأديان الثلاثة، وارض الحضارات القديمة والاسلامية، الى جانب اهميتها الاقتصادية والجغرافية والاستراتيجية.

كان لاستقلال الولايات المتحدة الامريكية عن انكلترا عام ١٧٨٧ وظهورها كقوة منافسة للوجود الاستعماري الاوربي في الامريكتين الاثر الكبير في توجه انظار اوربا نحو العالم الاسلامي. وضعف الجانب العثماني كان عاملاً مساعداً في هذا المجال.

والعالم الاسلامي كان ارضاً يسيل لها لعاب الشركات والبرجوازيات الاوربية... واذا اضفنا الى ذلك وجود حالة الصراع القديم بين الشرق الاسلامي والغرب المسيحي، وتعلق روح هزيمة الحرب الصليبية في قلوب الصليبيين تكون المسألة اهم واكبر في نظر الأوروبيين.

هكذا بدأت المؤامرة والتخطيط حول سبل النفوذ والبقاء، وكانت القومية اقوى مؤامرة واخطر دسيسة تقذفها أوربا في الساحة الاسلامية منذ معركة (عين جالوت) والى لحظاتنا هذه فلا المجاميع التبشيرية ولا الحملات الصليبية ولا مدافع البارود؛ استطاعت ان تنجز ما انجزته القومية.

والسبب ان اوربا سابقا غزت العالم الاسلامي بسلاحها المادي اما اليوم فقد غزته بسلاحها الفكري... وكان السلاح الفتاك الذي استخدمه الغرب في الحرب الفكرية هي القومية لانه عارف بآثارها السلبية في اوربا حيث يقول الامام الخميني في هذا المجال: «من الفتن التي يطرحها المخططون لايجاد الفرقة بين المسلمين، و يقوم عملاء الاستعمار بالتبليغ لها هي القومية والوطنية».

والمعروف عن آثار القومية انها سلبية وضيقة ودخيلة حاربها الاسلام ورفضها القرآن اذ قال الله جل وعلا: «يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكروانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم».

وقال الرسول الكريم (ص): (ليس منا من دعا الى عصبية، وليس منا من قاتل على عصبية، وليس منا من مات على عصبية).

كانت مرحلة ما قبل الحرب العالمية الاولى تتمثل في وجود دولة عثمانية إسلامية تسيطر على البلاد العربية باسم الاسلام وقوى شيطانية تسعى لتحطيمها وتقسيمها.

حينها كانت فرنسا و بريطانيا تفتشان وتنقبان عن انجع الطرق لاستعمار البلاد الاسلامية، وافضل الوسائل لانهاك المسلمين، واسهل السبل لمسخ اذهانهم.

فالغرب كان يسعى لمؤامرة يفصل بها تركيا عن البلاد العربية والبلاد العربية عن بعضها وعن الاسلام. ولما كانت تجربة اوربا في تركيا متمثلة في (الحركة القومية) قد حققت المطلوب منها، وايقنت اوربا بجدارة الفكرة واهميتها في تحقيق ما هو مطلوب حينها تأكدت اوربا من ضرورة العمل على نشر القومية في البلاد العربية. ولما كانت لبنان تمثل حلقة وصل مهمة بين اوربا والعالم العربي الاسلامي لذا اتخذت منها قاعدة وميناء للقومية المراد زراعتها في البلاد العربية.

وقد لعبت اوربا دورا خطيراً في نمو القومية ونشوئها سواء كان ذلك بالمساندة المادية او المعنوية اوعن طريق تهيئة الاجواء الملائمة لها.

فأوربا لم تكن تتحمل وجود العرب متحدين مع الاسلام وفي وحدة مع بقية المسلمين... فالذكريات المرّة حول هزائمها امامهم لم يكن من السهولة نسيانها.

لذا كانت وزارات المستعمرات في الغرب تدفع سلطاتها الى مساندة القومية والقوميين والادلة على ذلك كثيرة لا تُعَدُّ ولا تحصى.

الحركات القومية العربية:

أمّا الحركات القومية التي تأسست في هذه الفترة فكانت متصلة بفرنسا واوربا بشكل أو بآخر وهنا نحاول ان نذكرها بصورة سريعة وهي: جمعية العهد، وجمعية العربية الفتاة والاثنتان تأسستا في باريس،

وجمعية النهضة اللبنانية. يقول احمد عزة الاعظمى: ان جمعية النهضة اللبنانية واعضاءها وشعبها في باريس «وكان يرأسها شكري غانم، أمّا في بيروت فكان يرأسها خليل زينبيه وفي القاهرة، كان يرأسها اسكندر عمون» بأنها كانت تمهد الطريق لاستيلاء فرنسا على سوريا ووضعها تحت حمايتها، وقد طالب شكري غانم في مؤتمر السلام بالوحدة السورية تحت اشراف فرنسا.

وجمعية الآداب والعلوم أُسست عام ١٨٤٧ انشأها الامريكيون المقيمون منهم القس (غالي سميث) والقس (وليم طومسن) بمساعدة بعض النصارى مثل الشيخ ناصيف اليازجي والمعلم بطرس البستاني.

وكذلك انشأ اليسوعيون سنة ١٨٦٨ جمعية اسمها (الجمعية السورية) ومن رؤسائها سليم البستاني وحنين الخوري، وهناك ايضا الجمعية السرية عام ١٨٧٥، وجمعية حقوق الملة العربية عام ١٨٨١... بالاضافة الى جمعية المنتدى الادبي التي اغلقت عام ١٩١٥. و الكتلة النيابية العربية التي أنشئت عام ١٩١١، و حزب اللامركزية الادارية العثماني المؤسس في القاهرة.. وكان رئيس الحزب في عام ١٩١١ رفيق العظم واعضاؤه اسكندر عمون وشبلي شميل...!! وهناك ايضا الجمعية القحطانية التي منها انبثقت جمعية العهد وقد اسسها كبار الموظفين العرب لدى الدولة العثمانية عام ١٩٠٩ وهم خليل حمادة المصري وعبد الحميد الزهراوي وعزيز على المصري.

وكذلك الجمعية الثورية العربية التي انشئت من قبل عزيز علي المصري وحقي العظم وفؤاد الخطيب.

وجمعية الاصلاح العام.. في رسالة بعث بها السيد مارلنغ قال فيها: «يبدو في الواقع ان الدوافع الحقيقية التي كانت تحدو جمعية الاصلاح البصراوية للوقوف في صف المعارضة كراهيتهم لحكم جمعية الاتحاد والترقي اكثر مما كانت المطالبة بالانفصال عن العثمانيين

وحكمهم»[1].

وبسبب تبعية هذه الجمعيات والمنظمات لاوربا فقد كانت تكيل المدح لها و تطري بالثناء عليها وعلى حضارتها وقيمها وكل ما هو غربي لذا عمدت (الجمعية الثورية العربية) الى اصدار بيان إثر اطلاق سراح عزيز علي المصري من سجن السلطة العثمانية تبين فيه فضل الانكليز في اطلاق سراحه و بأنه لولاهم لما اطلق سراحه... وكانوا يقولون في نداءاتهم الموجهة للمسلمين العرب: «يا ايها القحطانيون» في محاولة منهم للعودة الى العصر الجاهلي السابق للاسلام.

دور فرنسا في الحركة القومية العربية:

كان لباريس اليد الطولى في حركات ومنظمات واحزاب كثيرة منها:

جمعية النهضة اللبنانية التي كان جميع اعضائها من المسيحيين وهدفهم الرئيس اخراج سوريا ولبنان من السيادة التركية الى السيادة الفرنسية. ومن غاياتها تمهيد السبيل لفرنسا في سوريا ولبنان. كذلك أثّرت الدوائر الفرنسية في (جمعية العربية الفتاة) وفي مبادئها بالذات، تلك الجمعية التي أسست عام ١٩١١ ولم تذكر في نصوصها شيئا عن الاسلام.

في كتاب (ايضاحات) نص وثيقة صادرة من القنصلية الفرنسية في بيروت عليها تواقيع ميشيل التويني، و بتروطراد، و يوسف هاني، وخليل زينبية، ورزق الله ارقش والاثنان الاخيران من اعضاء الجمعية الاصلاحية البيروتية، تقول الوثيقة عن المسيحيين: «ولا تتحقق رغبة النصارى الحقيقية في سوريا بسبب نوازع التعصب الاسلامي ضد

١— *Miller. D.H. "My Diary at the Peace Conference" (1918 - 1919).*

النصارى ولان النصارى مرتبطون بفرنسا بصورة لا تقبل الانفكاك ، وان اكبر آمالهم ان تستولي فرنسا على البلاد الشامية»!!!.

وكانت معظم تلك الحركات القومية ترفع شعار الوحدة والعقيدة القومية.. وتدعو للحضارة والقيم الغربية.. وعلى اتصال دائم مع (جورج بيكو) قنصل فرنسا في سوريا..!!

هكذا كان مسير القوميين وعملهم يجريان وفق نصائح (جورج بيكو).. وتحول الاخير بين ليلة وضحاها الى قومي عروبي من نسل عدنان وقحطان.. واصبح القومي العربي الاول، والسيد الاعلى الذي لا تردّ له كلمة...! وتحولت المنظمات والجمعيات القومية العربية التي تدّعي النضال الى مجرد فروع وآذان للقنصلية الفرنسية.

واصبح زوال السلطة العثمانية ومجيء رجال القبعة والبنطال الفرنسيين بعيونهم الزرق و بوعودهم العسلية حلم الحركات القومية.

ولما كُشفت اتصالات هؤلاء القوميين، و وقعت رسائلهم في يد جمال باشا فرض اقسى العقوبات عليهم باعدامه ٣٣ منهم.

ان امثال تلك العلاقات الخائنة توضح من كان وراء الشعارات القومية ومن هو مموّلها ومساندها.. وسبب عداء هؤلاء للاسلام والوحدة والمبادئ الاسلامية.

واذا كانت فرنسا قد خدمت القومية عبر تحول باريس الى قلعة وحصن لها ودخول جورج بيكو القنصل الفرنسي كعضو في احدى الجمعيات القومية ومستشاراً وحامياً للقوميين، فان جهود بريطانيا في هذا المضمار لم تكن قليلة.

فاذا كان المسيو جورج بيكو الفرنسي قائداً للمنظمات والجمعيات القومية فان المستر «لورنس» كان زعيماً للثورة العربية الكبرى!

وكانت خطة فرنسا التي تنازلت عن الدين نهائياً بعد الثورة تتمثل في مد سلطانها القومي الى حيث امكن والقضاء على العقبة الرئيسة في وجه سلطانها الا وهي الرسالة الاسلامية... ومن خلال اعمال اوربا نجدها قد قسمت العالم العربي الى قسمين: القسم الاسيوي والقسم الافريقي.

القسم الاسيوي، كان هو المستهدف في حملة القومية التي جابت بلدانه من اقصاها الى اقصاها في مرحلة ما قبل الحرب العالمية الاولى والسبب معروف وهو كون ذلك القسم تابعاً للدولة العثمانية. وان القومية هي التي ستعزل ذلك الجزء عن الاستانة.

اما القسم الثاني: اي البلدان العربية الافريقية فالاستعمار الاوربي تمكن من اقتطاعها من الدولة العثمانية في القرن التاسع عشر وأخذ يسعى منذ ذلك التاريخ في طريق تحويلها نحو العلمانية.

وكانت فرنسا تنظر لصراعها مع البلدان العربية على انه امتداد للحروب الصليبية اذ قال (مسيو بيدو) وزير خارجية فرنسا عندما زاره بعض البرلمانيين الفرنسيين وطلبوا منه وضع حد للمعركة الدائرة في مراكش ما نصه: «انها معركة بين الهلال والصليب».

ورغم ذلك الصراع المرير الذي كانت تخوضه بريطانيا وفرنسا ضد المسلمين استمرت عمالة العلمانيين لتلكما الدولتين بغض النظر عن هويتها وهدفهما.. اذ قال عنهم محمد جلال كشك: ان اللا إسلامية كانت تسك في دار (سك العملة) في باريس ولندن و من ثم فهي تحمل رموزهما.

وبسبب مساندة فرنسا للقوميين سياسياً وعسكرياً ومالياً فقد تمكن (خليل غانم) سنة ١٨٨١ من اصدار جريدة (البصير) في باريس.

وقد وضعت باريس كل ثقلها السياسي والثقافي والاعلامي والعسكري لمساعدة التوجهات القومية العربية وتأسيس الاحزاب

والصحف ودور النشر ذات التطلعات القومية.

مؤتمر باريس القومي... لماذا؟

من الاسئلة التي تخطر على بال المثقفين وغير المثقفين، المسلمين وغير المسلمين هي لماذا ظهرت و برزت الحركات القومية والعلمانية والصهيونية في تركيا والبلدان العربية في أواخر القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين؟

ومن الاسئلة أيضا: لماذا قسّمت أراضي البلدان الاسلامية في هذه الفترة بالذات؟ ولماذا في المنظمة الاسلامية؟ والاهم من هذا هو اختيار مكان نزول الرسالات السماوية للدعوة القومية؟

الجواب على امثال هذه الاسئلة ليس شائكاً ولا معقداً، بل بمجرد معرفتنا لافرازات النهضة الاوروبية والصراع بين الكنيسة وأعدائها، والزحف الاستعماري الاوروبي لاحتلال البلدان الاسلامية ومسخ أفكارها الدينية عندئذ نفهم سبب ظهور كل هذه الحركات الداعية للافكار الغربية في ارض مهبط الرسالات السماوية.

يوم كانت القيم والافكار والمبادئ والاحكام الاسلامية مزدهرة وقوة المسلمين تلوح في الآفاق البعيدة لم يستطع الغرب اللاتيني ان يجابهم مع شعورهم بعظمة حضارة المسلمين وتفوقهم عليهم.. وفي عصور الانحطاط التي مرّت بها البلاد والشعوب الاسلامية وقيام النهضة الاوروبية وجدت القوى.الغربية ان فرصتها قد دنت وان أهدافها قريبة التحقق.. فكان الاحتلال والاستغلال ومسخ الافكار الاسلامية وتجزئة البلاد الى دويلات صغيرة.

ومن جملة الركائز التي استند اليها الغرب وعمل على نشرها كانت الدعوة القومية... فهذه الدعوة تختلف مع الاسلام في صلب مبادئه وأسسه وسرّ قوته و حضارته.

ولما كانت القدس لها مكانة تجتمع حولها كلمة المسلمين لذا أعطيت فلسطين الى الصهاينة لاضاعة نقطة الالتقاء والوحدة بين الشرق الاسيوي والغرب الافريقي.

ان هدف الغربيين كان يتمثل في القضاء على كل ما يستند عليه المسلمون في وحدتهم واتحادهم. ولما كانت ذاكرتهم تنبئهم بأنَّ سِرَّ قوة المسلمين في الحروب الصليبية هو تحالف مسلمي الشام ومصر و مسلمي آسيا و افريقيا، لذا سعت اوروبا الى انشاء اسرائيل وقطع طريق الوحدة.

واجهدت فرنسا وبريطانيا و بقية البلدان الاوروبية نفسها في احياء ونفخ الروح الجاهلية في الحركة القومية العربية، وكانت جهودها متوازية مع الجهود التي بذلتها في سبيل الحركة الصهيونية.. فكان عازوري القومي وهرتزل الصهيوني معاً من أدوات بريطانيا المستخدمة ضد الحركة الاسلامية... الأول صليبي يهدف الى فصل لبنان والبلدان العربية عن الاسلام، والثاني يهودي يهدف الى اقتطاع فلسطين عن الجسد الاسلامي وتحويلها الى قاعدة للصهيونية والرأسمالية العالمية!!

ومن سياق الاحداث اهتمت اوربا بمراعاة الصهيونية... فانتهت باصدار وعد بلفور وسلخ فلسطين ودأبت على نصرة الحركة القومية العربية فسلخت بقية البلدان العربية عن الاسلام.

و بين هذه الحركة وتلك عقدت معاهدة سايكس ــ بيكو الفرنسية البريطانية... (لاحظ التخطيط الاستعماري!)

الزهراوي واسكندرعمون:

اتفق مؤرخون كثيرون على اعتبار مؤتمر باريس اساساً للحركة القومية الحديثة وأنه جاء بفضل فرنسا ودعمها ومساندتها ورعايتها للحركة القومية.

المؤتمر انعقد من ٦/١٧ الى ١٩١٣/٦/٢٣ وترأس المؤتمر (الزهراوي)، وحضرته الشخصيات العربية التي تؤمن بضرورة تبعية بلدانها لفرنسا وعلى رأسها اسكندرعمون(!)

ومثلما فعلت أجهزة الاعلام الفرنسية مع القومية التركية عملت على دعم الحركة القومية العربية.. كيف لا و باريس احدى الدولتين المسؤولتين عن الحركة القومية.

لذا أرسلت صحيفة (الطان) الفرنسية مراسلها الى رئيس المؤتمر السيد الزهراوي لتعريف أهداف المؤتمر وتحديد أهدافه عبر مقابلة صحفية، وطبلت بقية الاجهزة الاعلامية للحركة القومية العربية، وواصلت دعمها الاعلامي المستمر لها.. وفي المؤتمر قال السيد الزهراوي: «ان ليس للمؤتمر علاقة بولايات العرب غير العثمانيين وهي: (الجزائر، تونس، مراكش، ليبيا، مصر، السودان، جنوب الجزيرة، الخليج!!) لانها تابعة للسلطة الاوروبية». وفي حديث آخر قال الزهراوي: «أما عن الرابطة الدينية فانها عجزت دائماً عن ايجاد الوحدة السياسية».

و يتوضح جوهر فكر الزهراوي في حديثه عن المصريين اذ يقول: «ان المصريين غير جديرين بعد بأن يحكموا انفسهم بأنفسهم فعليهم أن يكونوا شاكرين على تمتعهم بادارة بريطانية صالحة...!!»

و يضيف الزهراوي قائلا: «ان الذين ينكرون فضل اوربا، انما هم مدفوعون الى ذلك بسائق الانانية العمياء.!!» وفي نهاية المؤتمر قال: «إن الذين لاسياسة لهم سيعلمون بأن اوروبا ليست هي الغول، وانما الغول هو سوء الادارة وفساد الاقتصاد.»

أما اسكندرعمون الكاثوليكي فأخذ ينافس الزهراوي في المؤتمر في حجم التنازلات التي يقدمها في سبيل خدمة فرنسا، والداعي لذلك تنافس هؤلاء للحصول على ثقة وود فرنسا التي تمكنهم من كسب

الزعامة... وقد حدث ذلك في الوقت الذي كان فيه المسلمون يصارعون ويجاهدون الاستعمار وافكاره الهدامة.

ولكن ما الذي دعا هؤلاء لسلوك ذلك الدرب؟

بعض المسيحيين والمسلمين الذين تركوا بلادهم العربية المتخلفة نتيجة الاستعمار ورحلوا الى اوروبا اصطدموا هناك بالحياة الصاخبة المتطورة و بالخدمات الاجتماعية والصحية الرفيعة التي حرمت منها أوطانهم و بالحاجات الاستهلاكية التي لم تر مثلها عيونهم.. ولما كان، أكثر هؤلاء لا يحملون خلفية اسلامية ولا ثقافة اسلامية عالية لذا فقد كانوا مستعدين للانخراط في أي فكر أو عقيدة أو مسلك جديد يتعرفون عليه.

والمشهور عن اوروبا في تلك الايام انها كانت تعيش يومها بكل ما لهذا التعبير من معنى.. فكانت تجري وراء كل سراب او نجم يظهر في أفقها، فالثورة الصناعية مستمرة، والنهضة الفكرية كذلك.

وفي تلك المعمعة كان يعيش ابناء الذوات والا ثرياء من العالم الاسلامي، وأمثال هؤلاء كانوا يتهافتون على المؤتمرات التي يدعو لها الغرب (وعلى رأسها مؤتمر باريس) و ينخرطون في الحركات والاحزاب والمذاهب الغربية اعتقاداً منهم بقدرة تلك الافكار والمذاهب على تحقيق النهضة والوصول الى التطور، وظنهم السوء بالشريعة الاسلامية.

ونتيجة لارتباط هؤلاء بالافكار الغربية فقد اخذ الاعتقاد يسري في عروقهم بضرورة الارتباط ببلدان اوربا اضافة لافكارها فنجد اسكندرعمون احد الاعضاء البارزين في مؤتمر باريس يقول: «ان الدول العظمى لا تريد بنا سوءً... بل تريد صلاح امورنا».!

وهؤلاء الاشخاص الذين حضروا المؤتمر لم يذكرهم احد بخير ــ عدا بعض المستشرقين وكتّاب البلاط ــ اذ قال عنهم (توفيق برو): «صحيح ان هذا السلوك شائك وانه كان ثمة جماعة من المتفرنسين

يحاولون ان يلعبوا في المؤتمر دوراً لمصلحة فرنسا، وان فرنسا كانت تعلق امالاً جساما عليه.. يثبت ذلك ما اثير من مناقشة حول الاستعانة بالمستشارين الاجانب»[2]

ان امثال هؤلاء يعتقدون بأن وجود جيوش فرنسية و بريطانية على أراضينا، وامتلاء أسواقنا ببضائع غربية، وعمليات نهب موادنا الاولية وخيراتنا كل هذه الاعمال المشينة هي صلاح لأمورنا..

وفي ايام احتجاج الغربيين على الوحدة الاسلامية بسبب المسيحين في لبنان كانت الايادي الخبيثة تعمل في الخفاء للم شمل المسيحيين في جمعيات خاصة عملها الرئيس هو ان تكون طابوراً خامساً للاستعمار.

والمصيبة التي حلّت بالعالم الاسلامي والعربي جاءت من تحول بعض المسلمين العرب من الجانب الاسلامي الى الجانب الانعزالي مسمِّينَ عملهم هذا بالتقدمية، بعد ان اعتقدوا بان كل فكرة تريدها أوروبا هي فكرة حضارية وما عداها فهي فكرة رجعية:

فبذريعة الحضارة انزلق هؤلاء في ملذاتهم و رغباتهم وشذوذهم وبها ايضاً تحولوا الى عملاء مأجورين وتحت لوائها أيضا كشفوا عن عدائهم للاسلام والمسلمين...

أما عن العلاقة بين الغرب وطابوره الخامس فنتعرف عليها من خلال الاسطر التالية حيث أعلن رئيس وزراء فرنسا في مجلس الشيوخ مايلي: «ولا أرى لزوماً لان اذكّر مجلس الشيوخ، ان لنا في لبنان و سوريا حقوقاً تاريخية تقليدية ونحن نريد دائماً ان تراعى منافعنا وحقوقنا.»

بعد هذا القول اجتمع المسيحيون المقيمون في باريس ممن كانت تجمعهم «اللجنة اللبنانية» في ١٩١٢/١٠/٢٣ وصوتت باسمها واسم

٢ــ الهاشميون والثورة العربية الكبرى.

لجنة نيو يورك وسان باولو ومصر و باسم جميع اللبنانيين (المسيحيين) الذين تمثلهم على وجوب توجيه كتاب الى مسيو «بوانكارة» تشكره فيه على التصريحات التي أدلى بها في مجلس الشيوخ الفرنسي وكان الموقع عن الوكالة الكاثوليكي: (اسكندرعمون!)

والقوميون وكذلك الغرب كانوا يريدون منا ترك الوحدة الاسلامية والاحكام الاسلامية لسواد عيون هؤلاء (عازوري،اسكندرعمون) وأمثالهم ولم ينسوا بأن يوضحوا لنا كيف نطالب بأمة عربية بلادين و بلا استقلال و بلا حرية... والكل يرى مهزلة القوميين الحالية.

ان نداء القوميين العرب كان يطالب بالاستغناء عن مطاليب نسبة الـ(٩٨٪) المسلمة الموجودة في البلاد العربية والالتفات الى نسبة الـ(٢٪) المسيحية...!!

فالقوميون يضحون بالاغلبية المسلمة في سبيل ارضاء الاقلية غير المسلمة.. و يبنون آمالهم كلها حول سبل ارضاء المسيحيين الموجودين في لبنان واسيادهم.. ولما انكشفت الغبرة وجد القوميون انهم لا يسيطرون على هذه النسبة ايضا!

و بعد سير القوميين نحو السراب (رابطة القومية العربية) وتركهم (الرابطة الاسلامية).. في ذاك اليوم بالذات انتصرت اوروبا في تحقيق مرادها المتمثل بضرب الديانة الاسلامية.. ولم تقف المسألة عند هذا الحد من الضياع، بل إن هؤلاء الذين سلكوا المسلك الغربي بدل المسلك الاسلامي لم يتراجعوا عن افكارهم ومقاصدهم بعد اصطدامهم بالواقع (الذي يؤمن بالاسلام) بل استمروا على النظرية القائلة: التقدمي لايتراجع...!!

وحول هؤلاء البعض من النصارى الذين أخذوا ينبذون استقلال لبنان و يصرون على رابطتة بفرنسا قال الجنرال الفرنسي

(كيللر): «ان جميع ميول المسيحيين وعواطفهم تتجه نحو فرنسا بعد ان تعلّموا لغتها واختبروها لمدى طو يل، وتأكدوا من اخلاصها وتجردها.»

وكأن الجنرال كيللر لايعرف اطماع فرنسا في بقية البلدان العربية والاسلامية وحملتها العسكرية على مصر عام ١٧٩٨ــ١٨٠١ واستيلاءها على الجزائر عام ١٨٥٧ وعلى بقية بلدان المغرب العربي والاسلامي.

وعن ارتباط هؤلاء بفرنسا يقول جميل بيهم: «على ان وجهات نظر البيروتيين كانت مختلفة خصوصاً لوجود فئة ذات وزن كانت حريصة على التخلص من الحكم العثماني وتعمل بالاتفاق مع فرنسا في جمعية سرية.. كان قنصل فرنسا احد اعضائها(!) لضم مدن الساحل الى لبنان وللسعي لاستقلاله تحت حماية فرنسا.» (لاحظ قنصل فرنسا احد اعضائها).

اما المسيحيون انفسهم فقد كتبوا يؤ يدون تلك العلاقة بينهم و بين فرنسا دون اي انكار حيث يقول البرت حوراني: «تردد معظم الكتاب المسيحيين في التحدث عن (امة عربية) اذ انهم تخوفوا من ان تتكشف القومية العربية عن شكل جديد من اشكال التسلط الاسلامي، ولم يكن بإمكانهم ازالة هذا التخوف الا بإحدى طريقتين: الاولى ان يجاروا الاكثرية، شان الاقليات احياناً، ولو أثار ذلك بعض الالتباس، والثانية ان يصبوا في قالب مفهومهم للعروبة محتوى مفهومهم للبنان اوسوريا فيحلموا بأمة عربية منفصلة عن اساسها الديني، وتضم بدون اي وجه من وجوه التفريق بين المسلمين والمسيحيين وتتمتع بحماية رؤوفة من قبل اوربا الليبرالية.»[٣]

هكذا وجه الطابور الخامس بالاشتراك مع المستعمرين ضربات

٣ــ القومية والغزو الفكري ص: ٣١٨.

موجعة للاسلام والمسلمين، وعطلوا العمل بالاحكام الاسلامية، تحت لباس الوطنية الذي يرتدونه... اذ ان المهم عندهم الكرسي لا الشعب ولا الاستقلال.

وكان طبيعياً بهم ان يسلكوا هذا السلوك بعد تركهم للاحكام الاسلامية التي تدفع للعدل والخير والصلاح ومراعاة المؤمنين ومعاداة الكافرين والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والعمل في سبيل مرضاة الله عزوجل واعطائهم قيادة امورهم لنصارى لبنان.

وبعد اعلانهم عن السير في الطريق القومي العلماني ــ رغم ان بعض القوميين يدّعون الدين ــ نفاقا ــ جاءوا بالقومية ومبادئها: متمثلة بمعاداة قيم الاسلام واحلال القيم الغربية ــ وما يرافقها ــ محلها من فساد واجرام وخمر وميسر وشذوذ. وتطبيق القوانين الاوروبية بدل الاسلامية ــ فيصبح كل ما حلّله الاسلام ممنوعا، وكل ماحرمه الاسلام مباحاً ــ وفي مجال التعليم ازاحوا دين الله عن مناهج الدراسة ودرّسوا محله نظريات دارون حول نشأة الخلق، وصادروا أحاديث الرسول(ص) ووضعوا محلها آراء كونت وفرويد.

والكلام الذي نود قوله: هو ان هؤلاء (القوميين) الذين سلكوا مسلك الغرب لا يختلفون بأي حال عن الماركسيين الذين خطوا خطوات الغرب ايضا.

أما اذا اردنا معرفة اسباب اتجاه الملوك والرؤساء العرب الحاليين نحو احضان الغرب، فالأمر لا يعدو عن كون هؤلاء أناساً بلا شرعية، وبلا جماهيرية، وبلا عقيدة راسخة يتمكنون بها من مواجهة الاسلام واسترضاء الشعب، عليه تجد معظمهم متشبثين بالقوى الكبرى.

والقول الآخر هو ان هؤلاء الحاليين لا يختلفون عن اسلافهم فهم تلاميذ أولئك الذين انضموا الى الجمعيات والاحزاب والحركات القومية التي دعت اليها فرنسا.

يتهم (احمد عزة الاعظمي) جمعية النهضة اللبنانية وأعضاءها وشعبها ـ في باريس «وكان يرأسها شكري غانم» وفي بيروت « وكان يرأسها خليل زينبية» وفي القاهرة« وكان يرأسها اسكندرعمون» بأنها كانت تمهد الطريق لاستيلاء فرنسا على سوريا ووضعها تحت حمايتها.

وطالب شكري غانم في مؤتمر السلام بالوحدة السورية تحت اشراف فرنسا.

والذي نؤمن به نحن هو ان دور هؤلاء الذين مهدوا السبيل لدخول فرنسا و بريطانيا الى وطننا العربي الاسلامي لم ينتهِ بعد... اذ مازالت لمأموريتهم بقية!!

ان همّ هؤلاء هو معاداة الاسلام ومرضهم في استمراره وانتصاره وما يقلقهم في الوقت الراهن هو انتصارات الثورة الاسلامية في ايران و في كل مكان مما أدى الى شعورهم واحساسهم بملاحقة الاسلام لهم في كل مكان يولون وجوههم شطره. والاسلام لا تنفع معه المؤامرات ولا الصدامات ولا التحالفات وفي كل مرة يعملون فيها معاولهم لاغتيال ذلك المارد المخيف والمرهب... يجدون بأن معاولهم وفؤوسهم لا تقتل الظل بل تحفر أمامهم حفرة كبيرة تهدد بابتلاعهم وأخذهم الى العالم الآخر.

هكذا هو الاسلام... فالاستعمار لا يخاف من ذلك القائد او ذلك الكاتب بل يخاف من الاسلام الذي يحمله.

وللتركيز على دور فرنسا الخبيث في مجال تقسيم وتحطيم العالم الاسلامي نذكر بأن مؤتمر باريس لعام ١٩١٣ حول القومية العربية لم يكن الاول بل انه الثاني بعد مؤتمر باريس عام ١٩٠٧. الذي اختص بالقومية التركية(!)... وان مؤتمر باريس لعام ١٩١٣ لم يحضره سوى اربعة وعشرين شخصاً فقط اخذوا على عاتقهم مناقشة شؤون العرب ومصيرهم دون ان يخولهم أو ينتخبهم احد(!)

ولكن لماذا حدثت كل تلك الضجة حول المؤتمر؟ السبب ان

المخابرات الفرنسية هي التي اخذت على عاتقها مسألة التطبيل للمؤتمر والدعوة له(!).

وبعد سماع المسلمين العرب بمؤتمر باريس القومي المنعقد تحت وصاية فرنسا قامت قائمتهم واحتجوا على هؤلاء الذين لا يمثلون الا انفسهم وهذا ما ادى الى ازدياد نقمة المسلمين العرب على فرنسا التي اخذت تتدخل في شؤونهم، وازداد الرفض لتلك الزمرة المجتمعة في باريس.

ومن هؤلاء الرافضين لمؤتمر باريس، وسلطة فرنسا، وحضور ذلك النفر من العملاء لجلسات المؤتمر احد الشعراء الذي قال:

اني لابصر في بيروت قائبة
للشر موشكة ان تخرج القوبا
قل (للعريسي) والأنباء شائعة
والصحف تروي لنا عنه الاعاجيبا
علام تعقد في باريس مؤتمراً
ما كنت فيه براي القوم مندوبا
وهل تعمّد (حقي العظم) فعلته
لما نمى خبر اللطان* مكذوبا
اذ راح يستنجد الافرنج منتصفا
كأنه حَمَلٌ يستنجد الذيبا
خافوا التذبذب في اعمال دولتهم
من أن يجر على الاوطان تخريبا
وكان خوفهم حقا لو انهم
لم يعدلوا عن طريق الحق تنكيبا

---

* جريدة فرنسية.

فـهـم كـمـن فـرّ مـن قَـطـر يـبـلله
ثم انتهـى الـسـيـل اوجـاء الميـازيـبـا
لـو كـان مـن غير (بـاريـز) تـألبهـم
مـا كـنـت احـسبهـم قـومـا مـنـا كـيـبـا
لـكـن بـاريـز ـ بـاريـس ـ مازالت منـا كبها
تـرنـو الى الـشـام تـصـعـيـدا وتـصـو يـبـا
في هـذه الابـيات القليلة تتوضح نظرة الجماهير لأولئك الشاذّين الرحال الى باريس والمستنجدين بها.

نجيب عازوري:

الـكـثير من المؤرخين يقولون بأن تاريخ القومية العلمانية يبدأ بـ (نجيب عـازوري) الـذي اسـس في سـنـة ١٩٠٤ (جمعـيـة عصبة الوطن الـعـربي)، واصـدر كـتـاباً بالفرنسية هو (يقظة الامة العربية)، وفي سنة ١٩٠٧ اصدر جريدة شهرية اطلق عليها اسم (الاستقلال العربي).

في كـتـاب الـعـازوري (يـقـظة الامة العربية) تشخيص واضح لـعلاقـته بفرنسا و بريطانيا اذ يعلن بأن روسيا تشكل الخطر الاكبر، وان الـتوسع الالماني في آسـيـا الـصغرى هو خطر ايضا، لذلك فهو يستثني من الخطورة بريطانيا وفرنسا و يعوّل عليهما الكثير.

وحـول صـحـيـفة (الاستقلال العربي) فان العازوري اسس تلك الـصـحـيـفـة بـالاشـتـراك مع موظف سابق من موظفي وزارة المستعمرات الفرنسية) (١. يونج).

ومـن خـلال الـصـحيفة والكتاب نعرف هوى العازوري وميوله فـهو يسعى ويجد في طلب الاحتلال الفرنسي والبريطاني للعالم الاسلامي في سبيل اخماد الحركة الاسلامية.

«ان هـدف الـقـومـيين ـ امـثـال ابـراهيم الـيـازجي ونجـيـب

عازوري ــ هو ابعاد الدين كليا عن العمل القومي. وقد اصبح المفكرون المسيحيون في طليعة التغيير، وكان طبيعياً ان يرغب هؤلاء في تأسيس دولة قومية لاعلاقة لها بالاسلام. كما كان المفكرون العرب من المسيحيين بحكم كونهم افضل المترجمين للفكر السياسي والقيم العربية اول من ايد فكرة القومية الخالية من اي مضمون اسلامي. وقد اكدوا على انه لا يمكن للدولة الحديثة ان تسمح بوجود مواطنين من الدرجة الثانية كما كان عليه حال اهل الكتاب عند ظهور الاسلام. وقالوا ان الفصل بين الدين والدولة امر فيه مصلحة كل من الاسلام والشعب العربي[٤] وعلى كل حال فقد كان القوميون في محاولتهم بناء دولة عصرية على اساس قومي وعلى غرار النظام السياسي الغربي، ميالين لتقليص الدين الى «رقابة الضمير الشخصي» وجعله وسيلة للصلة الشخصية بالخالق...»[٥]

ويحاول عازوري من خلال مطالبته بفصل الدين عن الدولة الحاق العالم الاسلامي بالافكار والعقائد والقيم الغربية وتنبع محاولته تلك من حقده الدفين والعميق على الاسلام وعلى الوحدة الاسلامية و يظهر موقفه ذلك واضحا في كتابه (يقظة الامة العربية) اذ جاء فيه بيان للدول العظمى كالآتي:

«تركيا على عتبة عهد جديد يتميز بالتغيير الجذري السلمي فان العرب الذين استطاع الاتراك ان يخضعوهم لحكمهم الجائر بواسطة تفرقتهم الى شيع تتناحر وتتنابذ على أمور دينية ليست بذات اهمية ــ لاحظ الحقد على الدين ــ والذين اصبحوا الآن يعون انهم امة واحدة يوحد بينهم التاريخ والشعور الوطني ووحدة العرق يرغبون في الانفصال

٤ــ *Haim (ed), op. cit. P. 30.*

٥ــ *Safran, op. cit. P. 85.*

عن الاتراك الذين اخذ السوس ينخر في دولتهم وتأسيس دولة عربية مستقلة. وستمتد هذه الامبراطورية العربية الجديدة الى حدودها الطبيعية من وادي دجلة والفرات الى السويس، ومن البحر المتوسط الى بحر عمان ــ لاحظ انه يبعد مصر و شمال افريقيا على اعتبار انهم فراعنة و بربر!!. ــ وستكون دولة ملكية دستورية حرة على رأسها سلطان عربي. اما ولاية الحجاز الحالية، ومعها مقاطعة المدينة فانها ستكون امبراطورية مستقلة على رأسها حاكم يكون في الوقت ذاته خليفة المسلمين. وبهذا التدبير تكون قد حلت المعضلة الكبرى اعني فصل الدين الاسلامي عن الدولة المدنية، و يكون في هذا الحل خير لجميع الفرقاء».

ونتيجة لمواقف عازوري تلك المؤيدة للغرب والمناهضة للاسلام والمفضلة لمصالح فرنسا و بريطانيا على مصالح شعوب العالم الاسلامي فقد نعته الكتّاب بأسوأ الكلام وارذل الصفات اذ قال توفيق برّو عن حركة عازوري:

«دعوته هذه لم تكن تتلقى صداها في البلاد العربية في يسر، لأن نشاطها ومقرها كان في باريس، ولان صاحبها (عازوري) كان داعية للدول الغربية (فرنسا وانكلترا) اضافة الى ان دعوته تتلخص في فصل السلطة الدينية عن السلطة المدنية».

و يقول محمد جميل بيهم: «و يسوؤنا القول بأن الظنون كانت تحوم ايضا حول نشاط المشار اليه (عازوري).

اما (انيس صايغ) فيعيب على عازوري الذي نظر للقومية نظرة علمانية، ورغم ذلك فانه لم يربط الوحدة والاستقلال، بل طالب بمملكتين عربيتين في آسيا،احداهما في سوريا والاخرى في الجزيرة مع استقلال لبنان الذاتي، و يرى عازوري ان يحترم استقلال لبنان الذاتي.

ولم يقتصر ولاء عازوري الى فرنسا و بريطانيا بل انه والى الصهاينة بقوة قبال المسلمين اذ قال (البرت حوراني): بأن (العازوري)

المح الى ان انشاء المستعمرات والمصارف اليهودية يؤدي الى تقوية القومية العربية، بفضل مصالح اقطاب المال في العالم...

هكذا كان عازوري الزعيم الاول للقومية العربية، فيا ترى كم هو الأمر متطابق بين ذلك الزعيم الاول وبين الزعيم الحالي للقومية العربية (عفلق)؟

وبذلك نعرف مدى مصداقية (جواد بولس) في كتابه (تاريخ لبنان) اذ قال:

«اما الذين بذروا فكرة القومية العربية فكانوا بنوع خاص من المفكرين المسيحيين في لبنان وسوريا، الذين تربّوا في مدارس الغرب. وهذه الفكرة مستخرجة من مبدأ القوميات المبنية على وحدة اللغة. وكان هذا المبدأ كثير الانتشار في أوربا في ذلك الوقت».

ولم يكن عازوري شاذاً في سلوكه نحو التبعية الغربية بل انه فرد من أولئك العملاء من النصارى الذين كانوا يمارسون القتل ضد المسلمين وهم ينشدون:

«فرنسا ام الدنيا، واعتزوا يالبنانية».

دور بريطانيا في الحركة القومية العربية:

اما عن دور بريطانيا في انتشار القومية فتكشفه وثائق ما سميت بالثورة العربية الكبرى عام ١٩١٦ اذ يقول لورنس (قائد ومفجر الثورة العربية الكبرى.!!) «لقد كنت أؤمن بالفكرة العربية ايماناً عميقاً وكنت واثقاً قبل ان احضر الى الحجاز انها هي الفكرة التي ستمزق تركيا شذر مذر...!!» [٦].

وتحدث لمجموعة من رجال القلم في أواخر نوفمبر ١٩١٩ اثناء اثارة

٦ــ صايغ: عن دافيد جرانت: خطاب ممتاز للورنس

قضية فلسطين عالمياً حول مشروع تحويل فلسطين الى وطن قومي لليهود قائلا:

«اني أؤيد الصهيونية، اني اعتبر اليهود النقلة الطبيعيين للخميرة العربية الضرورية جداً لدول الشرق الادنى» ــ طبعاً الضرورية لتمزيقها وتحطيمها ــ.

وكان هذا طبيعياً بالنسبة للورنس فهو مبعوث بريطانيا الى الشرق الاوسط وواجبه تحقيق اهدافها فيما يخص فسخ علاقة العرب بتركيا وتقسيم البلاد العربية اضافة لتهيئة الاذهان والاجواء لتأسيس دولة اسرائيل في ارض فلسطين.

وهذا يعني تمكين الصهيونية ــ الحليفة لبريطانيا ــ من المسلمين والدعوة لها ولقادتها وزعمائها عسى أن يتمكنوا من فرض سلطانهم وسطوتهم على المنطقة..

في حديث لورنس لمطران القدس الانجليكاني الذي اشيع عنه بأنه يعارض الصهيونية وصف له وايزمان قائلا: «انه رجل عظيم لا تستحق انت ولا استحق انا ان نمسح حذاءه!».

وهذا لورنس الذي كان يكثر من المدح والاطراء للصهيونية ويكثر من التمجيد لقادتها كان لا يكف عن الذم للعرب وتاريخهم ودينهم ويستهزئ بآمالهم واهدافهم اذ يقول: «لا أمل بقيام وحدة عربية لا في الحاضر ولا في المستقبل»[٧].

ولما كان لورنس هو القائد الفعلي للقومية العربية في العقد الثاني من القرن العشرين وهو الذي خطط وبدأ ما يسمى بالثورة العربية الكبرى (!) لذا فأن حديثه السابق حول عدم وجود امكانية للوحدة العربية في ظل القومية لا الآن ولا في المستقبل يعني تشخيصه المبكر في

٧ــ هيكل: عن مذكرة رسمية من لورنس لوزارة الخارجية البريطانية.

عـدم قدرة تلك العقيدة الاجنبية على توحيد المسلمين الذين لاتجمعهم غير الوحدة الاسلامية... ومعرفته في ان القومية داء وليست دواءً.

ولكن كيف ايقنت أوربا بقدرة الروح القومية على تقسيم العالم الاسلامي؟ لم يكن لورنس الوحيد الذي أدرك ذلك بل ان وزارته المسؤولة عنه والموجهة له قد ادركت ذلك وكذلك فرنسا وهنا يطرق اذهاننا سؤال يتمثل في: من اين جاءت المعرفة لبريطانيا وفرنسا في ان القومية تفرق الشعوب المتدينة بدين واحد ولا تجمعهم؟

الجواب يتمثل في ان أوربا عاشت تجربة طويلة مع القومية بدأت من الثورة الفرنسية وطيلة القرن التاسع عشر فبعد ان كانت أوربا في الغالب موحدة تحت سلطة امبراطورية كبيرة تضم قوميات عديدة بفعل الدين المسيحي الجامع لهم انفكت تلك الدول والقوميات عن بعضها البعض وازدادت شقة الخلاف بينها وظهرت بوادر العداء والبغض ضد بعضها بفعل الصراع القومي الذي اوجده الزحف الفرنسي القومي لبقية القوميات واخذت كل قومية تحارب من اجل ذاتها مما ادى الى ظهور القومية الالمانية والقومية الفرنسية والقومية الانكليزية وهكذا...

وبسبب تلك الحرب القومية التي اجتاحت أوربا واستمرت حوالي عقدين من الزمن ضعفت الروح الدينية في أوربا خاصة وان ومنذ تلك الحرب لم تتمكن أوربا من توحيد نفسها ومن جمع كلمتها بسبب اختفاء الرابطة الدينية واشتداد الروح القومية التي قال عنها فلاسفة أوربا بأنها من سلبيات الثورة الفرنسية..

لذا استشفت أوربا من التجربة الطويلة التي مرّت بها في القرن التاسع عشر بأن الرابطة الدينية هي الوحيدة القادرة على جمع قوميات عديدة تحت ظلها، وبأن للروح القومية القدرة على تقسيم الامبراطوريات الكبيرة الجامعة لعدة قوميات والقائمة على اساس الدين.. لذا نجد أوربا وبالخصوص بريطانيا وفرنسا تسعيان في بداية القرن العشرين لنقل تجربة

الصراع القومي من أوربا الى الامبراطورية العثمانية اذ تحمل نفس الصفات التي كانت موجودة في أوربا، من قيامها على رابطة الدين وضمها لقوميات عديدة تتمثل في الاتراك والعرب والاكراد وغيرهم، والاقوال والادلة على ذلك كثيرة. منها: حديث لورنس الذي يمثل الرأس التنفيذي للسياسة البريطانية في المنطقة اذ قال: «لقد كنت أؤمن بالفكرة العربية (القومية) ايماناً عميقاً وكنت واثقاً قبل ان احضر الى الحجاز انها هي الفكرة التي ستمزق تركيا شذر مذر» ــ كما ذكرنا في الصفحة السابقة ــ وقول توينبي في ان مخلفات الحضارة الغربية (المساوئ) تتمثل في الخمر والقومية.

لذا نجد أوربا بعد تلك الحقائق التي ادركتها تمضي قدما في تثبيت القومية في العالم الاسلامي وتُصِرُّ على تنفيذ برنامج ما سمي بالثورة العربية.. اضافة الى مساعدة فرنسا و بريطانيا في برامجهما القومية اذ نجد فرنسا تشجع ثورة لورنس وخطة بريطانيا في الجزيرة العربية رغم روح التنافس الاستعماري بين الدولتين... في وثيقة فرنسية رسمية صادرة عن وزارة الخارجية الفرنسية في ١/ديسمبر/١٩١٦ جاء مايلي: «ان اعلان الثورة العربية في الحجاز هو في مصلحة الحلفاء من عدة وجوه.. فأما من الوجهة السياسية فان اتساع نطاقها حتى تشمل شعوب فلسطين وسورية وارمينيا الصغرى، وتجريد هذه الشعوب من النير التركي يهيء لفرنسا اسباب التدخل في شؤون هذه المقاطعات كما تشغل من الوجهة العسكرية الجيش التركي».

«اما من الوجهة الادبية فانها تقود الجانب الاكبر من رعايانا المسلمين الى اعتبار الترك كمعتدين على الأماكن المقدسة الاسلامية فيزداد تعلقهم بفرنسا لأنها تكافح الترك وحلفاءهم وتزيدهم اخلاصاً لها، وبناء على هذه الاعتبارات قد يكون من المفيد العمل على تنمية الثورة ــ العربية ــ وصبغها بصبغة اسلامية».

وبسبب ذلك الاتجاه نحو وضع بعض الرتوش والصيغ الاسلامية على حركات وافعال ونشرات المستعمرين لايهام وغش المسلمين نجد بأن الجيش البريطاني وفي العقد الثاني من هذا القرن اصدر منشوراً باسم الجيش البريطاني الزاحف الى غزة جاء فيه: «الى جميع العرب وغيرهم من الضباط والرجال في الجيش العثماني، لقد سمعنا بكل أسف انكم تحاربوننا نحن الذين نعمل من اجل صيانة الشريعة الاسلامية المقدسة (!) من ان تبدل».

هكذا كان المستعمرون يخطون خطواتهم في العالم الاسلامي باستخدام اساليب التضليل والخداع والقوة والتآمر اذ ليس لدى الاستعمار قيم ولا اخلاق تمنعه من استخدام تلك الوسائل والفنون.. وكان استخدام القومية والصهيونية من قبل الانكليز وتأييدهم لها يدخل في ذلك الجانب اذ قالت بريطانيا على لسان (لورنس) وهي تؤيد الصهيونية: «اني اؤيد الصهيونية واعتبر دخول اليهود الى الشرق الاوسط خميرة ضرورية جدا للدولة ولابد انهم سوف يحولون فلسطين الى دولة منظمة جدا كأنها دولة اوربية باستخدام مهاراتهم ورؤوس أموالهم»[٨].

ولما كانت الدعوة للقومية في حاجة الى اعلام لذا موّلت بريطانيا (لويس صابونجي) عام ١٨٨١ لاصدار جريدة تحمل اسم (الخلافة) ومجلة باسم (الاتحاد العربي) في لندن، اي في نفس العام الذي موّلت فيه فرنسا (خليل غانم) لاصدار جريدة (البصير) في باريس.

واستكمالاً لدور (ثورة العرب الكبرى!) ومأمورية عملاء بريطانيا فقد طلبت لندن من لورنس حث الشريف حسين على تأييد انشاء وطن قومي لليهود وتأييد الهجرة اليهودية الى فلسطين... وكان الهدف من وراء ذلك تمكين الصهيونية من فلسطين عن طريق مساندة

٨ــ هيكل: عن تصريح صحفي للورنس في نوفمبر ١٩١٩.

(القومية)، وتمكين القوميين من السلطة عن طريق الصهاينة.

و يظهر ذلك الربط الذي دفعت اليه بريطانيا في اتفاق وايزمان (الصهيوني) والامير فيصل (القومي)... وقد ساعد على ذلك التقارب كون الثورة القومية ووعد بلفور قرارات بريطانية بحتة، وفي فترة واحدة ثورة لورنس ١٩١٦ ووعد بلفور عام ١٩١٧.

ومن اوجه ذلك التقارب القومي ــ الصهيوني مقالة (الشريف حسين) في هذا المجال في جريدة (القبلة) يمدح فيها الهجرة اليهودية الى فلسطين، و يشيد بأثرها في تطوير البلدان، و يعلن تشجيعه لها... ولم يجد (الحسين) في مقاله فرقاً بين اليهود والصهيونيين ولم يجد الصهيونية الا حركة (سامية) لااعتراض عليها»[٩].

الامير فيصل:

وقد تمكن لورنس ايضاً من تسخير الأمير فيصل بن الشريف حسين في سبيل خدمة اهداف بريطانيا في تمكين الصهيونية والقومية من العرب.. فقال فيصل في حديث اجراه مع صديقته الانكليزية السيدة (ارسكن): «ان والده ارسل يأمره بالاهتمام بالضجة التي اقامها بعض العرب حول قصة وعد بلفور حينما عَرَفت تفاصيله وان يتابع عمله في خدمة البريطانيين والا فهو خائن بنظر ابيه»[١٠]

وهكذا تحول هؤلاء (الثوار العرب (!!) الى موظفين في وزارة المستعمرات البرياطنية اذ نجد الحسين بن علي يعترض على بريطانيا لانقاص راتبه مهدداً اياها بالاستقالة من وظيفته.

وامتداداً لتلك الثورة الاستعمارية القومية نشأت حركات تدّعي

٩ــ هيكل: عن (الهاشميون وقضية فلسطين).

١٠ــ هيكل: عن (الهاشميون وقضية فلسطين).

السير على ما اسسه لورنس اذ تقول المادة (٩) من دستور البعث العفلقي: «ان راية الدولة العربية هي راية الثورة العربية التي انفجرت عام ١٩١٦ لتحرير الامة العربية وتوحيدها...

اما عن رسالة فيصل الى السيد فرانكفورت فهي تكشف اهداف الثورة العربية الكبرى وقوميتها وتبعيتها المشبوهة وهذا نصها: «عزيزي السيد فرانكفورت...... اود ان اغتنم فرصة اول اتصال لي مع الصهيونيين الامريكيين لاعيد عليكم ماسبق ان قلته للدكتور وايزمن في الجزيرة العربية واوربا... اننا نعتبر العرب واليهود ابناء عمومة في الجنس. وقد تعرضوا لاضطهادات مماثلة على أيدي قوى اقوى منهم... واستطاعوا لحسن الحظ ان يحققوا الخطوة الاولى نحو اهدافهم (القومية) معا و اننا نحن العرب والمثقفين منا بوجه خاص نشعر نحو الحركة الصهيونية باعمق المشاعر*.

وان وفدنا هنا في (باريز) ليدرك المطالب التي قدمتها المنظمة الصهيونية الى مؤتمر الصلح في الامس تمام الادراك ... اننا نعتبرها مطالب معتدلة وصحيحة.. وسوف نعمل جهدنا، حسب طاقتنا على الاشتراك في تحقيقها.. اننا نرحب باليهود اعظم ترحيب ولنا مع زعماء حركتكم خاصة الدكتور وايزمان اوثق العلاقات. وقد كان مساعداً كبيراً لقضيتنا. وأملي ان يحتل العرب في القريب مركزاً يمكنهم من رد المعروف للهيود... اننا نعمل من اجل شرق أدنى متطور ومترف، وحركاتنا تكمل احداهما الاخرى.. فالحركة اليهودية قومية وليست استعمارية... وحركتنا قومية وليست استعمارية لكلينا مكان في

---

* النص الحرفي في خطاب رسمي من الملك فيصل الى المستر فرانكفورت القاضي والاستاذ بجامعة هارفرد وعضو الوفد الأمريكي في مؤتمر الصلح والمتحدث الرسمي باسم الصهيونية الامريكية و تاريخها ٣/ مارس/ ١٩١٩/ هيكل: ١٩٦٧/١/٢٠

سوريا.. بل اني لا أظن ان لأي منا مكاناً في النجاح بدون الآخر.. ان اناساً اقل معرفة ومسؤولية من زعمائنا وزعمائكم ممن يجهلون الحاجة لتعاون العرب والصهونيين، قد حاولوا استثمار المشاكل المحلية التي لابد ان يقوم مثلها في المراحل الاولى لحركتنا في فلسطين... واخشى ان يكون بعضهم قد اساء التعبير عن اهدافكم امام الفلاحين العرب، وعن اهدافنا امام الفلاحين اليهود، مما اعطى الاحزاب، المصلحية مجالاً لاستغلال ما يدعونه بالمشاكل، وأحب ان اؤكد لكم عن يقيني بأن هذه الاختلافات ليست على مسائل أساسية، بل على أمور تفصيلية مثل تلك التى لابد من حصولها بين الشعوب المتجاورة التي يسهل حلها بالنوايا الحسنة المتبادلة.. والحقيقة ان التفهم الواعي سيبددها كلها. وانني وشعبي نترقب مستقبلا نساعدكم فيه وتساعدوننا فيه، حتى يتمكن بلدانا من اخذ مكانيهما في مجتمع الشعوب المتمدنة في العالم واسلم للمخلص فيصل.»[11]

ادرجنا هذه الوثيقة لاهميتها اذ تكشف للملأ هو ية القومية والثورة العربية الكبرى وتعاون رجالها مع الصهيونية.. عسى ان يفهم و يدرك قوميو ومناضلو وتقدميو الحانات والبارات خطورة خطواتهم للاعتراف باسرائيل ومصالحتها.. كي لا تتكرر ثورة استعمارية اخرى ولا سايكس ــ بيكو جديدة

واذا كانت الجماهير المسلمة العربية تستنكر وعد بلفور فهناك ما هو اخطر من هذا الوعد تمثل في:

أتفاقية فيصل ــ وايزمان بتاريخ ١٩١٩/١/٣ اذ اتفق الطرفان على مايلي:

«تأسيس كيان فلسطيني منفصل عن الدولة العربية السورية (مادة ١). تقوم الدولة الفلسطينية، بكل التدابير لتحقيق وعد الحكومة

---

١١ ــ عن هيكل ١٩٦٧/١/٢٠.

البريطانية في الثاني من نوفمبر ١٩١٧ في دستورها وادارتها (مادة ٣)...».

«اخذ كل الاجراءات الضرورية لتعهد هجرة اليهود الى فلسطين على نطاق واسع وتشجيعها بأسرع وقت ممكن ليستقر المهاجرون الجدد في البلاد».

«ان يرسل الصهيونيون لجنة لدرس اوضاع فلسطين وامكانياتها ومدى استثمارها لصالح العرب واليهود (مادة ٧) وان تكون الحكومة البريطانية هي الحكم في حال نشوب خلاف بين الطرفين (مادة ٩)»[١٢].

الملاحظ في هذه الاتفاقية تعهد فيصل بتشجيع هجرة اليهود الى فلسطين بينما يمتنع وايزمان عن التعهد في حفظ حقوق المسلمين الفلسطينيين.

و يقول فيصل: «اني آمل ان تحقق كل من الأمتين (العربية والصهيونية) تقدماً ملموساً نحو أمانيهما وآمالهما، وان العرب لا يحملون ضغينة ضد الصهيونية واليهود... بل هم ينوون ان يسمحوا لهم بالعمل. اما التحاسد بين سكان المستعمرات اليهودية والمزارعين المحليين فقد أثارته الفتن التركية... ولكن التفهم المتبادل لاهداف العرب واليهود سيقضي على أخر آثار هذا العداء الذي بالفعل زال قبل الحرب بفضل عمل اللجنة العربية السورية.. ان الصهيونيين هم حملة حضارة أوربة الى الشرق»[١٣]... لاحظ التعابير جيدا!!!

١٢ــ نصوص معاهدة فيصل ــ وايزمان
هيكل: ٢٠ــ١ــ١٩٦٧

١٣ــ هيكل: ١٩٦٧/١/٢٠ نص تصريح فيصل لوكالة رويتر (١٢/ديسمبر/١٩١٨).

الذي علينا هو معرفة اساس القومية وتاريخها وزعمائها كي نفهم بالتالي مدى تبعيتها وانحرافها عن الاسلام. ذلك فالاساس الجيد يولد بناءً جيداً والاساس الخرب يولد بناءً خرباً، والبذرة الصالحة تعطينا محصولاً جيداً، والبذرة الفاسدة تعطينا محصولاً فاسداً.

يقول الجبار العظيم في محكم كتابه الشريف:

«أفمن اسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير ام من اسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم والله لايهدي القوم الظالمين».

ان ملاحظاتنا حول القومية العربية ونشأتها تلقي المزيد من الشكوك والظنون حول اهدافها وغاياتها. وكيف لانشعر بذلك ونحن لا نجد في تاريخها غير العمالة والمساومة والتهاون.

قال الشريف (الحسين بن علي) قائد الثورة العربية الكبرى (!) ــ التي أخرجتها بريطانيا ــ عند وصوله الى الاردن فاقد الوعي والشعور: ــ مطروداً من الملك ــ (هذا جزاء الذين يثقون بالانجليز و يصادقونهم و يعملون معهم»[١٤] !!!

وحول الثورة العربية الكبرى ايضا يقول الامير فيصل: «لم نكن سوى بداة بسطاء... لم يسبق قبل الثورة ان دخلنا في الحياة الدولية او عاملنا الاجانب او اتصلنا بهم من قريب او بعيد... ولقد جاءنا الانكليز الى الحجاز ولم نذهب اليهم جاؤونا بورقة بيضاء في ذيلها ختم الامبراطورية وقالوا لنا: «هذه ورقة رسمية فاكتبوا فيها ما تشاؤون ونحن مستعدون للتنفيذ والتلبية، فصدّقناهم و وثقنا بهم وقاتلنا الى جانبهم ولكنهم مالبثوا ان خانونا وغدروا بنا».

وقال وليم بولك: معرِّفاً الامير فيصلاً بأنه «الامير الذي قاد ثورة

١٤ــ كتاب اسرار الثورة العربية ومأساة الشريف حسين ص: (امين سعيد).

العرب».

وقال: انه خلال زيارة فيصل لبريطانيا كتب الضابط البريطاني المرافق له «كولونيل كورنوبلز» لقد فهمت ان الدكتور وايزمان اقترح في مقابل مساعدات الامير في فلسطين نحو تحقيق الاهداف الصهيونية ان يقدم مالا ونصائح متى طلبت للحكومة العربية.

واستمر فيصل في لعب دور الخادم المطيع عسى ان يحظى برعاية الصهيونية والامبريالية. في حفل عشاء اقامه اللورد الصهيوني روتشيلد، قال فيصل: «ان اهداف دكتور وايزمان هي اهدافنا ونحن سنتقبلك دون ان نسألك مساعدة في المستقبل».

ويمكن ان يطرق بال القارئ الكريم سؤال مثل: لماذا اعطى الشريف حسين وعائلته كل تلك التنازلات لبريطانيا ولماذا تركوا انفسهم يسيرون في مجرى السياسة البريطانية الاستعمارية؟

ان اختيار الانكليز لتلك العائلة كان صائباً، وذلك الصواب في الاختيار جاء من الدراسة العميقة التي اجراها المستشرقون للبلدان العربية الاسلامية الأمر الذي ساعدهم في استغلال طموحات بعض العوائل وقابلية الانحراف الموجودة عندها والكل يعلم ان الشريف حسيناً كان شغوفاً وطموحاً للسلطة. بريطانيا من جانبها استغلت صراعه مع آل سعود حول رئاسة الجزيرة العربية مما مكّنها من كسب وربط تلكما العائلتين بالتاج البريطاني، وبعجلة الاستعمار.

وكانت لبريطانيا عناية خاصة بالجزيرة العربية باعتبارها مهبط الوحي ومولد النبي محمد(ص) وارض بيت الله الحرام فهي البلاد التي يحج اليها سنوياً ملايين من المسلمين، فكانت تعتقد بضرورة السيطرة على هذه البلاد ومنعها من قيادة المسلمين، وسلب الحج دوره الكبير في توحيد المسلمين عمليا ومناقشة امورهم.

ان الثورة التي يطلق عليها «الثورة العربية الكبرى» كانت بتلك

الصورة التى ادرجنا بعضا من الوثائق التي تدينها وتفضح عمالتها للاجنبي وخيانتها للاسلام.

وتلك الادانة الصريحة لقادة حركة ١٩١٦ تسهل علينا معرفة الحركات والاحزاب التي نشأت في العالم العربي بعد هذا التاريخ وتستلهم مبادئها من حركة لورنس. فعلى سبيل المثال نجد بأن المادة التاسعة من دستور حزب البعث نص على ان الحزب يسير على خطى الثورة العربية الكبرى في ١٩١٦(!).

ولكن قد توجد هناك بعض جماعات متفرقة مازالت تصر على رابطة القومية، وتعتقد بها، وتخلص لها على انها فكرة ممكنة التطبيق وليست احلاماً هوائية... في هذا المجال لايسعنا الا ان نقدم لهم مقالة (لورنس) حيث يذكر الحالة المزرية التي حشروا بها المسلمين في ظل حكومات فاسدة اذ يقول: «كان في نيّتي ان اشكل امة جديدة.. وان اقدم الى عشرين مليوناً من الساميين الاسس التي يبنون عليها (احلامهم الهوائية) في توجهاتهم القومية.. ان كل ولايات الامبراطورية العثمانية لا تعدل عندي موت انكليزي واحد.. واذا كنت اعدت للشرق شيئاً من كرامته وجعلت له هدفاً يسعى اليه او مثالاً يتطلع نحوه، فقد دربت شعوبه وطوعتها على قبول نمط جديد من الحكم سينسى معه (الاسياد الاوربيين) ـ كذا ـ كل ما انجزوه من انجازات فجّة». [١٥]

و يذكر بان الاعمال المذكورة للامير فيصل تمثل دوره في مرحلة ماقبل نهاية الحرب العالمية الاولى، اما عن مرحلة ما بعد الحرب حيث تم اختياره ملكاً على العراق فسنتطرق إليها في الفصل القادم ان شاء الله تعالى.

١٥ـ ما يعد به الاسلام/روجيه غارودي/ ص: ٢٣٨.

دور الصليبية
في الحركة القومية العربية

من النقاط المهمة التي تلاحظ في تشكيل حركة القومية العربية ان العقول الغربية التي قذفتها الينا قد وضعت خلاصة مطالبها واهدافها وعقدها فيها، اضافة الى وضع الخطط الكفيلة بامتصاص نقمة الشعب ضد المستعمرين. ورغبة الشعب في الاسلام، ورغبة البعض في الماركسية، ورغبة البعض في الليبرالية! فحركة القومية العربية خليط من العنصرية والليبرالية والاشتراكية وبعض القشور الاسلامية جمعت من هنا وهناك .. تتغير حسب الظروف والحاجات وهدفها الاساس الابتعاد بالامة عن الاسلام، وجرّها الى التبعية لاوربا والغرب.

الكلمات اعلاه نود ان نسبر اغوارها ونتفحص خيوطها من اين تبدأ واين تنتهي ومدى حقيقتها.

ان توصل اوربا الى امثال تلك النقاط لم يأت من طيش او رد فعل تكتيكي او عداء صبياني.. بل جاء بعد دراسة مستفيضة لامم الشرق وحياتها قبل الرسالة الاسلامية وبعدها، والاطلاع على الدواعي الكامنة وراء العداء الذي كان موجوداً بين العرب قبل الاسلام وكيفية العودة لاحيائه من جديد بثوب وشكل غير معهودين، والاستفادة من اهداف البعض ورغباته وطموحاته لخدمة السيطرة الاستعمارية.

ان متابعة النقاط تلك تكشف لنا هوية القومية كما وضعتها الدوائر الصليبية، ورائحة العداء التي تكشفها اقوال الحركات القومية للاسلام تبين الهدف الذي من ورائه أُنشئت القومية، لهذا فان هذه المهمة القيت في بادئ الامر على اليهود في تركيا والمسيحيين في البلاد العربية، لنفرة المسلمين منها.

في تركيا كان يهود سلانيك (الدونمة) هم الذين أسسوا الحركة

القومية...، واتاتورك عاش في ظلهم وتربى على ثقافتهم وافكارهم والجيش الثالث الذي اسقط حكم عبدالحميد عام ١٩٠٨ تحرك من تلك المحافظة بالذات.

ولا نقول بان اليهود فقط هم الذين ساعدوا على تأسيس القومية التركية بل ان كثيرا من الذين اسلموا ظاهريا ولم يؤمنوا واقعا الذين بهرتهم شعاراتها مثل أنور او استهوتهم السلطة او مشكوك في اصلهم وانحدارهم وكونهم ابناء غير شرعيين (لقطاء) مثل (اتاتورك) او تربوا في حضن أوربا وتزوجوا منها واعتنقوا مبادئها مثل (طلعت) الذي ترأس الاتحاد والترقي لمدة عشر سنوات.

الحقيقة ان اليهود كانوا يشكلون القيادة المؤثرة والمتحكمة بقرارات الحركة القومية وتوضح هذا يوم انتخب (عمانو يل قره صو أفندي) الصهيوني لابلاغ عبدالحميد بنبأ الاقالة من الحكم... و يوم دعي هرتزل الى الاستانة.

واذا كانت القومية التركية قد بذرت واينعت في (سلانيك) فان القومية العربية قد طعمت وكبرت في (لبنان) حيث الاقلية المسيحية.

هكذا نلاحظ التشابه الكبير بين رحلة ونمو وانتشار القومية التركية والعربية..فالا ثنتان قلعتها باريس (جمعية ترك درنكي التركية، ومؤتمر باريس العربي) وسلانيك تقابل لبنان، والاقلية المسيحية لعبت نفس دور الاقلية اليهودية في تركيا.. ورأسا الحركة كانا اتاتورك من سلانيك وعازوري من لبنان... لاحظ التشابه، هكذا كانت الاقليتان المسيحية واليهودية من افضل الوسائل لايصال القومية الى بلاد الترك و بلاد العرب المسلمتين.

والقوميون الذين قادوا الحركة القومية العربية ورفعوا لواءها معظمهم من الصليبيين وهم نجيب عازوري، واسكندر عمون، وجورج

حنا، وشبلي شميل، و بطرس البستاني، وناصيف اليازجي، وجرجي زيدان، من الرعيل الاول.

وقد كشفت وثائق وزارة الخارجية البريطانية والفرنسية ان اغلب هؤلاء كانوا عملاء لدى استخبارات تلك الدولتين ينفذون اوامرها وخططها واليكم ما يقوله هذا المصدر عن هؤلاء وعقيدتهم: «ومما تجدر الاشارة اليه هو ان تطور القومية العربية في هذه الفترة كان الى حد كبير بفعل تأثير المسيحيين العرب في لبنان الذين كانت اتصالاتهم بالغرب اكثف من بقية السكان....[16]

وكانت اوربا هي التي تشجع النصارى في هذا المجال بحجة عداء المسلمين لبقية الاديان وبعضهم لمعتنقيها.. محاولين اخفاء حقيقة الاسلام الذي يراعي حرية الطوائف والاقليات الدينية ويحفظ حقوقها خاصة وانهم يلتقون مع الاسلام حول التوحيد والمعاد. والرسول(ص) قال: (من آذى ذمياً فقد آذاني).

كما ان دعاة الاسلام في تلك الفترة وعلى رأسهم جمال الدين الافغاني ومحمدعبده لم يكن عندهم تعصب ضد الاديان الاخرى اذ كان من جملة طلاب (الافغاني) الجيدين تلميذ يهودي اسمه (يعقوب صنوع) وآخر مسيحي إسمه (اديب اسحاق).

وفي سبيل توجيه أنظار العالم العربي عن الاسلام قامت الأجهزة والمؤسسات الأوروبية من جامعات، ومدارس، ودور نشر، وسفارات ببث الأفكار والعقائد القومية والعلمانية.

و يعترف بعض مؤرخي هذه القومية بأنها ولدت في الجامعة الامريكية التي كان اسمها (الكلية السورية الانجيلية) ومدارس الاحد، وجمعيات التبشير، و بيت اللاجئين في عواصم اوروبا.

١٦ـ *Zeine, Loc. cit.*

كما يقول الجنرال كيللر: «ان الجمعية المركزية السورية التي تألفت في باريس اعلنت في عام ١٩١٧ ان جميع ميول السوريين وعواطفهم تتجه نحو فرنسا بعد ان تعلموا لغتها واختبروها لمدى طويل وتأكدوا من اخلاصها وتجردها.. (لاحظ اخلاصها وتجردها!).

و يقول: ان بعض الجاليات السورية المتطرفة في مصر و امريكا واستراليا طلبت بصراحة فصل القضية السورية عن القضية العربية، لان سوريا رغم انها تتكلم العربية، فهي لا تمت الى العنصر العربي، وعلى هذا فان الجاليات السورية تناشد الضمير البشري لتنفيذ رغبتها»!!

ان اعترافات القوميين حول اوربية الفكرة القومية وتبعيتها لايمكن حصرها في كتاب واحد لكثرتها.

احدى الوثائق التي عثر عليها في لبنان تقول: ولا تتحقق رغبة النصارى الحقيقية في سوريا بسبب نوازع التعصب الاسلامي ضد النصارى ولان النصارى مرتبطون بفرنسا بصورة لا تقبل الانفكاك و ان اكبرآمالهم ان تستولي فرنسا على البلاد الشامية.

و يقول ادوار عطية: ان ذلك لم يعد خضوعا طالما ان الدولة الاوربية المسيحية هي من نفس الديانة التي يعتنقونها.. (رابطة الدين للمسيحيين اما المسلمون فلهم القومية!!!!).

و يضيف: انه لما زارت المدمرة الفرنسية (جون فيري) مرفأي بيروت وجونيه في أواخر عام ١٩١٢ خفّت جموع الشعب اللبناني ــ المسيحي ــ الى الثغر.. ولما عزف البحارة الفرنسيون «نشيد المارسيلز» الوطني الفرنسي اخذ الحماس بمجامع القلوب وانطلقت الهتافات مدوية بحياة فرنسا حامية المسيحين..!!»

هكذا هم هؤلاء يسعون للوحدة الصليبية و يعارضون الوحدة الاسلامية بحجج واهية... و يدعون للقومية العربية و يساهمون في نشرها، ومن طريق آخر يتنصلون من مسؤولياتهم الوطنية والقومية

و يدعون للخضوع لفرنسا واوربا المسيحية.

فهم يريدون المسيحية لهم والقومية لنا، والوحدة لهم والفرقة لنا.

اذا كان ذلك ماضيهم فان حاضرهم يحدثنا بأبشع من ذلك اذ انهم ما ان اكملوا مأموريتهم حول الحركة القومية حتى اعلنوا افكارهم الانعزالية عن الاسلام والعروبة وتحالفوا مع الصهاينة ضد المسلمين.

ان طلاق هؤلاء الصليبيين للاسلام والعروبة يوضح هويتهم، وهوية القومية، ونحن لانقصد هنا جميع المسيحيين بل أولئك الذين عاشوا مع المسلمين وفي ظلهم وتحالفوا مع اعدائهم والذين بلغ حقدهم مرتبة التحالف مع الصهاينة اعدائهم واعداء المسلمين، وتنكروا للديانتين المسيحية والاسلامية.

ان المسيحيين الذين عاشوا مع المسلمين في عصور الاسلام الاولى شاركوهم في جميع همومهم و مشاكلهم وافراحهم فحصلوا على اعلى مراتب الاحترام والتقدير والمساواة. اما هؤلاء (البعض) الذين يصرون على ان يكونوا ذيولاً واذناباً لاوربا وللصهيونية فانهم لا يكفون عن تشويه المسيحية، وهي منهم براء. فالذين يخطون خطوات الشيطان و يعارضون احكام الرحمن ليسوا من الله في شيء والذين يشاركون في مجازر الصهاينة في (صبرا وشاتيلا) و ياتمرون بأوامر امريكا وفرنسا ليسوا من المسيحية في شيء.

واذا كان الجميع قد اطّلع على اغراضهم، واهدافهم، وانعزاليتهم، ودسائس واهداف اسيادهم في واشنطن و باريس ولندن.. فلماذا يصرالبعض منا على تنفيذ مؤامرة هؤلاء التي لم تكتمل والمتمثلة بالحركة القومية.. افلا ينتمي عازوري وميشيل عفلق وشبلي العيسمي والياس فرح وعشرات آخرون الى هؤلاء..!!

لماذا لايحكم الاسلام الالهي في البلاد العربية.. وتحكم القومية المستوردة؟!

ولماذا تدّعي الاحزاب القومية الاصالة في الوقت الذي استوردت فيه القومية من اوربا، والاشتراكية من روسيا؟... فأين الاصالة؟

القوميون اتفقوا جميعاً على ان أهم عناصر القومية الاساسية هما اللغة والتاريخ، رغم ان القرآن هو الذي نشر اللغة العربية في العراق والشام ومصر وشمال افريقيا والسودان وان الاسلام هو الذي كون الحضارة الاسلامية، و بالاسلام ازدهر تاريخ العرب بعد قرون التخلف، والعصبية القبلية، والجهل.. رغم هذا كله يتنكر القوميون اليوم للقرآن، والحضارة الاسلامية والاسلام.

ان لغة العرب هي لغة الاسلام، وتاريخ العرب هو تاريخ الاسلام، وديانة العرب هي ديانة الاسلام فكيف يدّعي القوميون العروبة و ينكرون الاسلام.. افلا يعتبر عملهم هذا خلافاً للماضي والواقع.

ولرب سائل يقول: ان القوميين يريدون الوحدة العربية بدل الوحدة الاسلامية ومساحة الوطن العربي كبيرة جدا وعدد نفوسه يفوق الـ(١٥٠) مليون نسمة فلماذا نصرُّ على الوحدة الاسلامية بدل الوحدة العربية؟

ان جوابنا على هذا السؤال يتمثل في ان فقهاء المسلمين وقادتهم وعلماءهم لايصرون على وحدة اسلامية تشمل كل البلدان والقوميات والطوائف الاسلامية تحت قيادة واحدة وحكومة واحدة رغم كون ذلك هو الأمل فقول جمال الدين الافغاني في هذا المجال كان جيداً اذ قال: «لا التمس بقولي هذا ان يكون مالك الامر في جميع البلدان الاسلامية شخصاً واحداً فان هذا ربما كان عسيراً ولكني ارجو ان يكون سلطان جميعهم القرآن ووجهة وحدتهم الدين».

ونحن نقول ايضا ان المستعمرين البريطانيين والفرنسيين

وغيرهم الذين دققوا وتفحصوا الاسلام والقومية لم ينطلقوا من جهل او عدم تجربة فيوم جاؤونا بالقومية، والجامعة العربية، وغيرها كانوا يعرفون و يدركون بأن الرابطة القومية سوف تفشل في الوحدة حتى بين شطرين مثل اليمن الشمالي والجنوبي او بين السودان ومصر. . .ومعلوماتهم تلك جاءت من خلال دراسة واقع المسلمين وايمانهم بمبادئهم. اذ وجدوا تعلق المسلمين بالاسلام واحكام القرآن وعدم اهتمامهم بالوحدة القومية، والرابطة القومية، ومرفقاتها من الاشتراكية، والليبرالية، والعلمانية.

فالتاريخ الاسلامي الذي درسه الغرب يقول: «ان المسلمين في الهند والبلاد العربية كانوا يثورون و ينهضون لمساندة الخليفة العثماني باسم الاسلام، وايام الحروب الصليبية تجمع المسلمون من أمم و بلدان شتى لتحرير القدس وفلسطين، وجمال الدين الافغاني المنفي من ايران استطاع باهدافه الاسلامية تحريك العرب في مصر والفرس في افغانستان وايران والمسلمين في الهند.

فأوربا ادركت بأن القائد الاسلامي والمبادئ الاسلامية القرآنية، والوحدة الاسلامية، والدعوة الاسلامية تثير المسلمين وتهزهم وتوحدهم وتعيدهم الى ايام مجدهم وعزتهم وحضارتهم، بسبب قوة العقيدة الاسلامية.

اما المبادئ القومية، والرابطة القومية، والعقيدة القومية، والافكار الغربية، فهي لاتحرك المسلمين ولا توحدهم.. بل تؤدي الى تفرقهم وتشتتهم وتناحرهم وتبعيتهم وانهيارهم.. ووضع البلاد العربية الحالي المهزوز يوضح ذلك.. فهل يشك احد في ذلك ويخالف الحقيقة.

ان اوروبا تعتقد بأن دعاة العروبة ــ سواء رضوا ام لم يرضوا ــ يتبعون اوروبا ويحاربون في صفها... والسبب ان العالم ومنذ بداية حياة الانسان على هذه الارض يقسم الى قسمين: اتباع هابيل واعوان قابيل. قسم مؤمن بوجود الله وقسم ناكر له.. وهذا العداء والتناحر اتضح اكثر

بعد ظهور الاسلام. لذا فان القوميين سواء كانوا اتراكاً (اتاتورك) او عرباً (عازوري، شميل) او فرساً (رضا بهلوي) هم في طرف الغرب، وفي حرب ضد الاسلام. كما ان نداء العروبة لاسلطان ولا سحر له على المسلمين وان الوحدة القومية العربية في ظل ذلك يستحيل ان تتحقق، وان السياسة البريطانية (فرق تسد) سوف تثمر.. لهذا شرعت اوربا في خططها ومؤامراتها المتمثلة في الحركة القومية والعلمانية...

وبعد ثمانية عقود على ذلك النداء الشيطاني الداعي للقومية الذي جاءنا من أرض الصليبية والاستعمار تحققت كل احلام واهداف الاوروبيين. فلا قدس عربية، ولا مكة اسلامية، ولا وحدة عربية، ولا رابطة عروبية ولا حضارة عربية... وبالتالي لا وحدة قومية ولا وحدة اسلامية!!!.

حضارة الاسلام وتبعية القومية

الدين الاسلامي كان ولازال له فضل كبير في توحيد الشعوب الاسلامية وتعليمها وتوحيدها وتهذيبها، واليه تعود اسباب سقوط الامبراطوريتين العظيمتين الفارسية والرومانية، وبفضله تخلص العرب من العادات الجاهلية التي كانت تحول دون تطورهم ووحدتهم وقوتهم.. فبنزول الرسالة الاسلامية تغير كل شيء.

والعرب لولا الاسلام لما امكن لهم توحيد الجزيرة العربية والاتجاه نحو العراق والشام، وفارس ومصر، وشمال افريقيا والاندلس.

فحضارة الحميريين والسبئيين فشلت في مد سلطانها على تراب الجزيرة العربية وسكانها، واللغة العربية بفضل القرآن اخذت تدرس في مدن ايران ومدارس بخارى واقاصي افريقيا.

ان العرب قبل الاسلام لم تكن مخيلتهم تستوعب انشاء امبراطورية حدودها الصِّين شرقاً وبلاد الافرنج غرباً، ولكن الاسلام

اوصلهم الى تلك البلاد بقوة الايمان، فاثناء الفتوحات الاسلامية التي قادها العرب كانت تعاليم الاسلام من عدل وتسامح ومساواة تصل الى سكان البلاد المزمع فتحها قبل وصول الجيوش الاسلامية. الأمر الذي ادى الى استسلام المدن قبل حصارها وسقوط الحصون قبل اختراقها وانهزام العساكر قبل قتالها. وما ان مضت سنوات قليلة على فتح مكة حتى كانت القدس والمدائن وارض الكنانة من جملة البلاد المفتوحة.

ووقتها فشلت جحافل الفرس بقيادة (رستم)، وجيوش الروم بقيادة (هرقل) في مواجهة جيوش المسلمين رغم الفارق الكبير في العدة والعدد لصالحهم.

ان مرادنا من سرد تلك الوقائع هو وضع المسلمين العرب امام السبب الرئيس الذي اوصلنا الى الحالة المزرية التي نعيشها اليوم فسبب نكبة العرب المسلمين عموما ناتج عن ابتعادهم عن بعضهم و بعدهم عن الاسلام، فالاتراك تحت حكم عسكري والباكستانيون كذلك، والعرب في ظل وصاية امريكا، اما الايرانيون الذين نصرهم العزيز الجبار في ثورتهم الاسلامية فمازالوا يصارعون الشيطان الاكبر في حصاره ومؤامراته الداخلية وحربه الخارجية.

واذا قال قائل بان النكسة العربية حدثت مع وجود الاسلام، نقول له ان الموجود لدى الانظمة العربية الحاكمة هو قشور الاسلام لا غير، فالقوانين القضائية غربية، وانظمة التعليم والثقافة واجهزة الاعلام قومية علمانية، واحكام الاسلام محصورة في بطون الكتب... فأين الاسلام في هذه الحكومات الالحادية؟...

ان الحاكم علينا الآن هو الاستعمار.. والاستعمار فقط.

ان العقيدة القومية التي تعتنقها أغلب الانظمة العربية يراد منها هدفان:

اولا: احلالها محل الاسلام.

وثانيا: فصل القوميات الاسلامية الاخرى عن بعضها وعن العرب، بواسطة معاداة الشعب الايراني واهمال الشعب الافغاني... وهكذا. والقومية لايجهلها احد فهي ملجأ اعداء الدين والمعادين للوحدة الاسلامية والمتأثرين بالحضارة الغربية... وفي تجربة هتلر و موسوليني القومية الكثير من العبر والدروس...

والتاريخ العربي لا يذكر لنا حضارة باهرة، عظيمة رفيعة عاشها العرب في ظل القومية يمكن مقارنتها بحضارة العرب الاسلامية. اما عن حضارة الاسلام في بداية عهدها فلم تكن قومية... فالعرب المسلمون كانوا يرخصون دماءهم في سبيل الدين، والرسول الكريم (ص) لم يرفع سوى شعارات الاسلام خالصة.. وحديث: «لافرق بين عربي واعجمي الا بالتقوى» اشتهر اكثر من غيره... الأمر الذي ادى الى دخول الاعاجم في الاسلام، امثال سلمان الفارسي و بلال الحبشي وصهيب الرومي، و بذلهم كل ما يملكون في سبيل الدفاع عن الاسلام والمسلمين...

وحين زحف العرب المسلمون الى الامصار الاخرى لفتحها وجدوا استقبالا حارا ومشاركة غير متوقعة في تسهيل فرض الاحكام الاسلامية.

و يوم ايقن الاعاجم بعدالة الاحكام الاسلامية، واخلاص العرب في تطبيقها.. وقتها بلغت الحضارة الاسلامية ذروتها في الرفعة والاتساع.

ان قول «تو ينبي» المؤرخ والمسؤول البريطاني الكبير حول ترابط الاستعمار والقومية في البلاد الاسلامية وجملته الشهيرة: (تراجع القومية مرهون بتراجع الاستعمار) قد نبعت من واقع الاستعمار والقومية.

و بفعل الانتكاسات الحالية المتمثلة بانظمة عميلة وغدة اسرائيل السرطانية واستفحالها، وتواطؤ الحكام مع الاستعمار في معاداته

للشعب وللاسلام، ادرك المسلمون العرب وعورة الوادي الذي يسيرون فيه. ومن سخريات القدر ان بريطانيا وامريكا وفرنسا تشجع الحكام العرب على السير في وادي القومية، بينما الانظمة الانكليزية والامريكية والفرنسية تعارض تطبيق القومية في بلادها.. فالرئيس السابق (كارتر) ايرلندي، وكيسنجر الماني وهكذا بقية الوزراء..!!

ان انحطاطنا الحالي بلغ مداه يوم وصلت الى السلطة في بلادنا احزاب ترفع شعار القومية علناً، وتعارض الاسلام جهراً.. وفوق كل هذا وذاك تدعي اسلاميتها في مواجهة الحركة الاسلامية! وتدعي المسير على طريق الاجداد والعظماء.

ان البلاد العربية بلا استثناء تعرضت وتتعرض لهذه العاصفة الهوجاء... والواجب يحتم على علماء الدين الشيعة والسنة الوقوف ضد هذه الهجمة عسى الله ان يقوضها و يبعدها عن ديار المسلمين.. والرسول (ص) قال: «اذا ظهرت البدع فليظهر العالم علمه، فمن لا يفعل فعليه لعنة الله». والرفض الصامت امام هذا الداء لايوصل الى نتيجة بل يؤدي الى العكس.

فالاسلام هو الذي يجمع البشر، والقومية تؤدي الى عدائهم و بغضهم لبعضهم، والاسلام هو الذي ينشئ الحضارة لا القومية.

يقول تو ينبي في هذا المجال: «للعقائد الدينية دور خطير للغاية في مجريات التاريخ ومصداقاً لهذا الرأي تولدت الحضارتان المسيحيتان (الشرقية... والغربية) عن طريق العقيدة المسيحية، وانبثقت الحضارتان الايرانية والعربية عن طريق الاسلام.»[١٧]

وعن وحدة البشر الممهدة للحضارة والرقي والتطور يقول تو ينبي: «لن يتحقق للبشرية وحدتها المرتجاة الا بفضل الله، فلو اسقطت المرشد

١٧ــ تو ينبي مبتدع المنهج التاريخي الحديث/فؤاد محمد شبل/ص: ٤٨.

العلوي من اعتبارها لاندفع الانسان الى الفتنة وحل بالبشرية التنافر عوضا عن التوافق وهذا يجافي طبيعته القائمة على الالفة والمعاشرة»[١٨]

اما حضارة القومية فلا تتعدى الخمر والميسر وعداء القوميات الاخرى والغزو القومي اذ يقول عنها اللورد (لوثين) رئيس تحرير مجلة راوندتيبل البريطانية: «انه قد اصبح من الصعب على أوربا اليوم ان تخلق بين حياتها و روحها من التلاؤم ما ينقذها من اكبر آفات هذا العصر وهي القومية الضيقة»، وقال الامام الخميني: «من الاساليب التي يطرحها المخططون لايجاد الفرقة بين المسلمين و يقوم عملاء الاستعمار بالتبليغ لها هي القومية والوطنية».

العرب
في ظل الدساتير الوضعية
والعرب
في ظل الشرائع السماوية

مسلسل الاحداث التي مرّت بالعرب، او تلك التي مرّ العرب بها، بما فيها من انتصارات وانتكاسات، واستقلال واحتلال، وفترات مظلمة وحضارية تغني القارئ المسلم بتجربة عظيمة مليئة بالعبر والدروس والحِكم تتعلق بهذه الامة التي ابتلاها الله بحمل الرسالة الاسلامية.

وأهم ما يواجه الباحث جانبان: العرب في ظل الدساتير الوضعية، والعرب في ظل الشرائع السماوية (الاسلامية).

ولتفصيل ذلك نخوض في المراحل الثلاث التي عاشها العرب

١٨ــ نفس المصدر/ص: ٥١.

المسلمون مع الحضارات والقوميات المجاورة إذ بين البعثة الاسلامية والثورة الاسلامية مراحل ثلاث.

في بداية النهضة الاسلامية في القرنين الاول والثاني الهجريين كان للعرب المسلمين احتكاك مباشر وغير مباشر مع الحضارتين العريقتين الفارسية واليونانية.

ودون اي تأثر سلبي على الحركة الاسلامية الصاعدة من ناحية الحضارتين المذكورتين استطاع المسلمون رفدَ حضارتهم بما سبقتهم اليه الحضارة الفارسية واليونانية من نظام جيش، وادارة، وتجارة، وصناعة سفن، وامور حياتية أخرى... وكل النظم والتجارب الممتازة.

و بقي المسلمون محافظين على تقواهم وايمانهم ونهجهم الاسلامي، وعباداتهم الروحية و بقية الخصال التي حصلوا عليها من الاسلام.

و بفعل ذلك الالتزام، والحفاظ على المبادي الالهية تحولت وفي فترة وجيزة القومية الفارسية و بقية القوميات الخاضعة لها الى الاسلام... الأمر الذي ادى الى اشتراك الفرس والبربر وغيرهم في الفتوحات الاسلامية في شرق واواسط آسيا.

و بعد الاحتكاك المباشر بالحضارة الفارسية بعد الانتصار عليها، استمرت الحضارة الاسلامية قروناً عديدة في انتصاراتها وفي القرن السابع الهجري بدأ احتكاك جديد (المرحلة الثانية) بالجحافل التترية التي عاثت في الارض فساداً وكفراً وخراباً. و يومها كان العرب ــ في زمن الدولة العباسية ــ على درجة كبيرة من الحضارة، والغازون على درجة كبيرة من الوحشية والبربرية ورغم ذلك استطاع المسلمون العرب امتصاص الهجمات التترية وتحملها والحفاظ على كيانهم الاسلامي وروحهم الاسلامية. و بفعل ذلك الصمود وتلك المقاومة تحول الغزاة الى دين المسلمين الخاضعين لهم.

ولم يأت ذلك التحول عند المغول مباشرة بل جاء بفعل جهود

علماء كبار من امثال (نصيرالدين الطوسي) الذي كرّس نفسه بعد تخلصه من القتل على يد السفاح هولاكو في سبيل احداث التغيير الفكري عند هؤلاء الجهلة نحو الاسلام والعلم والحضارة.

و بعد وفاة هولاكو وتولي الحكم من قبل ابنه (تكودار) اعلن هذا عن اعتناقه للدين الاسلامي، وسمى نفسه (احمد تكودار)، الامر الذي أدّى الى اعتناق رجال الحكومة وافراد الجيش الاسلام، ومن ثم جميع المغول الذين جاءوا للبلاد كغزاة محتلين.

ومثل هذا نادر حدوثه في التاريخ، لذا فان انكسار الفرس امام العرب المسلمين، وغلبة التتر على العرب المسلمين يعتبران انتصارين كبيرين للاسلام، ففي كلتا الحالتين كسب المسلمون قومية كبيرة اصبح لها صولات وجولات في حروب الدفاع عن حياض الاسلام والمسلمين.

بداية نكسة المسلمين... متى؟

الى تلك الايام المعاصرة لغزو التتروما بعدها من السنوات والعقود الاولى للدولة العثمانية كانت اغلب اقطار المسلمين مستقلة وتحيا حياة إسلامية نوعاً ما.

أما عن المرحلة الثالثة فقد بدأت مع بدايات انحلال الدولة العثمانية والى ايام انتصار الثورة الاسلامية في ايران.

هذه المرحلة بدأت في اوائل انتصار الثورة الفرنسية وسنوات النهضة الاوروبية الحديثة، فالاستانة العثمانية اخذت تنظر للنور المنبعث من اوروبا في محاولة لتقليد الاوروبيين في كل ما عندهم من محاسن ومساوئ، ناسية سبب انتاصرها واستمرارها كدولة عظمى طول الحقبة الزمنية الماضية.

ومع سنوات تحول العثمانيين عن شمس الاسلام الى نجم اوروبا، بدأت الاستانة العدّ التنازلي لحضارتها واسلامها، ومعها بدأت

الفترة المظلمة من حياة المسلمين قاطبة من عرب وعجم... لذا فان انحراف العثمانيين عن جادة الاسلام في القرن الثامن عشر سهل على اوربا ابتلاعها.

ومع انحراف العثمانيين بدأ ابتعاد عربة القوميات الداخلة في الاسلام من عرب، وفرس، واكراد، وبربر، وافارقة، وبلوش وغيرهم عن شرائع الاسلام.

ان المرض الذي اصاب جسم بلاد الاناضول قد جاء نتيجة شعور الدولة بالضعف والانهزام أمام الغرب. يقول ابن خلدون: «المغلوب مولع دائماً بالاقتداء بالغالب في شعاره ونحلته، وسائر احواله وعوائده».

وعليه تحولت تركيا في زمن اتاتورك نهائياً نحو الغرب تاركة كل ما يمت بصلة للاسلام والمسلمين، ومعبدة كل الطرق الموصلة الى الغرب والغربيين.

واقتطاع تركيا عن باقي البلاد الاسلامية ليس بالامر الهين لانها مركز الدولة العثمانية، وجزء مهم من الوطن الاسلامي فكيف لا يفرح الغرب بتحول تركيا، وهو مازال يذكر اجتياحها لاوروبا ومحاصرتها لفينا عام ١٦٨٢ــ١٦٨٣ اضافة الى ان هذا التحول سوف يؤدي بباقي البلدان الاسلامية إلى أن تحذو حذو تركيا.

ومثلما يدرك كافة المسلمين يقول المؤرخ توينبي: «ان نقائص الحضارة الغربية هي العنصرية والخمر والقومية». وهذه كلها انتقلت الى تركيا والبلاد العربية.

فكما اصيبت تركيا بداء القومية والخمر وصلت هذه الموجة الى الامصار العربية مع بداية سنة ١٩٠٨. وفي عام ١٩١٦ حدثت ثورة لورنس القومية. وفي عام ١٩٢١ وصل رضا بهلوي الى السلطة في ايران متخذاً من القومية والعلمانية شعاراً له، وهلمّ جرّا.

وهكذا انتشرت قشور الحضارة الغربية ــ القومية والخمر

والفساد ــ في العالم الاسلامي بمساعدة الغربيين انفسهم، وسلخت ومسخت البلاد العربية والاسلامية الواحدة بعد الاخرى. فهذه تركيا فيها الكثيرمن الدروس والعبر والخلاصات لكل المسلمين والاحرار في العالم الاسلامي، فاتاتورك تسبب في ضياع جيلين لايعرفون هل هم شرقيون ام غربيون!

ووضع تركيا الآن بعد مضيٍّ اكثرمن ستين عاما على حركة اتاتورك القومية العلمانية بما فيها من احتلال امريكي، وسلطة عسكرية، وتمزق اجتماعي، وخراب اقتصادي لهو خير دليل على عقم القومية العلمانية في بلادنا الاسلامية.

ولخطورة المؤامرة المحاكة ضد العالم الاسلامي نورد مقالة المؤرخ تو ينبي الذي عمل مستشاراً لوزارة الخارجية البريطانية لمدة ثلا ثين عاما ــ حتى اواخر عام ١٩٥٥ ــ اذ يقول: «رغم فشل شعار الوحدة الاسلامية في مراحل سابقة، ودخوله في حالة السبات، الا ان الوحدة الاسلامية نائمة ولكن يجب ان نضع في حسابنا ان النائم، قد يستيقظ».

وفي مسألة القومية يقول: «انما المسلمون اخوة رغم اختلاف الجنس واللغة والبيئة وتراجع الفكرة القومية الدخيلة عن العالم الاسلامي، مرهون بتراجع قوة الغرب وغلبته».

هذا ما قاله احد المسؤولين الغربيين لذا فان المنادين بشعار القومية في العالم العربي لا يختلفون بأيٍّ شكل عن اتاتورك وبهلوي، فهؤلاء جميعاً ارادوا طمس معالم الدين الاسلامي في تركيا وايران و البلاد العربية.

فهذا ميشيل عفلق ــ من اب مسيحي وام يهودية ــ الذي اسس حزب البعث وجعل شعاره امة عربية واحدة، ذات رسالة خالدة، يقول في كتابه (في سبيل البعث): **«ان الاسلام لا يصلح لانه يفرق بين الشعوب» وحجته في ذلك وجود الاقليات المسيحية في البلاد العربية**

الاسلامية.!!!

ورغم عدم التفاتنا لمسألة اتفاق مسيحيّي لبنان مع يهود تل ابيب ضد المسلمين حاليا نقول: ان فترة تعايش المسلمين مع المسيحيين واليهود في ظل الحكم الاسلامي عبر اكثر من عشرة قرون مضت وسنوات تعامل الحكومة الاسلامية في ايران مع المسيحيين واليهود بما فيها من احترام، وتقدير، وحرية دينية ومساواة اجتماعية لهي اكبر دليل على مدى رعاية الاسلام واحترامه للاديان الاخرى.

والنقطة المهمة في مسألة العرب والاسلام، ان العرب لم يحصل لهم الحكم ولا التطور ولا الاستقلال لا في العصر الجاهلي ولا في العصر الاستعماري، لا في زمن قبل الاسلام، ولا في زمن ترك الاسلام... وعلى العكس من هذا نجد بأن العرب ظهرت بوادر نهضتهم وحضارتهم وحكمهم لانفسهم مع ظهور الخيوط الاولى من فجر الاسلام و هذا ادى الى انتصارهم في حرب اليرموك والقادسية وحطين وعشرات المعارك الاخرى التي خاضوها ضد اعتى واطغى امبراطوريات تلك القرون... و بفعل ذلك المد الحضاري للاسلام الذي يعود الفضل في جزءٍ كبير منه إليهم؛ تمكن العرب من فتح بلاد الاندلس وتهديد فرنسا اضافة لفتح جزر البحر الابيض المتوسط.. و يومها اصبح اسم العرب مرادفاً للاسلام والحضارة، بعد ان ربطوا مصيرهم بمصير الرسالة السماوية وظهر منهم الفقهاء والعلماء والفلاسفة والاطباء والقادة.. واصبح الاستكبار بأجمعه مهدداً بدينهم وفكرهم وعساكرهم... و بفضل الكتاب المجيد الذي نزل بلغة العرب اصبحت لهم مكانة مهمة عند شعوب العالم واخذت الملايين من مسلمي الارض في شرقها وغربها تُقدِم على تعلم لغة القرآن اي لغة العرب.

و بفعل انتشار اللغة العربية في كل مكان يتواجد فيه المسلمون اصبح سهلا على العرب السفر للتجارة الى اقطار الارض فكثرت

رحلاتهم الى شرق الصين والى جنوب افريقيا.

ليس هذا فقط بل ان وجود بيت الله الحرام في الجزيرة العربية أوجب على كل من نطق بشهادتي (لا اله الا الله، محمد رسول الله) الحج الى الكعبة الشريفة اذ يقول جلّ وعلا: «ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا». (آل عمران: ٩٧)

فأصبحت بلادهم مؤتمراً كبيراً للمسلمين القادمين من اجل أداء فريضة الحج...

وهكذا اصبحت ارضهم ولغتهم محترمتين من قبل المسلمين... وقال الامام علي(ع) عن العرب المسلمين في بداية عهد الرسالة: (العرب اليوم و ان **كانوا قليلا** فانهم كثيرون بالاسلام **وعزيزون بالاجتماع**).

كان ذلك هو شأن العرب مع الاسلام... اما فيما يخص العرب بلا اسلام فالكل يعرف ماذا جرى لهم، وكيف تغير حالهم ولماذا اصبح سافل القوم عاليهم.. حيث قال ابن خلدون في هذا المجال: «ان العرب لا يحصل لهم الملك الا بصبغة دينية من نبوة او ولاية او أثر عظيم من الدين على الجملة».[١٩]

اما في هذا العصر فقد قال العالم المجاهد (عمر عبدالرحمن) ـ نزيل السجون المصرية والمتهم باعطاء فتوى اعدام السادات: «ايها الاخوة ان الاسلام حقيقة واحدة.. وهو كامل وشامل لنواحي الحياة كلها. فالاسلام دين و دولة وسيف ومصحف ومسجد ووزارة وسياسة واقتصاد وحكم. والذين قالوا لادين في السياسة ولا سياسة في الدين قد كذبوا لان الحق انه لا دين بغير سياسة ولا سياسة بغير دين وقال الله تعالى: «ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة للمتقين» فالايمان ايها الاخوة لا ينقسم ابداً والذي يؤمن باركان الاسلام لابد ان

١٩ـ (ابن خلدون/ المقدمة / ص ١٥١ / ط. دار القلم ـ بيروت ـ).

يؤمن بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر و بالجهاد في سبيل الله.. لقد جرّبنا الاشتراكية فما نجحت والرأسمالية فما افلحت، فلماذا لا نجرب الاسلام؟»

واذ نقول نحن بضرورة إبعاد القومية لا نقصد بذلك القضاء عليها نهائيا بل نعني بضرورة الاحتفاظ بحسناتها واخراج مساوئها المتمثلة في العنصرية والعلمانية ورأينا قول الشهيد (مطهري) جيداً في هذا المجال اذ قال:

«ولا نريد ان نحكم على القومية بالطرد بصورة مطلقة فإنها ان اقتصر منها على الجانب الايجابي فقط اي كان لها الأثر في توثيق العلاقات الحسنة وتوطيد الروابط الاخوية والخدمات بين من نعيش فيهم الحياة المشتركة، لم تكن مضادة للعقل والمنطق، ولم تكن ذميمة في الاسلام ايضا، بل يعترف الاسلام بحقوق قانونية اكثر لمن لهم مثل هذه الحقوق كالاقرباء والمواطنين المجاورين وانما تصبح القومية محكومة بالطرد عقلاً فيما اذا اتخذت جانباً سلبياً، اي اخذت تفصل بين الافراد بعنوان اختلاف قومياتهم وتوجد بينهم علاقات متخاصمة وتعمى عن حقوق الآخرين»*

اما فيما لو حكم الفكر القومي كما هو اي مع عنصريته وعلمانيته فان هذا يعني اخراج الاسلام من الساحة نهائياً ولا احد يشك في ذلك، اذ يقول خلدون ساطع الحصري: «ان الاشتراكية والقومية العربية علمانية، تهدف الى الفصل فصلاً قاطعاً وحاسماً بين الدين والدولة»[20]... ونكون بذلك قد تبعنا الاجانب الذين يريدون بنا شراً وأخذنا برأي الاقلية المسيحية ٣٪ واهملنا رأي الاكثرية من المسلمين

---

*الاسلام وايران، مرتضى المطهري، ج ١، ص٥٠.

٢٠ــ كتاب ثورة ١٤ تموز/ خلدون ساطع الحصري/ ص: ١٤٩.

البالغة نسبتها ٩٧٪ وهذا ما يخالف العقل والمنطق اضافة الى انه يخالف الكتاب الذي يقول: «يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود و النصارى اولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم ان الله لا يهدي القوم الظالمين» (المائدة: ٥١)

فليس هناك فرق بين ان يحكم المسلمين حاكم نصراني، او يهودي او شريعة نصرانية او يهودية.

(الفصل الرابع)

مرحلة

ما بين الحربين العالميتين

ـ حلّ الاحزاب القومية وتقسيم البلاد العربية.

ـ الملك فيصل.

ـ ساطع الحصري.

ـ فلسطين ضحية القومية.

ـ متى تحرر العلمانية والقومية فلسطين.

حلّ الاحزاب القومية وتقسيم البلاد العربية:

ان مرحلة ما بين الحرب بين العالميتين، مرحلة مهمة ودقيقة في تاريخ لعالم العربي والاسلامي، وضّحت بعمق مدى سيطرة الدوائر الغربية على الحركة القومية العربية.. اذ تلاعبت في استراتيجيتها وخطها ومنهجها فحرفتها عن الوحدة العربية الى الوحدة القطرية.. ولم يقف الامر عند هذا الحد بل حلّت بريطانيا وفرنسا كل الحركات القوميّة التي كانت قد انشأتها في مرحلة ما قبل الحرب العالمية الاولى.

وهكذا انتهت المنظمات التي كانت تتبجح بالوحدة القومية وبالاستقلال قبل الحرب بقرار اوروبي و بصورة تدريجية سهل في تحقيق بنود معاهدة سايكس بيكو، ووعد بلفور، والسيطرة البريطانية الغربية، وتجزئة البلاد... وهذا ما كان يراد منها بعد ان رضيت بنفوذ فرنسا و بريطانيا في صفوفها وهلهلت للاستعمار الغربي بدلا عن الدولة العثمانية الاسلامية.

اما حركة الشريف حسين التي جرت الو يلات على مسلمي المنطقة و بلدانها فقد مضت في خيانتها للدين والشعب طلبا لسدة الحكم وأملا في ارضاء الانكليز، شأنها شأن بقية الحركات القومية العميلة التي سرعان ما تلاشت واضمحلت بعد انقطاع المساعدة البريطانية عنها، فقد

قضى الشريف حسين أواخر ايامه بلامنصب ولا هيبة ولا احترام وبحالة مزرية مما دفعه لان يقول: «هذا جزاء من يثق و يتعامل مع الانجليز»*.

والسؤال الذي يطرح نفسه هو: لماذا غيرت اوربا رأيها في الحركات والاحزاب القومية الى الحركات والاحزاب القطرية، ولماذا سحبت تأييدها للشريف حسين؟

إن الجواب على هذا السؤال قد ألمحنا إليه في الفصل الاول من الكتاب وبالضبط في موضوع لماذا اختارت اوربا القومية للعالم الاسلامي، ذلك ان اوربا جاءت بالقومية لا لكي توحد العرب والفرس والاتراك داخل قومياتهم لان هذا يعني نشوء دولة عربية كبيرة، ودولة ايرانية عظيمة بانضمام افغانستان و بعض جمهوريات روسيا الى ايران، ودولة تركية واسعة باتحاد اتراك الصين وروسيا مع اتراك الاناضول، بل كان المخطط له هو فصل تلك القوميات عن بعضها وتحطيم الدولة العثمانية بعزل العرب عنها فتبقى تركيا وحدها في ميدان الصراع مع اوربا.. اذ انها سوف تخسر العرب من ناحية، وتعادي روسيا من ناحية اخرى، بسبب مطالبتها باتراك روسيا. و بذلك يسهل القضاء على الدولة العثمانية الموحدة للمسلمين، و بالتالي تقسيم ممتلكاتها بين فرنسا و بريطانيا.

ولما نجحت اوربا في مسعاها المذكور فرضت على تركيا معاهدة مذلة مخزية، واغتصبت فلسطين في وعد بلفور، وصادقت على معاهدة سايكس بيكو القاضية بتقسيم البلدان العربية بين فرنسا و بريطانيا.

و بعد ذلك وجدت اوربا بأن الدعوة القومية يمكن ان تنقلب ضدها، وضد مصالحها وذلك فيما لو حاولت وسعت الحركات القومية للوحدة بين العرب كافة والبلدان العربية كافة، لذا قررت تكريس

---

* القومية والغزو الفكري/ محمد جلال كشك/ص ٣٧٥.

الاقليمية بالتخلص من الاحزاب القومية، ومن الشريف حسين الذي كانت بريطانيا قد اعطته وعدا باعتلاء عرش الجزيرة والشام والعراق... فمن ناحية حولت الاحزاب القومية الى احزاب قطرية ونفذت ذلك بسهولة بسبب التبعية الفكرية لهؤلاء وعدم امتلاكهم لاهداف واضحة، وعقائد راسخة، وعدم مساندة الشعب لهم..

اما الشريف حسين فقد اهملته بريطانيا، وسحبت تأييدها له، الامر الذي دفعه للندم والحسرة على بيع دينه، وعمالته للانكليز بثمن بخس، وتأييده للصهاينة ومعاداته للدولة العثمانية...

والأمر المخزي للحركات والشخصيات القومية انها تراجعت عن مبادئها وايديولوجيتها بصورة عاجلة بعد طلب من بريطانيا فنجد الامير فيصلاً الذي ذهب لمؤتمر الصلح في باريس بصفة ممثل عن العرب وشارك في حركة لورنس باسم الوحدة القومية قد اخذ يطالب بالاقليمية بعد تنصيبه ملكاً على العراق.

ومثلما تآمر الغرب في مرحلة ما قبل الحرب العالمية الاولى على المسلمين استمر تآمره عليهم في مرحلة ما بعد الحرب...

ففي المرحلة الأولى جزأ البلاد الاسلامية، وفي المرحلة الثانية اوصل حكومات دكتاتورية عميلة الى سدة الحكم... ففي تركيا اوصلوا اتاتورك ، وفي ايران جاءوا برضا بهلوي، وفي العراق نصبوا فيصلاً، وفي الجزيرة آل سعود وهكذا...

وكان الهدف الاساس من ايصال آل سعود الى حكم الجزيرة العربية، حيث توجد مكة المكرمة والمدينة المنورة، هو المزايا التي تتمتع بها تلك العائلة، من مذهب له اختلافات مع بقية مذاهب المسلمين، وتلبس العائلة المذكورة بالدين، وانغماسها في العمالة للغرب.. وتلك العائلة وبسبب المساندة الانكليزية تمكنت في عام ١٩٣٢ من السيطرة على كل اجزاء الجزيرة العربية.

والملفت للنظر ان تنصيب اتاتورك ، وبهلوي، وفيصل، وعبدالله، وآل سعود قد جاء في فترات متقاربة، فمثلا نصب فيصل ملكا على العراق عام ١٩٢٠، ونصب اتاتورك رئيسا لتركيا عام ١٩٢٣، في حين نصب رضا بهلوي امبراطورا عام ١٩٢٥.

إن هذا يوضح مدى نفوذ الانكليز في البلاد الاسلامية وقدرتهم على خلع و تنصيب الحكام، و يوضح ايضا الخطة الغربية الجديدة في استبدال القومية بالقطرية.

اما في البلدان العربية الافريقية فقد كانت المؤامرة الاستعمارية قد وطئت ارضها قبل البلدان العربية الاسيوية بشكل احتلال استعماري منبوذ جاء في النصف الثاني من القرن التاسع عشر.

والملاحظ ان الشخصيات والعوائل التى اوصلتها بريطانيا وفرنسا الى سدة الحكم، والاحزاب القومية التي أسسها الغرب في البلدان العربية كانت جميعها ترضى بالتجزئة والتقسيم واقتطاع فلسطين ولهذا كان نضالها(!) مكملا لخطط الدوائر الغربية.

والشيء المثير في مرحلة مابعد الحرب العالمية الأولى هو نشوء احزاب اقليمية من ذات الاحزاب القومية!!

وكان الهدف من انشاء الاحزاب القطرية الجديدة وتنصيب حكام جدد على البلدان الاسلامية (من قبل الغرب) يتمثل في تكريس التجزئة والتقسيم للبلدان الاسلامية والعربية وفق معاهدة سايكس بيكو.

فالغرب لم يكن يرضى بوحدة قومية ولا بوحدة اسلامية قد تساعد على نشوء دولة كبرى تهدد مصالحه ووجوده، الامر الذي ادى كما ذكرنا لعزل الشريف حسين عن سدة الحكم بعد مطالبته بوحدة الجزيرة والشام والعراق تحت زعامته، بينما نصب الغرب ابناءه على حكم العراق والأردن بسبب عدم وضعهم لشروط مسبقة للحكم، ولان اتفاق بريطانيا السابق ــ الذي ابطلت التزامها به ــ كان مع الشريف حسين

وليس مع ابنائه... بالاضافة لهذا فقد كانت علاقة اولاد الشريف حسين مع بريطانيا والصهيونية وثيقة وتأييدهم لسياسة بريطانيا كانت دون حدود و بلاد قيود.

ومن ضمن الاحزاب الاقليمية التي أسست في هذه الفترة «الحزب القومي السوري» الذي اخذ بمناهضة الوحدة الاسلامية والوحدة القومية معاً(!) اذ يقول: «سوريا للسوريين، والسوريون امة تامة» فهو يناهض فكرة القومية العربية، كما ينادي بفصل الدين عن السياسة.

وقد اسس ذلك الحزب (انطوان سعادة) الذي قال: «ان فكرة الجامعة الدينية السياسية منافية للقومية عموما، وللقومية السورية خصوصا».

الملك فيصل

في «الفصل الثاني» تكلمنا عن فيصل يوم كان أميراً وفي هذا الفصل نتكلم عن فيصل يوم نصب ملكا على العراق.. واختيارنا لفيصل دون سواه من الملوك والرؤساء ينبع من مشاركة هذا الفيصل في احداث مهمة من تاريخ اسرائيل، والقومية، والبلدان العربية قبل الحرب العالمية الاولى و بعدها. فأثر في تلك الاحداث بصورة كبيرة... ففي حركة لورنس عام ١٩١٦، كان من مساعدي العرّاب الانكليزي، وفي مسألة المحادثات بين العرب والصهاينة كان المسؤول عن اقامة العلاقات مع وايزمان، وفي احداث ثورة العشرين الاسلامية في العراق وقع الاختيار البريطاني عليه للتمو يه على جماهير العراق.

فيما يخص الملك فيصلاً الذي نصبته بريطانيا على العراق تحدث

---

* حركات و مذاهب في ميزان الإسلام / فتحي يكن / ص ٨٢.

(وليم بولك) عن علاقته بالصهيونية وزعيمها وايزمان قائلاً:

«خلال زيارة فيصل لبريطانيا كتب الضابط البريطاني المرافق له (الكولونيل كور نو بلز) لقد فهمت ان الدكتور وايزمان اقترح في مقابل مساعدات الامير في فلسطين نحو تحقيق الاهداف الصهيونية(!) ان يقدم مالاً ونصائح متى طلبت للحكومة العربية».

وفي حفل عشاء اقامه (اللورد روتشيلد) قال فيصل: «ان اهداف الدكتور وايزمان هي اهدافنا ونحن نستقبلك دون ان نسأل مساعدة في المقابل» لاحظ اقوال احد قادة الثورة العربية الكبرى!!!.

وهكذا بعد امتناع السلطان عبدالحميد عن اعطاء فلسطين لليهود اذ قال لهرتزل في عام ١٩٠١: «ان فلسطين ليست ملك يميني بل هي ملك شعبي الذي رواها بدمه فليحتفظ اليهود بملايينهم، وان عمل المبضع في بدني أهون عليّ من ان أرى فلسطين قد بترت من امبراطوريتي، وهذا امر لا يكون»*... لاحظ امتناع السلطان عبدالحميد عن بيع فلسطين مقابل اموال اليهود الطائلة رغم احتياج خزينته الماسة اليها......

والسؤال المطروح هنا هو لماذا ساند القوميون الانكليز في استعمار العرب وتجزئة بلادهم؟ وما هي دوافع مساندة فيصل لبريطانيا والصهيونية؟

ان الاجوبة على تلك الاسئلة تتمثل في ان هؤلاء القوميين العلمانيين كانوا يهدفون لخدمة خطهم الفكرى العلماني المعارض للاسلام، وهذا الفكر بالذات هو الذي دفعهم لخيانة شعوبهم المسلمة ومساعدة الاعداء وتثبيت اقدامهم في الوطن العربي.

فالصراع الماضي والحالي بين الشرق والغرب صراع فكري بين الفكر الاسلامي والفكر العلماني.. وبما ان الفكر القومي هو جزء من

---

* مجلة الطليعة الاسلامية، العدد ٣، مارس ١٩٨٣.

الفكر العلماني المعارض للدين وان العقيدة القومية هي احدى عقائد الفكر العلماني التي تشمل الشيوعية والرأسمالية، لذا فقد التزم القوميون بالمنهج العلماني وعارضوا الاسلام وحاربوه.

ولما كانت بريطانيا من الناحية الاستعمارية اقوى واشرس من بقية الدول الاستعمارية ومن منافستها التقليدية فرنسا ـ فهي التي كانت تستعمر العراق ومصر وفلسطين والأردن والجزيرة والخليج وايران والهند، وهي صاحبة وعد بلفور والثورة العربية(!) وحليفة وايزمان ـ فان بصماتها تظهر واضحة في حقبة ما بعد الحرب الاولى وقبلها... و بسبب تلك السيطرة كانت البعثات البريطانية تجوب البلدان العربية للتحالف مع رؤساء القبائل واصحاب النفوذ.. كل تلك الاسباب أدَّت لأن يتبع أغلب القوميين والعلمانيين الامبرطورية البريطانية و يتعلقوا بوعودها ومواثيقها وبهذا الشكل تبع آل سعود، وآل حسين، وبهلوي، واتاتورك بريطانيا دون غيرها.

و بعد نهاية الحرب العالمية الأولى استمر الامير فيصل في دوره المشبوه في خدمة الانكليز طبقا لنصيحة والده الذي طلب منه: «ان يتابع عمله في خدمة البريطانيين والا فهو (خائن) بنظر ابيه».*

وكان الامير فيصل يتابع عمله المذكور دون أقل رعاية ولا التفات لتعاليم الاسلام وحقوق الشعب... في مؤتمر الصلح الذي عقد في باريس في ٢٩/ كانون الثاني/١٩١٩ الذي حضره فيصل اعترف الامير بقيادة بريطانيا وفرنسا للثورة العربية، اذ قال:

«بصفتي ممثلا لابي الذي قاد الثورة العربية ضد الاتراك، بطلب من بريطانيا وفرنسا، جئت اطلب اعتبار الشعوب، التي تتكلم العربية في القارة الاسيوية، من خط يمتد من الاسكندرونة الى ديار بكر

---

* أسرار الثورة العربية ومأساة الشريف حسين/ أمين سعيد.

شمالا، وجنوبا الى المحيط الهندي، شعبا مستقلا معترفا به، وتحت ضمانة جمعية الامم»[1].

واستمراراً لثقة بريطانيا به فقد انتخب في تاريخ ٢٣/آب/١٩٢١ ملكا على العراق... ولم يكن انتخابه قد جاء وفاءً من بريطانيا لخدماته في مرحلة ماقبل الحرب واثنائها بل جاء ذلك الترشيح بسبب محاولة بريطانيا استمرار الاستفادة من تلك العائلة التي سخّرت نفسها لخدمة التاج البريطاني... هذا من ناحية ومن ناحية اخرى ارادت بريطانيا التآمر على ثورة العشرين الاسلامية التي كانت مشتعلة في العراق.

فالامير فيصل لم يكن معروفا بصورة جيدة لدى المسلمين في العراق بسبب نقص الوعي السياسي وافتقاد وسائل الاعلام... فالغالبية العظمى منهم لم تكن مطلعة على عمالته للانكليز واتفاقه مع وايزمان... وهذا ما ادى الى قبول بعض رجال الثورة به مثل المرحوم الشيخ الخالصي كملك على العراق.

وهكذا خان (فيصل) المسلمين للمرة الثالثة: الاولى في قبوله بحكم لورنس على الجزيرة العربية، والثانية في قبوله بوعد بلفور واعطاء فلسطين الى الصهاينة، والثالثة في العراق، عند قبوله بسيطرة الانكليز عليه واقامتهم القواعد فيه و تآمره على ثورة العشرين.

ونتيجة للعلاقة الوثيقة بين الملك فيصل والانكليز فقد سهل لهم السيطرة على العراق ونهب خيراته واستخدامه في سبيل مصالحهم.

ففيما يخص الوجود العسكري الاستعماري وافق الملك فيصل على توقيع معاهدة مع الانكليز تعترف بوجودهم وتعطيهم الاذن في انشاء قواعد عسكرية... فوفقا للمادة الرابعة من معاهدة عام ١٩٣٠ «تعهد جلالة

١- *Miller. D.H. My Diary at the Peace Conference (1918 - 1919).*

ملك العراق (فيصل) بأن يمنح صاحب الجلالة البريطانية طيلة مدة التحالف موقعين لقاعدتين جويتين ينتقيهما صاحب الجلالة البريطانية في البصرة او في جوارها وموقعاً واحداً لقاعدة جوية ينتقيها صاحب الجلالة البريطانية في غرب البلاد»!

تلك هي وطنية الملك فيصل التي يمدحها الحصري! وجاء في معاهدة ١٩٣٠ ايضا:

«ويقيم صاحب الجلالة البريطانية قوات في الهنيدي لمدة خمس سنوات بعد الشروع في تنفيذ هذه المعاهدة، وذلك لكي يمكن صاحب الجلالة ملك العراق من تنظيم القوات المقتضية للحلول محل تلك القوات، اضافة الى ذلك يكون العراق كله في خدمة بريطانيا ومصالحها وجيوشها»[٢].

من هذا نعرف بأن مرحلة ما بين الحربين العالميتين لا تقل خطورة عن مرحلة ما قبل الحرب العالمية الاولى فهي امتداد وتطبيق عملي لها.. اذ فيها نفذت معاهدة سايكس ــ بيكو وفيها نفذ مشروع وعد بلفور في انشاء دولة اسرائيل، وفيها تبعثرت الوحدة العربية والاسلامية.

وهكذا بعد ان فشلت الغزوات الصليبية السابقة التي اعتمدت على السيف توفقت الحملة الاخيرة التي توسلت بالفكر التآمري (العلمانية والقومية) في ابعاد الاسلام عن الساحة الاسلامية.

ساطع الحصري

ساطع الحصري هو احد الاشخاص الذين لعبوا دوراً كبيراً في مرحلة ما بين الحربين العالميتين نتيجة لتحركاته القومية العلمانية وكونه مساعداً للملك فيصل.

٢ــ مذكراتي في العراق/ ج٢/ ١٩٢١ــ١٩٤١ (ساطع الحصري)

فهو لم يكن اقل من (طه حسين) تغرباً وتأثيراً في مسخ ثقافة العالم الاسلامي، فطه حسين عمل وزيراً للمعارف، والحصري عمل مديراً عاماً للتعليم. والاثنان وضعا منهجا مدرسيا للطلبة المسلمين جلّه يبحث حول التاريخ والقيم والشخصيات الاوروبية، وعملهما المذكور كان جزءاً من هدفهما في نشر الثقافة الغربية.

والمعروف عن الحصري بأنه لم يكن الوحيد الذي تأثر بالقيم والثقافة الغربية نتيجة لرحلاته الى اوربا بل هناك رحلات تغريب عديدة منها رحلة (رفاعة الطهطاوي) من مصر، و (خير الدين التونسي) من تونس، ورحلة التركي (احمد رضا) ــ الذي تعرف على (أوغست كونت) فاعتنق الوضعية الى حد الاصرار على تأريخ منشوراته بالتأريخ الخاص بالوضعيين، وحذف التأريخ الهجري، علماً بان أبا احمد رضا كان يسمى (انكليزي علي بك) لحبه للانكليز وكانت امه نمساوية..

ومن رحلات التغريب ايضا رحلة (احمد خان) المسلم الباكستاني الذي كان يناضل ضد الاستعمار البريطاني، ولكن بعد ان بعثه الانكليز لزيارة لندن انبهر هناك بالحضارة الغربية، والتقدم التكنولوجي فحدث عنده انقلاب ايديولوجي دفعه لترك النضال ضد بريطانيا، والاعلان عن ضرورة التبعية لبريطانيا صاحبة الحضارة!

اما عن رحلة التغريب التي رحلها ساطع الحصري فكانت اطول من رحلات التغريب لاولئك. اذ انه وبعد ولادته في اليمن عام ١٨٨٠م لم يمكث فيها طويلا اذ بعثه والده ــ الذي كان رئيساً لمحكمة استئناف الجزاء في ولاية اليمن ــ الى الاستانة للدراسة في المدرسة الملكية الشاهانية ولم يكد عمره يبلغ ثلاث عشرة سنة.

وكانت الاستانة حين وصلها الصبي ساطع الحصري قد راجت فيها الافكار العلمانية الغربية بفعل تحكم النفوذ الغربي في الدولة العثمانية، وتغلغل يهود الدونمة في مؤسسات الدولة، وجهود الماسونية في

هذا المجال.. وكانت افكار التوجهات القومية قد اخذت تصل الى الاستانة من أوربا ذات التوجهات القومية.

وبعد تخرج ساطع الحصري في تلك المدرسة لم يرسل للعمل في احدى البلدان الاسلامية ــ كي لا يتأثر بالعقيدة والقيم الاسلامية ــ بل ارسل كمدرس الى اقاصي الدولة العثمانية في اوربا... ففقد ذلك الرجل الجو والتعليم والثقافة الاسلامية.

يقول مازن البندك في مقدمة كتاب (مختارات ساطع الحصري):

«ان الحصري عندما بعث للعمل في اوربا استطاع من هناك ان يكون على صلة بنتاج الفكر الغربي».

واذا علمنا بأن ديانة تلك المناطق هي المسيحية والصراع القائم بين الانظمة هناك صراع قومي نستطيع ان نقدر الاجواء التي عمل فيها الحصري في اوربا.. وكان طبيعياً لمثل الحصري ان يتأثر بنتاج الفكر الغربي.

وبعد التدريس انتقل للعمل في السلك الاداري فعين قائمقام ولاية (قصوة) على حدود النمسا ــ بلغاريا وهناك اتصل بجمعية الاتحاد والترقي.

ولكن هل حصل انقطاع بين الحصري ونتاج الفكر الغربي؟ يقول مازن البندك بأن الحصري بعد عودته الى القسطنطينية كان دائم الزيارة للعواصم الاوربية وعلى صلة شخصية بكثير من العلماء الغربيين في فرنسا وسويسرا(!)

وبعد ذلك العمر الذي قضاه ذلك الرجل ــ الحصري ــ في اجواء اوربية ومؤامرات غربية عاد الحصري استاذا الى العالم العربي لينقل خلاصة التجارب الغربية في الحكم والتربية والثقافة.

وبسبب معرفة الغرب بشخصية الحصري وثقافته واهدافه فقد سعى لاعطائه ارفع المناصب في البلدان العربية في سبيل نشر الثقافة

والافكار الغربية ــ التي يؤمن بها الحصري ــ فتبوأ على التوالي ثلاثة مناصب حساسة في ثلاث دول عربية حسب الترتيب:

١) وزير للمعارف في سوريا عام ١٩٢٠.

٢) مدرس في معهد التربية العالي في القاهرة.

٣) مدير عام للمعارف في العراق.

ولما كان الحصري قد لاحظ عن قرب محاربة الاوربيين للكنيسة المنحرفة لذا نرى ان الحصري وبمجرد وصوله الى سدة الحكم في العراق قد سعى و بكل جهده من اجل محاربة الاسلام والقرآن. رغم ان الديانة الاسلامية لا تملك كنيسة ولم تعقد تحالفات مشبوهة.

والملاحظ ان الحصري قدم من الغرب وهو يحمل حملاً ثقيلاً وغريباً عن العالم الاسلامي ولكن مع هذا سعى الحصري لتحميل الشعوب الاسلامية ذلك الثقل المتمثل في العقائد والقيم والثقافات البالية والفاسدة... فمن جملة افكاره المستوردة قوله:

«ان العاملين الاساسيين في تكوين القومية هما اللغة والتاريخ» * و بذلك ينكر حقيقة فضل الديانة الاسلامية على وحدة الامة الاسلامية في الماضي وقدرتها على توحيد المسلمين في الحاضر والمستقبل. و بذا ينحرف عن الحقيقة و يزور التاريخ ارضاء لثقافته الغربية والسلطات الغربية التي تطمح الى مثل هذا....

علما بان الحصري على علاقة وثيقة بسويسرا التي زارها مرات عديدة، والمعروف عن شعب سويسرا انه يتكلم ثلاث لغات و ينحدر من قوميات ثلاث ولكن رغم هذا يتوحد في دولة واحدة... وهناك تجربة اخرى عاشها الحصري تثبت بطلان افكاره وآرائه في عناصر الوحدة الا وهي التجربة التركية، فالاتحاد والترقي واتاتورك فشلا في ضم

---

* مختارات ساطع الحصري/ ج ١، ص ٥١.

اتراك روسيا والصين المختلفين في الدين في دولة واحدة رغم اشتراكهم في اللغة والتاريخ والعادات والتقاليد. اذن اللغة والتاريخ والقومية المختلفة ليست لها اهمية في الوحدة كما في سو يسرا، والدولة العثمانية...

ولكن رغم تلك التجارب واخرى غيرها كما في الامبراطوريات الاسلامية السابقة نجد ساطعاً الحصري يركب رأسه و يصر على نقل التجربة الاوربية في الوحدة القومية الى العالم الاسلامي المختلف عن اوربا في كل شيء.. ففي اوربا لا توجد ديانة شاملة ذات انظمة متكاملة قادرة على توحيد امم اوربا، بينما في العالم الاسلامي هناك ديانة سماوية ختامية، ذات شريعة شاملة.. والحصري لايملك ثقافة اسلامية ولا رؤى اسلامية ولا عقائد اسلامية و بذا يكون مجبراً على تطبيق ثقافته الغربية، وجعلها قوانين الزامية على الشعوب الاسلامية.

ورغم ان الحصري يقول: بأن اللغة اس الاساس للوحدة القومية نراه يعتقد بأن اليهود أمة و يعفيهم من شرط اللغة... لماذا؟ الجواب يتمثل في ان الاوربيين يريدون لليهود ان يكونوا امة كي يكون لهم بلد خاص بهم، والحصري بحكم تبعيته للغرب فكرياً لا يستطيع ان يخالفهم في نظرياته، وآرائه وخططه. فالغرب في نظر الحصري وامثاله صائب في كل خطواته بعيد عن الزلل ومواطن الخطأ، والخلل كل الخلل في كل ما ليس بغربي.

والعنصر الثاني في الوحدة عند الحصري هو التاريخ اذ يقول في كتابه (مختارات ساطع الحصري): «وحدة التاريخ يجب ان لانفهم من ذلك الوحدة التامة في جميع ادوار التاريخ بل يجب ان نفهم من ذلك الوحدة النسبية والغالبة التي تتجلى في اهم صفحات التاريخ...»*.

فهو في محاولة منه لاثبات صحة رأيه، يأتي باعذار شتى لهذا

---

* مختارات ساطع الحصري/ج ١، ص ٥٤.

العنصر، ورقع عديدة فيرى ان احد المفكرين كان مصيبا يوم قال: «على كل امة ان تنسى قسما من تاريخها.»*

وشأن ساطع الحصري شأن اتاتورك عميل لبريطانيا، معجب بها وبسطوتها وحضارتها وبسبب ذلك فقد اصبح ميله للانكليز معروفاً لهم ولفرنسا ولطوائف عديدة من الشعب....

وبسبب ذلك الميل للاستعمار الانكليزي تعرض ساطع الحصري للطرد من سوريا بواسطة القوات الفرنسية بعد ان اصبحت سوريا من حصة فرنسا.

وبسبب تلك العلاقات الحميمة بين الحصري وبريطانيا عملت بريطانيا من اجل الاستفادة منه في العراق والاستفادة من حماسه المنقطع النظير في سبيل خدمة التاج البريطاني.. ولما كان قطاع التعليم من اهم القطاعات في البلاد فهو المسؤول عن تعليم الاجيال، واعداد الرجال، ونشر العلوم والثقافة والقيم فقد انيطت مهمة ذلك القطاع الى ساطع الحصري المعروف بثقافته الغربية وبعده عن الاسلام اضافة الى نهجه القومي الذي كانت بريطانيا تحاول نشره في العراق وبقية العالم الاسلامي كبديل للديانة الاسلامية. والحصري نفسه يذكر في كتابه ما قاله له (فارل) مستشار بريطانيا في وزارة المالية ونصه: «اسعوا للعروبة، قوموا بدعاية لها»[٣]

وذكر الحصري ايضا بأن (مس بل) سكرتيرة المندوب السامي البريطاني قد قالت له:

«ان الجرائد ـ التابعة للانكليز ـ اخذت تكتب عنك قبل وصولك الى العراق وانا كل ما كنت اقرأ في الجرائد (ساطع بك، ساطع

---

* نفس المصدر السابق.

٣ـ مذكراتي في العراق/ ١٩٢١ـ١٩٤١ (ساطع الحصري)

بك) كنت اشتاق الى الالتقاء بك»[٤].

وقال الحصري في جانب آخر من كتابه بأنه حذّر الملك فيصلاً ــ اثناء حضورهما معاً لمراسم عزاء بمناسبة ذكرى شهادة الامام الحسين(ع) ــ وانذره من تلك التقاليد..! وهذا يثبت بأن الحصري كان عيناً للملك والانكليز على الشعب وشرطياً مخلصاً للنظام.

وقد عمل الحصري في خدمة الانكليز طوال فترة عهد الملك فيصل الممتدة من (٢٣/آب/١٩٢١ الى ٧/ايلول ١٩٣٣) وعهد الملك غازي الممتد من (٨/ايلول/١٩٣٣ الى ٤/نيسان/١٩٣٩) وسنتين من عهد وصاية الامير عبد الاله.

ورغم عمالة الملك فيصل للانكليز وخيانته للشعب ولفلسطين وعلاقته مع الصهاينة، وعقده لمعاهدات مذلة مع بريطانيا نرى ان ساطعاً الحصري رثاه بعد وفاته اشد الرثاء دلالة على عمق الأسى والحزن على الملك فيصل اذ قال:

«ان اخبار هذا الموت المفاجئ اوجد في النفوس حزناً عميقاً وأسى شديداً، وآثار هذا الحزن والأسى ظهرت الى العيان بكل شدة عندما وصل الجثمان الى بغداد ــ من سويسرا ــ ثم نقل الى الكاظمية حيث ووري في التراب»[٥].

وقال في جانب آخر:

«ان وفاة الملك فيصل كانت خسارة كبيرة للعراق»[٦]

واضاف: «ان الملك فيصلاً استطاع ان يقدم للعراق خدمات جليلة جدا(!) وقطع العراق اشواطاً كبيرة في طريق التقدم والنهوض».

---

٤ ــ مذكراتي في العراق/ ١٩٢١ ــ ١٩٤١ (ساطع الحصري)

٥ ــ نفس المصدر السابق.

٦ ــ نفس المصدر السابق.

هذا في حين كان الملك فيصل من المؤيدين العلنيين لوايزمان والصهيونية!

وحول أثر ساطع الحصري على التربية والتعليم في العراق فان بريطانيا كانت هي التي عينته مستشاراً في وزارة التربية بيده كلمة الحل والفصل، ومن ثم مديراً عاما للتعليم، وعهدت اليه مسألة تقرير المناهج المدرسية... فعمل هو من ناحيته على وضع كتاب تاريخ وفقا لتحليل قومي يرجع الحروب والثورات الى الصراع القومي، و يدعو للوحدة على اساس قومي....

و بذلك لايسعنا الا ان نضع ساطعاً الحصري في صف عازوري واسكندر عمون وطه حسين واحمد خان والملك فيصل ولورنس ومكماهون و غيرهم.

فلسطين ضحية القومية

سنوات طوال مضت على الاستيطان الصهيوني في فلسطين، والاكتساح الاستعماري الغربي والشرقي للمنطقة العربية. و بينما تمضي اسرائيل نحو القوة والمنعة، والتطور التكنولوجي في مختلف المجالات الى جانب التوسع في الارض والمياه، يسلك الحكام العرب كل الدروب المؤدية الى الضعف، والخمول ثم الهلاك .

فمن الذي يريد لقضية فلسطين ان تسير نحو الضمور والزوال؟ ومن المسؤول عن الحالة المزرية التي تعيشها (٢٢) دولة عربية؟ اسئلة عديدة تفرض نفسها على كل قارئ ومفكر، ومتحمس للقضية الفلسطينية، اذ لا يمكن الاقتناع بكل الحجج الواهية التي يطرحها الحكام واذنابهم، خاصة و ان قضية فلسطين الرسمية تمر في عامها السادس والستين من الاحتلال والظلم والتعسف.

وفي ظل الفكر العلماني بقي الحكام ينادون بالقومية والوطنية

فقط. ان القومية ذات الجوهر العلماني هي الاطار المراد من خلالها تحرير فلسطين خلال الفترة الماضية والحالية، والعروبة ذات الجوهر الاسلامي محاصرة بالاعداء في كل مكان. ان اصحاب المبدأ القومي يريدون تحرير فلسطين عبر معاهدة سايكس ــ بيكو، ووعد بلفور، وكامب ديفيد، لذا فانهم يخضعون للغرب طبقا للمعاهدة المذكورة و يعترفون باسرائيل طبقا للوعد المشؤوم و يناضلون من خلال كامب بيغن والسادات.

ان مشروع فهد التآمري الذي جاء بعد نداء الجهاد اللامقدس الذي رفعه هذا الامير، هو صورة من صور الجهاد المستحدث للعلمانية، اذ فيه الاعتراف بالاغتصاب الصهيوني لفلسطين ومهادنة لها رغم افعالها المنكرة والوحشية.

ان الذي يحزننا و يثيرنا هو اشتراك حكومات الاستعمار في المعاهدات التآمرية الراهنة. فبصمات اصابعها بارزة في وثائق بيع فلسطين، المتمثلة في مشروع المملكة المتحدة للملك حسين، ومشروع روجرز، وكامب ديفيد، ومشروع فهد، و بعدما كانت الحكومات تحتج على وعد بلفور، ومؤتمر سان ريمو الموافق له، تحولت هي الى مشرع للمعاهدات والمواثيق المؤيدة والداعمة لاسرائيل.

اما عن جامعة الدول العربية التي انشئت لجمع شتات الاعضاء ومساعدتهم على الاستقلال ومعارضة بؤر التآمر المعادية فقد تحولت هي الاخرى الى دار للخداع، ومؤسسة للتمويه، ومديرية للعمالة وشريط تاريخ مؤتمراتها وقراراتها يبين مدى إسهامها في بيع فلسطين لليهود.

ان افعال الجامعة العربية ــ سيئة الصيت ــ تقع على عاتق الملوك والرؤساء الاعضاء ولا تقع على عاتق الشعوب المسلمة العربية..

فالشعوب لا تشترك في الجامعة، ولا في مؤتمرات القمة ولا في الجلسات الطارئة. وكل ما تفهمه منها هو القرارات الصادرة بعد كل مؤتمر واجتماع.

فالجامعة العربية اذن هي جامعة الحكام، لا جامعة الشعوب، لذا فقراراتها منذ التأسيس وحتى الآن هي نسخة طبق الاصل لآراء واهداف الحاكمين. فبعد قرار التقسيم أصدرت الجامعة العربية قراراً بتجهيز ٣٠٠٠ مقاتل للوقوف ضد التقسيم ولحماية الاراضي الفلسطينية والمسلمين من العصابات الصهيونية التي كانت تسرح وتمرح في طول البلاد وعرضها، ولما كان الاتفاق يقضي بوصول المقاتلين في كانون الثاني عام ١٩٤٨ والفلسطينيون بحاجة ماسة للمساعدة فقد تأخر حكام السعودية ومصر والاردن عن ارسال جنودهم لمدة شهرين رغم قلة حصصهم من العسكر، وفعلة منكرة اخرى فعلها الحكام العرب بعد اجتماع عمان، الذي جرى في نهاية نيسان عام ١٩٤٨، اذ طلب من الحكام تجهيز خمس فرق عسكرية قوامها ٦٠/٠٠٠ مقاتل مجهز عساها تستطيع التغلب على الجيش الصهيوني الذي قوامه ١٠٠/٠٠٠ مقاتل مزود بمختلف الاسلحة اضافة الى العصابات الموزعة في البلاد.

و بعد اخذ ورد طو يلين أرسل الحكام العرب ١٤/٥٠٠ مقاتل اغلبهم يحمل اسلحة قديمة و بلا اوامر!!!

ومثل هذا ايضا ما قاله الشقيري في لقائه مع محمد نجيب وعلى ماهر عام ١٩٥٣ من ان الدول العربية قبل الجامعة العربية كانت تتسابق و تتنافس على العمل من اجل القضايا العربية ــ ذكرنا العبارة السابقة ولكن لا نؤيدها ــ وأما بعد الجامعة فقد وقف التنافس واصبحت الجامعة اداة للتخلص من المسؤوليات الفعلية واصبحنا كلما طالبنا بعمل ما قالت (اي الحكومات العربية): سننظر في الامر في الجامعة حتى اذا اجتمعت تعطل الأمر وتأجل او تهمل حتى ترضى هذه الحكومة وتقنع تلك وهكذا»[٧]

٧ــ اربعون عاما في الحياة العربية والدولية/ احمد الشقيري/ ص ٣٥٢.

و بذا سهل الحكام مؤامرة الاستيطان الصهيوني في فلسطين؛ خاصة و ان معظمهم كان يفكر بعقل الغرب و ينطق بلسان لندن.

لذا فالعالم العربي يعيش حاليا في ظل شريعة الغاب والاستعباد والتسلط اللامشروع.

فالوراثة والدكتاتورية والانقلابات العسكرية هي الطرق المؤدية الى السلطة، والمسالك الشرعية الاسلامية اصبحت في خبر كان، اذ لايوجد رئيس نال منصبه عن طريق علم او تقوى او عدل او انتخاب، والعوائل البدوقراطية مازالت آخذة بخناق المسلمين فآل تكريت في العراق وآل صباح في الكويت وآل خليفة في البحرين وآل سعود في الجزيرة وآل حسين في الأردن. وهكذا تحولت السلطة الى وسيلة للانتقام من الشعب والغدر بالمسلمين والكل ـ صغاراً كانوا او كباراً جهلة او مثقفين ـ يدركون بان حكومات البلدان العربية غير اسلامية وغير محمدية معادية لشعوبها ومناصرة لأسيادها، والكل يفهم ايضا مدى مشاركة هؤلاء في ضياع فلسطين وتشريد الفلسطينيين وتسييس القضية و مصادرتها.

ولا اعتقد ان أطفالنا سوف يشكون يوما في عمالة آل سعود وخيانة صدام، وسادية بيغن، لأنها اصبحت من المسلّمات.

وموقف البغاة والطغاة العرب من الاسلام اصبح واضحاً فآل سعود جلبوا طائرات الأواكس الامريكية لتغطي بيت الله الحرام وقبلة المسلمين، وصدام اعلن الحرب على الحكومة الاسلامية في ايران لكونها نطقت وعملت بالقرآن، ومبارك اعلنها للملأ معاهداً للصهاينة، و بورقيبة اعلن الحاده مفتخراً. لذا فان ما تدّعيه بعض العوائل الحاكمة من اسلامٍ لا يعدو ما سماه المفكر الشهيد حسن البنا بالاسلام الامريكي.

ولما كانت قضية الحكام الأولى هي معاداة الاسلام والتبعية للغرب، لذا فقد شاركت اغلب تلك الحكومات في مناصرة العراق في

غزوه للأراضي الاسلامية الايرانية، بغية التمكن من اسقاط نظامها الاسلامي. فلم يتفق الحكام العرب، ولم يبذلوا مالا، ولم يتعاونوا عسكريا ولا اقتصاديا ولا سياسيا مثلما فعلوا في حربهم ضد ايران اذ وقف الكفر كله ضد الاسلام كله.

فحربهم ضد ايران كشفت زيفهم امام شعوبهم، إذ أداروا ظهورهم لقضية فلسطين التي كانوا يعتبرونها قضيتهم المركزية، واعتبروا قضيتهم المركزية ما اسموه بالخطر الايراني في المنطقة!!

و بسبب موقفهم الاخير فقد امتلأت سجون البلدان العربية بالمؤمنين والمجاهدين من المسلمين العزب، وعدد الشهداء منهم بلغ عشرات الآلاف.

ولما كانت الحكومات العربية معظمها قومية علمانية ومعادية للدين، لذا اتجهت لمحاصرة الثورة الفلسطينية وابتياعها وهكذا شكلت كل دولة عربية منظمة فلسطينية تابعة لها في سياستها، وادارتها، وقراراتها، وايديولوجيتها، والهدف ابعادها عن قضيتها الاصلية فلسطين وعن دينها الاسلامي.

وهكذا سارت القضية الفلسطينية في متاهات الحكام طول الفترة الماضية، واستطاعت الرجعية العربية بأموالها الطائلة وبمؤامراتها المستمرة محاصرة الثورة الفلسطينية في اكثر من مكان وزمان وتوجيه ضربات غادرة اليها.

ولما كان الجهاز السلطوي في العالم العربي بعيدا عن الاسلام، والحركات الفلسطينية كذلك، فقد فقدوا اسباب الانتصار بعدما ابتعدوا عن الله، وساروا في درب المعاهدات ، والمباحثات، والمؤتمرات بدلا من درب الجهاد الخالص لله.

ولما كان المسلمون الاوائل يضعون ثقتهم كلها في الله قاصم الجبارين؛ نجد القوميين العلمانيين يضعون ثقتهم كلها في امريكا،

ووصل الحد بهم الى الاعلان عن كفرهم علنا، ومحالفة امريكا جهراً!!!

ان القضية الفلسطينية و بعد المؤتمرات العديدة اريد لها ان تكون حكومية، اذ وجهت الانظار كلها نحو زيارة السادات وجولات حسين وقادسية صدام، ومشروع فهد وكامب ديفيد ومشروع ريغان وهكذا حلقات تآمرية عدوانية معادية لفلسطين وللشعوب المسلمة والعربية.

وكان مخططاً للقضية ان تسير كذلك لولا اكرام الله بنصره للثورة الاسلامية في ايران، التي كتب لها سبحانه تغيير معادلات المنطقة لصالح الاسلام ولخير المسلمين.

و بعد ما مرَّ أدعياء الالحاد على قضية فلسطين دون اثر يذكر استطاع المسلمون ترك بصماتهم واضحة على خارطة المنطقة ومستقبلها، اذ قبرت الثورة الاسلامية السادات بعد تاريخ من الخيانة والمساومة وافشلت مشروع فهد المشبوه، الذي قال عنه الامام الخميني «كل من لايعادي مشروع فهد فهو كافر» وأدت الى بزوغ نجم الاسلام في الأراضي الفلسطينية المحتلة فلأول مرة منذ سنوات طويلة ارتفعت نداءات (الله اكبر) وشعارات الثورة الاسلامية في فلسطين و بقية البلدان فهزت نظام صدام وارعبت حكومتي الشاه حسن والشاه حسين، وفجرت الطاقات الاسلامية في البلدان العربية واقلقت اسرائيل.

ولما كان واجب الثورة هو التغيير والوصول بالوطن، الى الاستقلال و بالشعب الى الحرية، لذا نلاحظ نجاح الثورة الاسلامية في هزّ عروش عديدة فشلت الحركات الأخرى في انهائها وازالتها رغم طول المدة الماضية وتوفر الجو الملائم للقوى الثورية والوطنية.

ان الذي كان ينقص القوى غير الاسلامية هو الاسلام، و بدونه يكمن سر عجزها عن مواجهة اسرائيل والانتصار عليها والا ما سر عجز ٢٢ حكومة و ٢٢ جيشاً، و ٢٢ ميزانية مالية، و٢٢ دولة قوية و ١٥٠ مليون

مواطن و... عن مواجهة حكومة واحدة، وجيش واحد، وميزانية واحدة، ودولة واحدة، و٣ ملايين من الالتقاطيين؟ و اذا كان بامكان عروبة بلا اسلام مواجهة اسرائيل... فلماذا انهزمت في الست والستين سنة الماضية؟!

ولماذا لم توصلنا العلمانية الى شاطئ الامان بعد طول العناء والسفر؟!

«والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون» (الأعراف: ١٩٧)

متى تحرر العلمانية والقومية فلسطين؟

ان اخطاء القوميين والعلمانيين والانتهازيين تجاه فلسطين وشعب فلسطين لايمكن حصرها ولا عدّها في بيان، فإليهم ترجع اسباب النكبة وعلى عاتقهم تقع علل الانكسار، وعلى مسؤوليتهم تقع مجموعة الهزائم والمساومات.

فالقوميون ارادوا تحرير فلسطين دون الاعتماد على الاسلام، والعلمانيون ارادوا تحريرها بتوسيط الغرب المسبب للنكبة(!)

اما الانتهازيون فقد ادّعوا النضال ليأكلوا به خبزاً وليشبعوا شهواتهم(!) ومثلهم الحكام الذين تشدقوا بالتصدي للقضية لاغفال شعوبهم!!!! وبهذه المساومات غير المعلنة استمر اغتصاب فلسطين وبهذا المكر والاحتيال بقي القوميون والعلمانيون يتحكمون برقاب العرب المسلمين(!).

في بداية الفتح الاسلامي والدعوة المحمدية اعتمد العرب على الايمان واستندوا على القرآن ففتح الله على ايديهم فلسطين وتحررت من اقوى امبراطورية في ذلك الزمان بأسلحة بسيطة و اعداد قليلة. فالجبار قال

في كتابه الكريم:

«وكان حقا علينا نصر المؤمنين»

فالذي يريد النصر على قوة اكبر منه واعداء شرسين ما عليه سوى الاعتماد على الذي لاجبار سواه، ولا عظيم غيره، لا ان يستند على الافكار الهزيلة، والقيم الفاسدة، وعناية الطغاة وشفقتهم.

الم يخبرنا التاريخ، بأن المسلمين و بقوة الاسلام هزموا الامبراطوريتين الفارسية والبيزنطية، وفتحوا عاصمتيهما المدائن والقسطنطينية، ولا حقوا الاكاسرة الى عقر دارهم، وطاردوا القياصرة الى قلب قارتهم، ولم يكتفوا بهذا، بل غزوا اوربا من جنوبها وغربها، فحرروا بلاد البلقان وجزر قبرص و كريت وصقلية وشبه جزيرة الاندلس، وحاصروا فينا وفي الشرق حرروا شبه القارة الهندية وافغانستان و وصلوا الى الفلبين... فكانت الشمس تشرق على المسلمين في (جاكارتا) وتغرب عليهم في طنجة.

ولما كان الاسلام نظرية متكاملة للكون، ومنهجا شاملا للحياة، واحكاما صالحة للمجتمع ونظاما رائعا للعبادة، وعقيدة صلدة للقلوب، وقوانين عادلة في القضاء وتحليلا سماو يا للتاريخ، ودعوة للوحدة والالفة والتعاون، لذا استمر نهاره قائما وحضارته مشرقة، الى ان رقد الساهرون، ونام العاملون، وأهملت العقيدة، فكثر الجهل، وزاد الباطل، وتفشى الحرام، واختفى الحلال، وهنا بالذات اصبح العالم الاسلامي شعوبا مدحورة و بلدانا مقهورة، وخيرات منهوبة.

اذن فعملية اغتصاب فلسطين، جاءت بعد سلسلة طو يلة من الدسائس والمؤمرات لشرق العالم الاسلامي ومغربه فلا يمكن حل القضية بصورة منفردة بمعزل عن باقى الدول والامصار، ذلك ان اغلب اراضي البلدان الاسلامية حاليا تعيش تحت الاحتلال بدءاً بأفغانستان ومرورا ببخارى وسمرقند، واذربيجان، وانتهاءً بالجزيرة العربية والعراق

ومصر واليمن والمغرب... واذا اردنا تحريرها فعلينا اعادة ما بدأه المسلمون في فجر الدعوة.

في التحرير الاول للقدس وفلسطين تحرك كل العرب المسلمين نحو ارض المعركة بقلوب مفعمة بالايمان وتضحيات سخية في المال والدماء فكان الانتصار والفتح.

ففي عام ١٠٩٩م يوم تعاونت كل اطراف الباطل من ملوك واباطرة وقياصرة لاحتلال فلسطين كان المسلمون مازالوا يتمسكون بالاسلام و يتوسلون بالجبار، الامر الذي نجم عنه تعاون المسلمين على اختلاف قومياتهم و بلدانهم في معركة القدس الثانية... و بعد معارك طاحنة وسنوات من الجهاد والصبر والفداء والدعاء بطلب النصر والظفر على المشركين انزل الله سبحانه وتعالى عنايته ثانية على المسلمين متماً لهم التحرير والفتح الثاني عام ١١٨٧ اي بعد مرور ٨٨ عاما على الاحتلال.

وفي عام ١٩٤٩ بدأ الاحتلال الرسمي والفعلي الثالث للقدس، ولكن صاحبه هذه المرة حصار للفكر، ومسخ للعقيدة، ومطاردة للشريعة.

و بعد تحول اغلب المسلمين نحو الفكر الغربي تجرَّد المسلمون عن سلاحهم المعنوي والروحي الذي كانوا يقاتلون به وهنا اصبح النصر الاوربي طبيعياً وحتمياً... واستمرت هزائم المسلمين دون انقطاع.

ان الخطر الرئيس الذي يهدد المسلمين اليوم يتمثل في عدم سيرهم على خُطى اسلافهم المؤمنين، وعدم استفادتهم من التاريخ الاسلامي، وابتعادهم عن الدين والاتجاه صوب الافكار والعقائد البالية والعقيمة كالقومية والعلمانية.

اما فيما يخص الحركة الثورية الفلسطينية فهي الاخرى اصابتها الامراض والاوبئة التي اصابت الانظمة العربية، فالثورة الفلسطينية لو كان سيرها سليما بعيدا عن دنس الدخلاء وقوى الشرق والغرب، واسلاميا صادقا، معارضا للانظمة الفاسدة لأمكنها تغيير خارطة العالم

الاسلامي وازالة الطغاة وتحرير فلسطين، وقبر كل الرؤى والافكار القادمة من وراء الحدود...

ولكن حركة التحرير الفلسطينية جزء من القافلة العربية التي تؤمن بفكر الاستعمار وتعتقد بعقائد الغرب، وتدين بقيم الاستكبار، الأمر الذي حال دون ترابطها مع المسلمين وعدم دخولها في سويداء قلوبهم... وهنا اتجهت هذه الحركة نحو الانظمة التي سلّطها الاستعمار على رقاب المسلمين فاصبحت في صف الانظمة والحكومات بعيدة عن صف الشعب والجماهير، وهنا الطامة الكبرى التي ارادها الاستعمار لتلك الحركة الفلسطينية.

وبفعل ذلك فقدت الحركة الفلسطينية المذكورة سحرها على الشعوب المسلمة وأهملتها الجماهير.

وبسبب التنافر بينها وبين الشعوب اتجهت وانزلقت اكثر نحو الانظمة بحيث اخذت تحالف عملاء واذناب امريكا وحلفاء اسرائيل ليس في سبيل تحرير فلسطين، لان هذا الهدف الاستراتيجي قد تخلت عنه تلك المنظمة بل في سبيل مساومة واشنطن وتل ابيب على بعض التراب الفلسطيني كي تؤسس تلك الحركة دولة صغيرة فوق ذلك التراب فتنحدر قضية فلسطين في مزالق اخرى، وتكون النتيجة ان يضاف صفر الى مجموعة الاصفار الواقعة على اليسار والممثلة في الأنظمة العربية.

فهؤلاء يسيرون على الطريق الذي يعبده لهم الاستكبار وليس على ما يطلبه الاسلام والمسلمون..، وطبيعي لهؤلاء ان يجلسوا في صف الانتظار عسى ان تعطف عليهم القوى الكبرى(!) اذ قال «عرفات» اخيرا: بأنه يعتمد على فرنسا ومصر في سبيل نصرة القضية الفلسطينية..! رغم ان قرارات منظمة التحرير السابقة قد نصت على ان فرنسا ومصر كامب ديفد من الد اعداء الشعب الفلسطيني ومن حلفاء الصهاينة...!

والملاحظ ان اغلب الحركات التي تدعي تحرير فلسطين،

ربطت بين تحرير فلسطين و بين الوحدة العربية... و بين الوحدة العربية والعقيدة القومية.. وبذا تخلت عن عقيدة الاسلام، وعن نصرالله، وزاغت ببصرها نحو اوربا والاستكبار.

ان الذي يتوجب على المسلمين عمله هو دراسة الاحداث، وتقصي الحقائق، والاعتماد على الاسلام، دون سواه، ونفض الايدي من الطغاة الكبار والصغار، فالذي يعيد فلسطين هو الجهاد وليس بريطانيا صاحبة «وعد بلفور» ولا السادات المقبور ذليل كامب ديفد ــ ولا النميري عميل واشنطن، والذي يحرر فلسطين هو الدم وليست امريكا حامية الصهاينة.

والذي يحرر فلسطين هو الفقيه العالم العادل وليس صاحب مشروع فاس الخياني، ومخلب القادسية المشبوهة، ومجرم ايلول الاسود.. فعلى المسلمين ان يفهموا الاسلام و يعرفوا الحق حتى يعرفوا اهله ورجاله.

ذكران صلاح الدين الايوبي مدح احد جنوده الذي تمكن من اغراق سبعة زوارق صليبية، فجاءه رد الجندي:

«اني لم افعل هذا من اجلك بل عملته من اجل الاسلام..».

فالمسلمون يبذلون دماءهم في سبيل الله والقرآن ولا يهبونها في سبيل القومية والاشتراكية.

والمسلمون يضحون بارواحهم أملاً في الجنة ولا يزهقونها ارضاء للقومية والعلمانية... والأهم من هذا ان المسلمين لا يحركهم ولا يدفعهم للجهاد عفلق ولا فهد ولا اي عميل آخر بل تحركهم فتوى الفقيه العالم بالدين، العادل، المدير، المدبر، الشجاع، لتكون نهضة اسلامية جهادية لا تحرر فلسطين فقط بل تحرر العالم كله.

ان الجهاد والشهادة في سبيل الله هما اللذان يملكان حلول لمسألة الفلسطينية وكل التفاف او مناورة أو مساومة او بكاء على اقدام الطغاة لاتجدي نفعا، اذ انها تلبس اصحابها اردية الذل وثياب المهانة،

ولا تحرر فلسطين...

والمسلمون حاليا لا يعوزهم الرجال والسلاح والعتاد والمال بل يعوزهم الايمان وتعوزهم العقيدة فهذه تجربة (قادسية صدام) قريبة للمسلمين وشبيهة بتجربة اسرائيل فالصهاينة والبعث العراقي استندوا على السلاح، وتحركوا بأمر الكبار لقتل المسلمين، فماذا كانت نتيجة القادسية المشبوهة وقائدها.

ان القيادة الاسلامية في ايران لم تذهب الى واشنطن ولا الى موسكو لاقناع صدام بالانسحاب ـــوهو عميلهمـــ ولم تساوم صداماً لترضى بجزء من شروطه، بل اعلنت الجهاد في سبيل طرد الغزاة واستندت على الله والشعب المسلم في انجاز تلك المهمة، فجاء النصر لاسلامية القيادة وسلامة نظرتها وثقة الجماهير بنفسها.

فالشعب المسلم الايراني لما وجد استقلال القيادة واخلاصها وصدقها وايمانها التصق بها ووهبها الغالي والرخيص.. واستمع الى اوامرها وشارك في مشاكلها وشدائدها فتطوع مئات الآلاف منهم للحرب وتبرعت الملايين من الجماهير بالمال واللباس والغذاء ووضعت منازلها في خدمة مهجري الحرب... وما ان لاحظ العلي القدير (جلّ وعلا) اسلام القيادة والشعب واخلاصهم وتضرعهم بين يديه و بذلهم الدماء والمال في خدمة الاسلام حينها انزل عليهم بركاته بالنصر المؤزر بالقائه الرعب في قلوب الغزاة.

«سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما اشركوا بالله»
(آل عمران: ١٥١)

وهكذا تمكن المسلمون بعقيدتهم من دحر قادسية صدام العار في سنوات قليلة بينما فشل العلمانيون والمستغنون عن الله (والعياذ بالله منهم) في دحر الغزاة الصهاينة في فلسطين وغيرها... بل مكنوهم من ضم الضفة الغربية والجولان وغزو لبنان...

ورغم هذا كله استمر العلمانيون يطرقون ابواب الشيطان بدل ابواب الرحمن و يتهالكون على المساومة والرضوخ بدل الصبر والجهاد.

«قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم و بئس المهاد»(آل عمران: ١٢).

(الفصل الخامس)

القوميتان
الفارسية والكردية

- الفرس والقومية.
- رضا بهلوي.
- محمد رضا بهلوي.
- الاكراد والقومية.

الفرس والقومية

كانت ايران قبل الاسلام دولة مجوسية تتصارع مع الامبراطورية البيزنطية في السيطرة على العالم.. وكانت الحروب بين الدولتين مستمرة والخسائر فادحة، سبب اغلبها التنافس الاستعماري بين الدولتين حول السيطرة على البلدان الاخرى.

و بعد نزول الوحي على رسول الانسانية محمد(ص)، كانت اليمن تتبع الامبراطورية الفارسية، وعلى رأسها والٍ يمثل الامبراطور اسمه (بادام).. ولما بعث الرسول(ص) برسالة الى الامبراطور الفارسي (خسرو برو يز بن هرمز) مثلما بعث الى بقية الملوك والحكام يدعوه للاسلام مزق ذلك الامبراطور رسالة الرسول (ص) ــعلى عكس ما فعله بقية الملوك ــ و يقال ان ذلك الامبراطور الفارسي استشاط غضبا عند تسلّمه للرسالة وقال: «يكتب الي هذا وهو عبدي»[1] فبعث برسالة الى واليه على اليمن

١ــ اليعقوبي/ ج ٢/ ص ٦٥٥.

(بادام) جاء فيها: «ابعث الى هذا الرجل الذي بالحجاز رجلين من عندك جلدين فليأتياني به....»[٢].

بعد تلك الحادثة انزل الرحمن عقابه بذلك المستبد على يد ولده الذي حل محله في ملك البلاد... واستمرت الانكسارات تلاحق جيوش تلك العائلة المجوسية، اذ اندحرت في معركة (القادسية)، وفي معركة (نهاوند) فدخل الفرس في الاسلام، وشاركوا في فتوحاته التي اتجهت صوب الهند والصين و بخارى.. يقول المستشرق (ادوارد براون): «ومن المسلم به ان اكثر الذين غيروا عقيدتهم من المجوسية الى الاسلام كانوا بارادتهم واختيارهم وعن طيب نفس. وعلى سبيل المثال نرى ان اربعة آلآف من الجنود الديالمة قد اسلموا بعد حرب القادسية والتحقوا بالمسلمين وساعدوهم في فتح جلولاء ثم سكنوا في الكوفة. وهناك الكثير ممن قد اسلموا برغبتهم ورضاهم افواجا افواجا[٣] وكان على رأس هؤلاء الفرس الذين اسلموا (سلمان الفارسي) الذي ارشد المسلمين لحفر الخندق اثناء هجوم قريش على المدينة المنورة، اذ كان من الصحابة الأجلاء. قال عنه الرسول(ص): «سلمان منّا اهل البيت».. وانضم كثير من الفرس الى الديانة الجديدة وأخذوا يدافعون عنها. وقد حاول النبي(ص) صهر كل القوميات الاسلامية في بودقة الاسلام فلم يكن يرضى باثارة العواطف والنعرات القومية خوفا من اثرها على الاسلام فقد روى «ابوداود» في سننه عن «ابي عقبة» قال: «كان مولى من اهل فارس قال: «شهدت مع رسول الله(ص) «احدا» فضربت رجلا من المشركين فقلت: «خذها مني وانا الغلام الفارسي» فالتفت اليّ

٢ـ الطبري / ج ٢/ ص ٦٥٤ـ٦٥٥.

٣ـ تاريخ ادبيات ايران / ج ١/ ص ٢٩٩.

رسول الله(ص) فقال: «فهلا قلت: خذها مني وأنا الغلام الانصاري»[٤].

وحول الصحابي الجليل سلمان الفارسي روى الشيخ الكليني في (روضة الكافي) عن ابي جعفر عليه السلام انه قال: «كان سلمان جالسا مع نفر من قريش في المسجد فاقبلوا ينسبون و يرفعون في انسابهم حتى بلغوا سلمان فقال له ـ احدهم ـ: أخبرني من انت و من ابوك وما أصلك؟ فقال: انا سلمان بن عبدالله كنت ضالا فهداني الله عزوجل بمحمد صلى الله عليه و آله، و كنت عائلا فاغناني الله بمحمد صلى الله عليه وآله. وكنت مملوكا فاعتقني الله بمحمد صلى الله عليه وآله. هذا نسبي وهذا حسبي. قال: «فخرج رسول الله صلى الله عليه و آله وسلمان يكلمهم، فقال له سلمان: يارسول الله ما لقيت من هؤلاء جلست معهم فأخذوا ينسبون و يرفعون في انسابهم حتى اذا بلغوا الي قال (احد المسلمين): من انت و ما اصلك وما حسبك؟ فقال النبي(ص): «فما قلت له يا سلمان»؟ قال: قلت له: انا سلمان بن عبدالله كنت ضالا فهداني الله (عز ذكره) بمحمد صلى الله عليه وآله، وكنت عائلا فاغناني الله (عز ذكره) بمحمد صلى الله عليه و آله، وكنت مملوكا فاعتنقني الله (عز ذكره) بمحمد صلى الله عليه واله، هذا نسبي وهذا حسبي. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا معشر قريش ان حسب الرجل دينه، ومروءته خلقه، وأصله عقله، وقال الله عزوجل، «انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عندالله اتقاكم» ثم قال النبي(ص) لسلمان: «ليس لأحد من هؤلاء عليك فضل الا بتقوى الله عزوجل، وان كانت التقوى لك عليهم فأنت افضل».... كان ذلك في عهد الرسول(ص).

اما في عهد الاستعمار الحديث يوم شرعت القوى بمحاربة

٤ـ سنن ابي داود / ج٢ / ص ٢٣٢.

الاسلام فقد استندت بريطانيا ومن ورائها الدول الغربية في مد سيطرتها على البلدان الاسلامية على بعض رجال الجيش ممن تتجسد فيهم القومية والدكتاتورية و بغض الدين والاستعداد للتعاون مع الغرب وعلى رأس هؤلاء كان اتاتورك في تركيا وبهلوي في ايران.

فالمعروف عن اتاتورك عداؤه للاسلام وشغفه بالفساد واللهو واخلاصه للغربيين..... وبهلوي كان شبيها بأتاتورك في تصرفاته واعتقاداته واهدافه...

فالاثنان كانا يحلمان بدولة علمانية قومية بعيدة عن الاسلام وقريبة من اوربا.

رضا بهلوي

الملاحظ ان بهلوي واتاتورك وفيصلاً قد وصلوا الى حكم ايران وتركيا والعراق في وقت واحد، وبمساعدة نفس الجهة (بريطانيا).. ففي عام ١٩٢١ قام بهلوي ـ بأمر من بريطانيا ـ بانقلاب عسكري تمكن عن طريقه من الوصول الى الحكم في ايران ومن ثم اطاح بالعائلة القاجارية عن العرش، وفي نفس الوقت نُصِّبَ الامير فيصل ـ عميل الانكليز ـ ملكا على العراق في عام ١٩٢٠، ووصل اتاتورك الى السلطة في تركيا عام ١٩٢٢ بمساعدة الحلفاء وعلى رأسهم بريطانيا.. وكان الثلاثة يسيرون بدولهم وفق النهج القومي، الذي يهدف لابعاد القوميات الاسلامية الثلاث عن بعضها وعن الاسلام.. فقد شرع رضا بهلوي، منذ وصوله الى السلطة، في مأموريته الهادفة الى ربط بلاده بعجلة الغرب فأصبحت ايران في زمنه سوقا كبيرا للبضائع الاوربية، واستخرجت المواد الاولية لخدمة الاقتصاد الاستعماري.

وخوفا من نهوض الاسلام و يقظة المسلمين اخذ بهلوي على عاتقه مسؤولية مسخ المسلمين وابعاد الاسلام عن الساحة وكانت القومية

والعلمانية هما البديل الجاهز للحلول محل الاسلام. لهذا اخذ (رضا بهلوي) بمساعدة من بريطانيا ينفخ في الروح القومية والعنصرية لإحياء القومية الفارسية السابقة للاسلام، ففعل كل ما يخالف الاسلام وتعارضه الشريعة:

* أحيا العادات والتقاليد المجوسية، التي كان عليها الفرس قبل الاسلام.
* قطع رضا بهلوي علاقة بلاده بالبلدان الاسلامية، خاصة العربية، ووثق صلات بلاده بالقوى الاستعمارية الغربية.
* حارب فكر الوحدة الاسلامية، ودعا للوحدة القومية الفارسية.
* ناهض احكام الشريعة الاسلامية، بتطبيقه للقوانين الغربية المستوردة.
* منع الحجاب الاسلامي في المدارس والدوائر الحكومية، وفي الشوارع العامة.
* منع المساجد من اداء دورها، وافتعل مذبحة مسجد (كوهرشاه) في مدينة مشهد مما تسبب في مقتل الآلاف من الابرياء.
* لاحق رجال الدين، وقتل بعضا منهم، وعلى رأس هؤلاء (آية الله مدرس).
* حارب الحوزات (الجامعات) الدينية.
* عمل على نشر دور البغاء والفساد وحانات الخمر ومحلات العبث واللهو، باسم التطور، ومحاكاة الغرب وتقليده.
* ابتكر لنفسه لقب (بهلوي)، احياءً للسلالة الفارسية، التي كانت حاكمة في ايران قبل الاسلام.

وقد قال الامام الخميني ـــ قبل انتصار الثورة الاسلامية ـــ عن الشاه رضا بهلوي: «ان ذلك الرجل (رضاخان) رجل فاسد حاول ان يقلد «اتاتورك» في جرائمه، ففرض على الفلاحين لبس القبعات، بحجة

انها تقي وجوههم من وهج الشمس، وبحجة توحيد الزي، القى بالعلماء وسائر الفئات، بشتى الوان الاذى والنفي، وفي بعض الاحيان القتل ايضا.. وفرض السفور على النساء، والزم الرجال حضور الحفلات الماجنة بصحبة نسائهم! اجل هكذا كانت حرية المرأة عنده. ومنع اقامة المآتم في عاشوراء، ولم يبق في طهران سوى مأتم واحد، يقام في منتصف الليل سراً، و ينتهي عند الفجر!!!»

محمدرضا بهلوي

بعد انتهاء دور رضا بهلوي في ايران عملت الدوائر الغربية على عزله عن الحكم، ونفيه الى جنوب افريقيا وتنصيب ابنه محمدرضا مكانه، وواصل الابن سيرة ابيه السيئة فقتل ونفى وسجن خيرة ابناء الشعب، وسلب حرياتهم وكرامتهم وحقوقهم، واعطى الامريكان ما لا يملكون، ووهبهم ما لا يستحقون، فقد كانت الملايين من براميل النفط تباع للغرب بأسعار بخسة، وملايين الامتار المكعَّبة من الغاز تعطى لروسيا بأسعار زهيدة، واصبحت البلاد قاعدة كبيرة للامبريالية، وسار الابن ايضا على خطى ابيه في العلمانية والقومية ولكن اجراءاته تلك كانت تعارض بشدة من قبل رجال الدين والحوزة العلمية، وعليه اضطر النظام لايصال الطوائف غير الاسلامية الى الوظائف والمراكز الحساسة، وعلى رأس تلك الطوائف كانت (الطائفة البهائية) التي كان رئيس الوزراء المقبور أميرعباس هو يدا من اعضائها.

ولتلك الطائفة علاقات وثيقة بالغرب وخصوصا امريكا والصهيونية مما ادى الى تحولها الى طابور خامس للامبريالية في ايران.

وكان الشاه الابن مصمماً على نهج الممارسات القومية التي كان يسير عليها ابوه والتي قال عنها: «ان نظامنا يناسب العقلية الفارسية تماما». وطيلة

حكمه عمل محمد رضا بهلوي كل ما من شأنه ارضاء المستعمرين واسياده الاخرين، اذ:

* أقام احتفالات كبيرة في عام ١٩٧١ بمناسبة مرور ٢٥٠٠ سنة على تاريخ الامبراطورية في ايران، في محاولة لطمس معالم ١٤٠٠ سنة من معايشة ايران للاسلام.
* ألغى التاريخ الهجري ووضع محله التاريخ الشاهنشاهي.
* حارب علماء الدين وقتل العديد منهم مثل الثائر حجة الاسلام (نواب صفوي)، و آية الله غفاري، و آية الله سعيدي، وابعد الامام الخميني في عام ١٩٦٣، الى تركيا ومن ثم الى العراق.
* استورد العقائد والقيم والعادات الغربية.
* استورد القوانين القضائية الغربية.
* اعترف باسرائيل، وحالف الصهاينة.
* جعل البلاد كلها قاعدة عسكرية لامريكا.
* حارب الصناعة والزراعة الوطنية وشجع الواردات الغربية.
* اسس جهاز السافاك (الامن) الذي اقترف ابشع الجرائم في البلاد.
* إتخذ لنفسه لقب (آريامهر) اي نور العنصر الآري في سبيل احياء النعرات القومية ضد الاجناس الاسلامية الاخرى.

ماذا بعد هزيمة الشاهنشاهية؟

بعد انتصار الثورة الاسلامية في ايران، شرعت الدولة بمحاربة القيم والافكار الغربية ومنها القومية، واعلنت العداء العلني لها في محاولة لاجتثاث جذورها من المجتمع، ... وفعلا فقد تولى الفقيه المسلم الامام الخميني أعلى منصب في الدولة الاسلامية (الجمهورية الاسلامية في ايران) السيد العربي الذي يرجع نسبه لآل بيت رسول الله(ص)، ولم يقتصر الأمر على الامام الخميني بل تولى السادة الشهيد بهشتي والسيد

خامنئي والسيد حسين الموسوي المناصب الرفيعة في الحكومة وجميعهم من السادة العلويين المنتمين لآل البيت(ع).... وهكذا ذابت الفقاعة القومية الفارسية في محيط الأممية الاسلامية التي تثمن الانسان وفق تقواه وعمله... وعاد الاستخدام الواسع للّغة العربية ــ لغة القرآن المجيد ــ التي حاربها الشاه وقد قال الشهيد مطهري في هذا المجال: «ارجو من المحبين والاصدقاء، أن يسعوا بالدرجة الأولى كفريضة دينية، و بالدرجة الثانية كواجب وطني، للحفاظ على الحضارة الاسلامية الفارسية الى تعلم اللغة العربية تعلما متقنا لكي يستطيعوا الاستفادة من النصوص العربية ولقراءة القرآن و نهج البلاغة ولاقامة الصلاة»

واعلنت الثورة بأن القومية فكرة اجنبية عن البلاد ويجب انهاؤها، اذ قال الشهيد (مطهري): (القومية والعنصرية فكرة تجعل الامم وجها لوجه، وهي فكرة من افكار اوربا في القرون الاخيرة، ولعلها كانت فكرة طبيعية هناك لعدم وجود مدرسة فكرية تستطيع ان تجمع الامم الاوربية في وحدة انسانية متسامية».[٥]

الاكراد والقومية

لم تكن القومية التركية والقومية العربية الهدف الوحيد للاستعمار، بل ان القومية الكردية كانت ايضا هدفا لفكرة القومية القادمة من اوربا.. لكونها قومية اسلامية تابعة للدولة العثمانية، وبالتالي يجب فصلها عن تلك الامبراطورية الموحدة للمسلمين... فالاستعمار استهدف في هجومه كل القوميات الاسلامية في سبيل فصلها عن الاسلام والدولة العثمانية، كي يحقق اغراضه في استعمار تلك القوميات واستغلالها. و بفعل الافكار القومية والعلمانية المعادية للاسلام التي

٥ــ الاسلام وايران / ج ١/ مرتضى المطهري.

اجتاحت العالم الاسلامي في بداية هذا القرن تأثرت القومية الكردية بهذه الافكار شأنها شأن القوميات التركية والعربية والفارسية فركبت قيادتها الموجة منتمية الى رعيل القومية الذي تحركه اوربا. والملاحظ ان الاستعمار اعطى للقوميات العربية والفارسية والتركية دولاً خاصة بها اما الاكراد فلم يمنحهم دولة خاصة بهم ولو صغيرة بقدر مساحة البحرين او الكويت مثلا... لماذا؟

المعروف أن المواد: الستين، والثانية والستين، والثالثة والستين من معاهدة سيفر عام ١٩٢٠ اعترفت بحقوق الاكراد والارمن، اما معاهدة لوزان التي عقدت عام ١٩٢٣ فقد قضت على احلام الاكراد في دولة خاصة بهم.

ذلك ان المؤامرات الانكليزية والفرنسية لم تقف عند هذا الحد، بل وضعت في حدود كل دولة اسلامية ما بعد التقسيم بذور الفرقة والعداء والتخلف.

فالغربيون يعادون جميع المسلمين سواء كانوا اكرادا او عربا او فرساً... وترتاح سرائرهم، وتثلج صدورهم عندما يتصارع المسلمون مع بعضهم وتزداد خلافاتهم و يعمق تخلفهم.

ومن هذا المنظار إمتنع الغرب عن اعطاء دولة قومية للاكراد.. اي انهم ارادوا تهيئة الاجواء لصراع قومي بين الاكراد المتطلعين نحو وطن قومي و بين العرب والفرس والأتراك من جهة اخرى (!) على أمل اثارة العصبيات وتوسيع شقة الخلاف واضعاف القوميات المتحاربة.

في زمن القوميين الطورانيين ظُلم الاكراد وازداد طغيان الحكومة عليهم وظهرت في دوائر الدولة مسألة التفرقة على اساس العنصر، وأخذ الاضطهاد للاكراد يتسع مداه ويتعمق في فكر النظام..

وبسبب فسخ رجال الدولة العثمانية للرابطة الاسلامية مع الاكراد مثلما فعلوا مع العرب وإحيائهم للنعرات القومية وتعاملهم معهم على

اساس الاحتلال والاستعباد حينها وجد الاكراد ان كل خيوط الا تصال مع السلطة قد انقطعت والواجب يحتم عليهم السعي نحو دولة مستقلة.. ولما كانت استبدادية اتاتورك تقف امام طموحات هؤلاء في الاستقلال لذا نشبت بين الطرفين معارك ضارية وواسعة اودت بحياة مئات الآلاف من المدنيين الاكراد ذهبوا ضحية لعنصرية وقومية اتاتورك ...

وكان الشيخ (سعيد البيراني) هو الذي يقود الثوار الاكراد في معاركهم ضد عساكر اتاتورك التي اخذت تعيث في مدنهم فساداً واجراماً ارضاءً للنعرات القومية.

فالسلطة التركية الباغية رغم فسخها لرابطة الوحدة الاسلامية التي تربطها بالاكراد والعرب وتوجهها نحو اتراك روسيا والصين استمرت تصر على ابقاء الاكراد ضمن حدود الدولة...

فالقوميون الاتراك بعد تركهم للاسلام اخذوا كل شيء عن الغرب حتى اسلوب السيطرة الاستعمارية محاولين تقليده في كل خطواته.

ولما ازداد طغيان اتاتورك ضد الاكراد، وازداد عداوه ضد الاسلام، اندفع بعض الاكراد لزيادة التمسك بقوميتهم، وعملوا على احياء النعرات القومية، وأخذوا بالمطالبة بدولة قومية كردية في مواجهة الدولة القومية التركية... ولكون الاكراد موزعين على دول تركيا وايران والعراق، وتوجه حكام الدول الثلاث اتاتورك ، بهلوي، فيصل نحو القومية فقد ثار اكراد هذه الدول الثلاث ضد الاتجاه القومي التركي والفارسي والعربي... واشتد الصراع بين هذه القوميات من جهة والقومية الكردية من جهة اخرى.

ففي ايران ثار الاكراد ضد التسلط القومي الفارسي الذي نادى به (بهلوي) واتسع نشاطهم بحدّة مطالبين بالانفصال عن ايران.. وبعد انسحاب الروس من ايران، تمكنوا من تأسيس (جمهورية مهاباد) في كردستان ايران في عام ١٩٤٦، اما في العراق فقد عارض اكرادها الحكم

القومي، ورفعوا السلاح بوجه الحكومة، واستمرت تلك الحرب الى ايامنا هذه بقيادة الملامصطفى البرزاني وابنائه... ولما كانت السلطة القومية تعارض اعطاء الحقوق القومية للاكراد، وتُصِرُّ على اعتبارهم مواطنين من الدرجة الثانية فقد استمرت الحرب واصبحت جزءاً من اللعبة القومية في المنطقة.

ان الاستعمار الانكليزي، وجد في القومية الكردية المتوسطة بين القوميات العربية والفارسية والتركية، خير وسيلة لاشعال فتيل الحرب القومية، ومنع الوحدة الاسلامية من التحقق والمسلمين من الاتحاد... ولهذه الاسباب نشبت الحروب ومازالت في العراق وتركيا و ايران الشاه بين القومية الكردية من جهة والقوميات العربية والتركية والفارسية من جهة اخرى...

فالاستعمار البريطاني لم يكن يريد الوحدة لكلٍّ من تركيا والعراق و ايران حتى بعد فصلها عن بعضها.. فخطته في اضعاف تلك القوميات داخل الحدود المصطنعة جاءت تطبيقا لسياسته المعروفة (فرق تسد) ذلك ان بريطانيا وفرنسا و بقية الدول الاستعمارية لم تكن تريد للمسلمين الوحدة الاسلامية ولا الوحدة القومية ولا الاستقرار الاقليمي!

وبمثل ذلك التفكير وضمن نطاق هذه المؤامرة تخوف الصليبيون من تحقق وحدة اسلامية على المدى البعيد الامر الذي يهددهم ويهدد مصالحهم، و بفعل هذا الظن الممقوت قررت بريطانيا وضع حاجز بين مسلمي اسيا و مسلمي افريقيا وفصل عرب اسيا عن عرب افريقيا فجاء مشروع الدولة الصهيونية في نقطة التقاء اسيا بافريقيا، وصدور وعد بلفور وعمل الغرب ايضا على تنصيب ملوك وقيادات وعوائل مشبوهة تعادي الاسلام والمسلمين وتتودد للغرب والغربيين.

اما عن اخطاء القيادات الكردية فهي تشبثها بالعقائد والافكار المستوردة كالقومية والماركسية في سبيل نيل حقوقها وتحقيق اهدافها

وعـدم الاسـتـنـاد على الـعلي الـقدير الذي قال في محكم كتابه الشريف: «وكان حقا علينا نصر المؤمنين». (الروم: ٤٧).

كما تحولت بعض الحركات القومية الكردية الى مطية لاهداف الشرق والغرب... وعليه استقبل (نيقولا الثاني) امبراطور روسيا ١٩٠٨ مجموعة من زعماء الاكراد وطلب منهم الثورة ضد الدولة العثمانية كي يسهل تقسيمها... وفي نفس الوقت اصبح الاكراد مثل العرب بيد المستعمرين يحركونهم كما يريدون.

ونجد بأن تلك التبعية لروسيا استمرت الى عام ١٩٤٦ ــ اي لما بعد ثورة ١٧/اكتوبر/١٩١٧ ــ حيث ساند الروس الاكراد في تأسيس جمهورية مهاباد في كردستان ايران.

ولما كانت القيادات والحركات الكردية تستند على الغرب والشرق في تحقيق اهدافها وطموحاتها وعدم ارتكازها على الاسلام لذا ذهبت جهودها سدى ودون أية نتيجة ففشلت الوحدة الكردية كما فشلت من قبلها الوحدة الطورانية والعربية والفارسية!!!

وكما هو حال الحركات القومية العربية التي اخذت تناضل في سبيل الوحدة الاقليمية (!) متراجعة عن الوحدة القومية... تراجعت الحركات القومية الكردية عن الوحدة الكردية وأخذت تطالب بالحكم الذاتي فقط وهذا الامر لم تنله ايضا (!)

ونتيجة للابتعاد عن الاسلام تشبثت الحركات الكردية المشبوهة بأفكار التقاطية مختلفة فمزجت بين القومية والماركسية والليبرالية والاقطاع والقبلية، وبتلك الاقدام المتناقضة ارادت السير نحو تحقيق اهدافها..!

ان الحركات الكردية العلمانية التقطت القومية في بداية هذا القرن اثناء المد القومي في المنطقة والتقطت الماركسية بعد وصولها في الثلاثينات واعتنقت الليبرالية بعد وصول القدرة الامبريالية الامريكية

وهكذا...

اما عن الافكار الماركسية في الحركة الكردية العراقية فقد ظهرت في الخمسينات و بالاخص بعد رجوع الملا مصطفى واتباعه ــ ٧٠٠ شخصٍ ــ من منفاهم في الاتحاد السوفيتي.. فكانت مجلة (هيوا) الشهرية تبرز الافكار الماركسية والقومية في صفحاتها الاولى.... و بسبب تلك الافكار شارك الشيوعيون الاكراد في (مجازر كركوك) ضد أعداء الشيوعية، التي ذهب صحيتها المئات من الابرياء المعادين لدين ماركس و قيم الشيوعية.

اما في كردستان ايران فقد ظهر المد الشيوعي في الاربعينات اثناء الاحتلال الروسي لشمال ايران ومساعدتهم في تأسيس (جمهورية مهاباد).

واستمرارا للمد الشيوعي في العراق فقد عقد بعض الاكراد في ٦/تشرين الثاني/١٩٥٩ جلسة أسسوا بموجبها الحزب الديمقراطي الكردستاني وعهدوا برئاسة الحزب الى الملا مصطفى البرزاني نتيجة لافتقارهم لقائد منهم.. وكانت برامج الحزب توضح التقاطيته اذ جمع بين الافكار القومية والماركسية والليبرالية...(!)

ولو تصفحنا نشرات الحزب لوجدنا بأن مقدمة برنامج الحزب قد جاء فيها: (انه نتيجة الهجمة الرأسمالية الاوربية فان الامة الكردية وخاصة (العمال) قد وقعوا تحت ثلاثة اشكال من الظلم ــ في حين كان لايوجد في كردستان ولا عامل واحد ولم يكن سكانها قد شاهدوا مصنعا او معملا في اراضيهم ــ)... ونصت المادة الثالثة للحزب صراحة في الدعوة الماركسية ــ اللينينية اذ جاء فيها: (والحزب سيستفيد في نضاله السياسي وفي تحليله الاجتماعي من النظرية الماركسية ــ اللينينية).

والجدير بالذكر ان اغلب قادة الحزب الديمقراطي الكردستاني كانوا من القوميين الداعين لقومية كردية وما كان اتجاههم نحو الشيوعية

سوى حشر لانفسهم في الموجة الشيوعية التي تمر على المنطقة... فأين هم من مقولة (ماركس) حول القومية اذ يقول: (القومية صنيعة البرجوازية).

وحول الصراع القومي البغيض بين القومية العربية والقومية الكردية الذي كانت تؤججه الأيدي والحركات القومية العلمانية اخترنا هذين المقطعين:

نشرت جريدة (خبات) التابعة للحزب الديمقراطي الكردستاني في العراق في عام ١٩٦١ مايلي: (ان الشعب الكردي في جنوب كردستان هو جزء من الامة الكردية، والاكراد لهم نفس الحقوق والتطلعات كالشعب العربي وكل الامم الاخرى. ان الاكراد ليسوا قبيلة او جزءاً من الامة العربية ولم تكن كردستان ولن تكون جزءاً من الارض العربية).

وفي الطرف الاخر نشر دستور الرئيس عارف الجديد في المادة الاولى: (بان الشعب العراقي هو جزء من الشعب العربي، هدفه الوحدة العربية الشاملة).

وبسبب امثال هذه المبادئ والنصوص القومية الخالية من الإسلام، اشتدت المعارك القومية، التي اراقت دماء عشرات الآلاف من المسلمين الأبرياء قال عنها طاغية العراق صدام عام ١٩٧٥ ان عدد قتلى وجرحى الجيش العراقي حتى ذلك العام قد بلغ ستين الف قتيل.. ولو عرفنا بأن الجيش العراقي ارتكب في كردستان مجازر يندى لها الجبين تمثلت في حرق قرى بكاملها وقصف اخرى بالمدفعية ومحاصرة القرى المناهضة ومنع الغذاء والدواء واللباس عنها تكون عندها ارقام القتلى قد بلغت مئات الآلاف.

ومما يذكر انه مضت على تلك الأرقام ثماني سنوات مازالت فيها المعارك والمذابح على اشدها!!!

ولم تقف مؤامرة حزب البعث عند هذا بل هجر عشرات

الآلاف من الاكراد (بالقوة) الى الجنوب، واسكن محلهم قبائل عربية جاء بها من جنوب العراق ليحرك النعرات القومية.

كما باع الآلاف من المواطنات الكرديات رغم أنوفهنّ الى المعوقين والمجرمين والبغاة في عملية قاسية تحت ستار (الزواج)(!). اذ كان بامكان أيّ رجل ــ منحرف خلقياً او سمسارٍ ــ ان يتقدم بطلب للحصول على واحدة أو اكثر من الفتيات الكرديات اللواتي هجرن مع عوائلهن الى جنوب العراق التي أُسكِنت في مخيمات خاصة وفي ملاعب كرة القدم في المحافظات تحت حراسة الجيش(!) ومن جراء تلك الاعمال المشؤومة والعنصرية فرت عشرات الآلاف من العوائل الكردية المسلمة من جور و ظلم البعث الصليبي الى ايران، حيث أُسكنت في محافظتي ارومية واصفهان.

و بعد انتصار الثورة الاسلامية في ايران و بدء المد الاسلامي اعلن الملايين من الاكراد عن تمسكهم بروح الاسلام، والوحدة الاسلامية، ورفضهم لكل الافكار والمذاهب الغربية التي جلبت لهم كل تلك المهالك والآلام.

(الفصل السادس)

مرحلة
ما بعد الحرب العالمية الثانية

ــ موقف حزب البعث من الاسلام.
ــ الاشتراكية العربية.
ــ شعار القومية بدل لا اله الا الله.

موقف حزب البعث من الاسلام

سبق ان قلنا ان الغرب انحصرت جهوده في فترة ما بين الحربين العالميتين في نشر بذور الاقليمية في الاقطار التي اوجدها في العالم العربي والاسلامي وترسيخ مفاهيمها في اذهان الحركات والقيادات والشعوب.. ولكن الغرب ذاته عمل في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية على احياء شعارات الوحدة القومية في العالم الاسلامي ـ مثلما كان يفعل قبل الحرب العالمية الأولى ـ بعد ان اطمأن الى ثبات الحكومات الاقليمية والتوجهات الاقليمية فيها، وهذا ادى الى ظهور حركات قومية اقليمية تتمسح بشعارات الوحدة القومية وتكتم اقليميتها.!!. فيكون عمل الغرب قد تمثل في نشر بذور القومية في المرحلة الأولى و بذور الاقليمية في المرحلة الثانية، وممارسة الا ثنتين في الثالثة!!

وقد شهدت مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية، ظهور اكبر حزب قومي علماني في الوطن العربي، وهو حزب البعث الذي كان امتداداً للحركات القومية التي نشأت في المرحلة الاولى ـ بداية هذا

القرن ــ في ارض سوريا و لبنان.. فمثلما اسس عازوري اول حركة قومية في المرحلة الاولى، أنشأ عفلق ــ الصليبي ــ اول حزب قومي في المرحلة الثالثة من مراحل القومية (!) وقد كتبت القوى الغربية لهذا الحزب ان يكون دعامتها التنظيمية في المنطقة العربية.. مسهلة له كل الظروف المواتية للوصول الى السلطة وتسلُّم زمام الامور، ولهذا قال علي صالح السعدي احد قادة الانقلاب البعثي عام ١٩٦٣ في العراق:

«لقد وصلنا الى الحكم بقطار انكليزي»

وهذا يعني ان الاستعمار الانكليزي اعتمد على آل سعود، و آل الشريف حسين ايام السيطرة القبلية، وعلى حزب البعث واحزاب اخرى اثناء السيطرة الحزبية.

وفي خلال العقود الثلاثة من عمر حزب البعث كشف عفلق وأماط اللثام عن حقيقة هذا الحزب و بغضه الشديد للاسلام قائلاً:

«فالحركة الدينية مثلا انماهي في فكر موجهيها والدافعين اليها حركة تقوم على اشياء سلبية محضة، على الكره الطائفي والخوف والحذر وغير ذلك من العواطف السلبية ولكن الشعب الذي يتبع في وقت من الاوقات هذه الحركات التي ننعتها بالرجعية لايتحرك بدوافع سلبية».

اذن الحركة الدينية في نظر عفلق سلبية.. اما الحقد القومي وحركة تفريق المسلمين واستعمارهم ففي نظره حركة ايجابية!!!

وقال ايضا في خطاب له عام ١٩٥٥ امام طلبة المغرب العربي:

«وواجبنا ان نشرح للبنانيين بأن العروبة التي نعمل لها هي عين ما يطلبونه و يطمحون اليه من وراء التهرب من العروبة، فالعروبة تمنع الضغط الديني(!) انهم يتهربون لاعتبارهم ان العروبة ــ وهي الاسلام بنظرهم ــ لا تسمح بتكوين مجتمع يحفظ كرامة الانسان»...

هكذا تبلغ الوقاحة بعفلق لان يتخرص بتلك الكلمات المعادية للاسلام في قلب العالم الاسلامي مدّعيا عدم حفظ الاسلام لكرامة

الانسان.

وقال ايضا ذلك الصليبي ــ الذي تسلط على رقاب المسلمين ــ في مناسبة اخرى:

«ان الدعوة الاسلامية والدعوات الطائفية الأخرى كان مصيرها الفشل.!!!». وكأنّ التاريخ لم يضم بين جنبيه حضارة اسلامية زاهرة اتصفت بالعدل، والمساواة، والمحبة، ورقي العلم وانعدام العنصرية والطائفية والعصبية. وجاء في بيان لحزب البعث العربي الاشتراكي ــ القطر العراقي ــ:

ان الثمرة الرائعة التي توجت نضالكم خلال نيف وثلاثين سنة، قاسية وشاقة ذاقت خلالها جماهير الشعب شتى الآلام والمآسي، هذه الثمرة الغالية تتعرض الان الى الخطر من قبل الاقطاع والاستعمار و«**فئات الرجعية الدينية**» والانتهازيين. ان الاستعمار والاقطاع **والرجعية الدينية** بمحاولتها هذه تهدف الى اجهاض جنين الثورة النامي في احشاء شعبنا، فتوقف بذلك مسيرة الشعب الظافر. وهكذا[1] يسمي حزب البعث النطفة الغربية بجنين الثورة واقبية السفارات بأحشاء شعبنا.

وواصل هذا الحزب اعتداءاته على الدين قبل تسنمه الحكم و بعد قفزه الى السلطة اذ قال (ناجي علوش) البعثي السابق: «ان البعثيين مؤمنون بفصل الدين عن الدولة، التي يجب ان تكون علمانية»[2].

فيصل بنا الفهم الى ان قادة البعث واعضاءه الكبار ينظرون للاسلام نظرة صليبية فرضها عليهم تعارض عقيدتهم الوضعية مع الشريعة الاسلامية ملتزمين بتمجيد كل بضاعات الغرب الفكرية ــ اشتراكية، قومية، ليبرالية، علمانية ــ.

١ــ بيان البعث / القطر العراقي / كانون الاول ١٩٦١م .

٢ــ الثورة والجماهير/ ناجي علوش / ص ١٥٨.

كما ان القادة الكبار لحزب البعث لم يخفوا عداءهم للاسلام ولم يكتفوا بحديث واحد في هذا المجال، فهذا ناجي علوش يصف الدعوة الاسلامية بالرجعية قائلا:

«بأنها الدعوة المتناقضة مع روح العصر، السلفية في طابعها، والسلفية في محتواها»[٣]

فالبعثيون يعادون الدين الاسلامي كما يعاديه اربابهم الغربيون ولا يلتقون معه في أية نقطة محاولين بخطى ماكرة الاستعانة بالعاطفة القومية الهشة وتأجيجها وشد الناس بعصبيتها. وفي هذا يقول محمد جلال كشك:

«ان أولئك الذين يشهرون العروبة في وجه الاسلام انما يكنون حقدا دفينا على الاثنين. فقادة البعثيين الذين يقولون: (ابوجهل اقرب الينا من سلمان الفارسي او يسمي احدهم ابنه لهباً لكي يناديه الجمهور البائس (ابا لهب) **طبعا هو** يتشفى في المسلمين و يعبر عن مكنون حقده ضد بني الاسلام.. ولكنهم ايضا يحقدون على العروبة لانه لولا جهاد سلمان الفارسي لما اصبحت الشام او العراق عربية». *

فحزب البعث يحاول بكل الطرق الممكنة اهمال واغفال دور الاسلام في الحضارة الاسلامية و يريد فصل الاسلام عن العرب، في حين أُجبر القومي (ساطع الحصري) على ذكر دور الاسلام، وفضله على العرب في مسألة الفتوحات قائلاً:

«ان معظم اقسام العراق والشام وجميع انحاء افريقيا الشمالية من مصر والسودان الى المغرب الاقصى كانت غير عربية، ولم تستعرب

٣ــ المصدر السابق / ناجي علوش / ص ١٦.

* القومية والغزو الفكري / محمد جلال كشك

الا بعد الاسلام». *

ووفقا لنهج سلطة البعث المعادي للاسلام فقد تعرضت الحركة الاسلامية في العراق الى مؤامرات خطيرة، اذ قتلت السلطة البعثية الآلاف من المؤمنين واعدمت الشهيد المفكر آية الله العظمى السيد محمد باقر الصدر واغلقت الحوزة (الجامعة) العلمية الدينية في النجف الاشرف ومنعت زيارة العتبات المقدسة في كربلاء والنجف الاشرف وسامراء وهجّرت وسجنت رجال الدين وحاصرت المساجد ومنعت المحاضرات الدينية ونشرت دور البغاء والفساد والمواخير.

ولم تكتف باعمالها الهدامة الفظيعة في العراق، بل مدّت يدها الى الحركة الفلسطينية لتشتيتها ودست عملاءها في لبنان، و بذرت مؤامراتها في بقية البلدان العربية وتوجت آثامها بموقفها من النظام الاسلامي الفتي في ايران وانجازها لاقذر مؤامرة يكلف بها حزب عميل الا وهي غزو بلد اسلامي مجاور وقتل وتهجير الملايين من المسلمين ليس لامر سوى ارضاء الطغاة في واشنطن و باريس وموسكو.

ومن المسائل المثيرة للسخرية والفاضحة لمنهجية الحزب أدعاؤه بأن الثورة العربية الكبرى(!) «عام ١٩١٦» كانت اول من رفع راية العروبة و يعني بها ثورة لورنس، ومكماهون، والشريف حسين.. وبهذا تتضح حقيقة كون الحزب امتداداً لتحركات الاستعمار في البلدان العربية، وهنا الطامة الكبرى!!

وكما ادعى الماركسيون الحتمية الشيوعية للتاريخ سار البعثيون على هذا التقليد مدّعين حتمية المرحلة القومية اذ قال منيف الرزاز:

«الحركة القومية الاشتراكية هي المرحلة الرابعة من مراحل تطور الحركة القومية ونضجها. فبعد ان مرّت هذه الحركة بمرحلة رد الفعل

---

* مذكراتي العراق/ ساطع الحصري، ١٩٢١ــ١٩٤١م.

الفطري ثم مرحلة الاصلاح الديني فمرحلة الوطنية البرجوازية الليبرالية كان حتماً ان تنتهي الى مرحلة القومية الاشتراكية» .[٤]

فما اشبه تلك المراحل بمراحل الماركسية التي وضعها ماركس و لكن على اساس اقتصادي، وما ارخص تأثر قادة البعث بأفكار ماركس الضيقة والانانية. فماركس علّل توجهات وحركات الكائنات البشرية كافة تبعاً لاساس اقتصادي اما (الرزاز) فقد سرق افكار ماركس وصبها في قالب قومي.

وهكذا تظهر من كتابات البعثيين انهم يحللون التاريخ تحليلا قوميا عنصريا، واصفين فيه انتصار المسلمين على الاكاسرة بأنه انتصار العرب على الفرس، وفتح المغرب العربي، بانتصار العرب على البربر، وسيطرة الدولة العثمانية على البلاد الاسلامية العربية، بسيطرة الترك على العرب، ووصفهم لقادسية صدام المشبوهة، بحرب العرب ضد الفرس وهكذا.. محاولين تشويه التاريخ، وطمس الحقيقة، وإثارة العصبية.

ولكن وفق التحليل الماركسي توصف حرب القادسية التي قادها (سعدبن ابي وقاص) بأنها جاءت طلباً للخبز والتمر ــ مثلما قال (رستم) ــ. ووفق التحليل القومي توصف حرب القادسية بانها صراع قومي بين العنصرين العربي والفارسي في سبيل ابعاد الاسلام ومبادئه الفذّة عن الساحة ولسان حالهم يقول:

« لعبت هاشم بالملك فلا   خبر جاء ولا وحي نزل»

وايديولوجية حزب البعث تتصف بالشعارات البرّاقة المتغيرة والبعيدة عن التطبيق. فلا يملك ايديولوجية ثابتة واضحة تحدد مسار الحزب بل هناك جمع من الافكار والعقائد الشرقية والغربية تجرّ الحزب

---

٤ ــ فلسفة الحركة القومية العربية / منيف الرزاز / ص ٩٤.

حيث تشاء، وتمخر به حيث تهوى مثلما قال منيف الرزاز فيلسوف الحزب بأنها تتغير حسب الظروف والمتطلبات.

فعن رأي الحزب في قضية فلسطين، التي يقول عنها بأنها القضية المحورية للحزب، فيظهر بأن هذه القضية متغيرة ايضا، شأنها شأن الايديولوجية المتبدلة للحزب.

في حين يقول ميشيل عفلق زعيم الحزب: (قضية فلسطين ليس لها حل خاص، انها خلاصة القضية العربية، خلاصة الامة العربية في محنتها الحاضرة مع الاستعمار والصهيونية والرجعية) و (ان طريق الوحدة يمرّ من فلسطين)[5]

نجد سرعان ما تبدلت تلك الاستراتيجية، اذ زار عفلق اسرائيل عام ١٩٨٢، واعترف حزب البعث العراقي باسرائيل وحدودها في مؤتمر (فاس) الخياني... وبهذا يكون حزب البعث قد تنازل عن القضية الفلسطينية جملة وتفصيلا، وتنازل عن الوحدة العربية بتنازله عن فلسطين، وفق قوله، ان طريق الوحدة يمر من فلسطين، وتناسى ما كان يسميه بالقضية المركزية فلسطين(!)

وبعد اعلان حزب البعث الحرب على الجمهورية الاسلامية انكشفت معظم اوراقه، اذ تحالف مع امريكا وروسيا وفرنسا والرجعية العربية علنا و يكون الحزب بذلك قد تنازل عن كل مقرراته ومؤتمراته القومية والقطرية الزائفة... اذ اين استراتيجية عفلق من علاقات حزبه الحالية مع السعودية وهو الذي قال عنها قبل سنوات:

«اما الرجعية السعودية فمعروف انها ليست مستعصية على الوحدة فحسب بل كانت ولا تزال تستخدم نفوذها ومواردها لمحاربة الوحدة في ارجاء الوطن العربي».

٥ــ نقطة البداية / ميشيل عفلق.

وعن رأي صدام حسين الامين العام لما يسمى بالقيادة القطرية لحزب البعث، بالاسلام فقد قال في خطاب له في مكتب الاعلام البعثي في عام ١٣٩٧ هـ:

«اننا لانعادي الدين، نحن لانقف حياداً بين الايمان والالحاد، بل نحن مع الايمان. الفقه الاسلامي فقه رجعي متحجر وجامد لا يتوافق مع متطلبات العصر. نحن لاننسخ ولا نستنسخ من الماضي، نحن لانريد من اجل الدولة او الحزب ان يطبق التعاليم الدينية في دائرته، لان ذلك يؤدي الى التفرقة الطائفية، و بذلك نخسر شعبنا، ونريد من رجل الدين الا يتدخل في شؤون الدولة، ولا نريد من رجل الدولة ان يتدخل في شؤون رجل الدين» * ــلاحظ تخرصاته على الفقه الاسلامي ــ.

وقال (الياس فرح) احد قياديي حزب البعث في مقالة له في جريدة الثورة البعثية: «ان نظرة حزب البعث للحياة وللدولة هي نظرة (علمية) و (منهجية) لا تؤمن بالفكر الغيبي»

وقال ايضا: «ان تطبيق الدين في المجتمع يعني الاستسلام للأمر الواقع. وفرض واقع التخلف والتجزئة في مجتمعنا العربي» ــلا يحتاج الى تعليق ــ.

الاشتراكية العربية

بعد ان طرقت العلمانية ابواب المجتمع الاسلامي والعربي اصبح طبيعياً أن تدخل الى ذلك المجتمع كل ما مرَّت به اوربا او كل ما استجد على ساحتها من مذاهب وافكار ونظريات وفلسفات فيصفق لها بعض من الناس مثلما حصل ويحصل في اوربا تحت راية التجدد والتطور

---

* من خطاب لصدام حسين نشر في كراس صادر عن دار الثورة في بغداد عام ١٩٧٨م.

والتقدمية...

وبسبب ذلك نفذت الاشتراكية بشقيها الماركسي اللينيني، والاشتراكية الاوربية الى العالم العربي.

علما بأن الحركة الاشتراكية لاتختلف عن الحركة القومية من حيث انها حركة علمانية معارضة للدين ومخالفة له في توجهاتها ونهجها وبأنها جزء من ثقافة التجزئة الغربية التي يسندها الاستعمار في سبيل مسخ الرسالة الاسلامية وتشتيت الأمة الاسلامية.

اما الالتباسات المفتعلة لربط الافكار العلمانية بالاسلام، وتصوير القومية كاطار للديانة الاسلامية، ومحاولة الايحاء بأن الاشتراكية نابعة من القيم والمبادئ الاسلامية، فهي لا تعدو كونها جزءاً من المؤامرة الاستعمارية الهادفة الى ابعاد المسلمين عن مبادئهم الحقيقية، والاصيلة.

فالمستعمرون بعد ان صوروا للمسلمين بأن تخلفهم نابع من الدين، وان اتباعه لا يؤدي الى حضارة ورقي، استطاعوا باساليب ابليسية حرف، البعض عن نهج القرآن.. بعدها اصبح توجه هؤلاء الضالين الى العقائد والقيم والافكار المعادية للاسلام أمراً حتمياً.

فماذا يمكن ان نتوقع لنفوس متغربة اقدامها في ارضنا الاسلامية ورؤوسها في اوربا غير الاعتقاد بما يورده و يصدره الغرب لنا من قيم وافكار علمانية في محاولة منها لتمجيد الغرب عن طريق العقائد والقيم الغربية.. وتناسي الاسلام الشامل للأنظمة والنظريات المناسبة لكل المجتمعات ولكل العصور فقد قال المستشرق الانكليزي(توينبي): «إذا سبب الوضع الدولي حرباً عنصرية يمكن ان يتحرك الاسلام ليلعب دوره التاريخي مرة أخرى، وارجو ان لايتحقق ذلك». (الطليعة الاسلامية/٣/ مارس ١٩٨٣م).

ورغم شمولية الاسلام للنواحي الاجتماعية والاقتصادية و بقية

المجالات، ورغم الحضارة المشرقة التي خلفها لنا، والفرق الكبير بين حياة العرب في ظل الاسلام وحياة العرب بلا اسلام، نجد حاليا استمرار تهالك البعض وراء نفايات وفتات ومخلفات الحضارة الغربية وكأن هذا البعض مصمم على الاستمرار في حياة الجهل والذل والتبعية.!

وبسبب ذلك الوضع المتهالك على عتبات القصر الابيض، والكرملين، والأليزيه نجد استمرار الانقسام والفرقة في مجتمعاتنا الاسلامية... في جانب احزاب يسارية يلعب برأسها الديالكتيك والتبعية لموسكو، وفي جانب آخر حركات وانظمة يمينية خلبت لبها حياة اللهو والصخب والمجون الغربية.

فهل يمكن شروق حضارة، وظهور رقي ووحدة، وبروز استقلال وحرية من بين نفايات ومخلفات ومؤامرات القوى الشرقية والغربية؟!

ولغرض ذر الرماد في العيون عمل القوميون والاشتراكيون على التستر ببعض الشعارات الاسلامية الزائفة بعد ان برروها بحجج تكتيكية او مرحلية، من أجل التمويه على الشباب المسلم والشعوب الاسلامية.. فادعى الاشتراكيون افتراء قربهم من الاسلام وبأن مثال المسلم الاشتراكي عندهم يتمثل في ابي ذر وبأنه الاشتراكي الاول وغيرها من محاولات الغش والخداع.. اما القوميون فقد اتخذوا من القرآن ـــ ذي الحروف العربية ـــ والرسول (ص) العربي دليلا على عروبة الاسلام وحصره بالعرب.

وكما هو شأن القومية التي نقلها للوطن العربي رجال صليبيون من أمثال عازوري واسكندرعمون، كان شبلي شميل المتوفى في عام ١٩١٦ من أوائل الاشخاص الذين ادخلوا الاشتراكية الى العالم العربي..!!

«ومن رواد الاشتراكية الاوائل (فرح انطوان، ونقولا حدود، وامين الريحاني» ـــ الثلاثة من النصارى ـــ اذ قام هؤلاء الثلاثة بتسخير

اتحاد الكتاب العرب عام ١٩١٠ لنشر أهدافهم»[٦] وكان هؤلاء ينادون بالاشتراكية الديمقراطية التي كانت قد ظهرت في أوربا.

ولم يأخذ الغرب في البداية بالاشتراكية بل اقتصرت دعواه على القومية وبقيت الاشتراكية في الظل. وهذا يوضح لنا سبب اقتصار اهداف القوميين الاوائل على القومية.

اما عن كيفية وصول الاشتراكية الى عالمنا الاسلامي العربي فيتوضح في الاسطر التالية. في عام ١٩١٧ انتصرت الثورة البلشفية السوفيتية، وبرز مذهب جديد في روسيا معاد للدين والقومية يدعو للمادية الجدلية، ودكتاتورية البروليتاريا.

وكما هو شأن الفلسفات والنظريات والافكار الجديدة فقد كان لهذه الدعوة الجديدة انصار عديدون من ملحدي اوربا ممن سحرتهم شعارات المساواة والاشتراكية ومعارضة الاقطاع والرأسمالية والكنيسة الفاسدة.

وكما حصل بعد الثورة الفرنسية وبعد كل ثورة منهجية فقد حصل بعد ثورة اكتوبر رعب في الانظمة والحكومات الغربية ومستعمراتها خوفاً وهلعاً من المنافس الجديد.

ولكون الاشتراكية قد اصبحت الشعار الجذاب للعالم غير الاسلامي ولكون سحرها قد طغى على بقية الفلسفات الوضعية لذا عملت الدوائر الاستعمارية على آمتصاص الرغبة في الاشتراكية، وآحتواء العواطف نحوها.. كيف؟

إدعى الحزب النازي وكذلك الحزب الفاشي الايطالي الاشتراكية الى جانب القومية..(!) وكما هو الحال مع الحزبين القوميين (النازي والفاشي) اتجهت الحركات القومية العربية نحو الاشتراكية!

٦ــ حركة القوميين العرب / باسل الكبيسي.

بنصيحة من بريطانيا وفرنسا و ذلك خوفا من اجتياح الاشتراكية العلمية للقومية.

من هذا نفهم أن الحركات القومية العربية اتجهت نحو الاشتراكية الاوربية ليس حبا بها بل لامتصاص خطر الاشتراكية الماركسية ودفعا لما لاتحمد عقباه.

ان عدم تعايش القومية مع الاشتراكية العلمية يأتي من عدم اعتراف الشيوعية بها اذ قال ماركس في هذا المجال: (القومية صنيعة البرجوازية).. وتنبع الاختلافات من أممية الماركسية وعنصرية القومية.. ولما كانت الاشتراكية الشيوعية عدوة للبرجوازية ــ مثلما تدعي ــ والقومية صنيعة البرجوازية الغربية فقد اصبحت القومية في طرف البرجوازية وفي صراع مع الشيوعية.

اما عن الفرق بين الاشتراكية الاوربية والاشتراكية الشيوعية فان الاشتراكية الاوربية ليست سوى غطاء للرأسمالية والبرجوزاية وكل ما فيها لايخرج عن كونه عقائد رأسمالية وأطرأ اشتراكية.

و يبرز الفرق واضحا بين الحزب الاشتراكي الفرنسي الحاكم ونظيره السوفيتي.

اما عن الاشتراكية العربية فانها نموذج من نماذج الاشتراكية الاوربية.. وإنَّ عدم وضوح اهداف الاشتراكية الغربية أدى الى عدم وجود اشتراكية عربية واضحة المعالم.. البعض من القوميين الاشتراكيين دعوا الى الفابية (اشتراكية برناردشو) مثل سلامة موسى الذي كان اول من كتب دراسة حول الاشتراكية العربية في كتاب سماه (الاشتراكية).

وسبب الاخذ بهذه الاشتراكية هو نجاحها في بريطانيا في الحد من رغبة بعض الانكليز في الماركسية.

وقد دعا بعض القوميين الى الاشتراكية البريطانية (الحركة

التعاونية)، اما البعض الآخر الذي لاتهمه القومية ولا الاشتراكية بقدرما تهمه محاكاة الاوربيين فقد اتجه للجمع بين الاثنين عسى ان يتوصل لحل مشاكله المتراكمة و المستعصية.. فاعلنوا: «ان الحل الاشتراكي في بلدنا يعتبر حلا حتميا لم يكن منه بد ولم يكن لنا عنه محيص»[7]. و بذلك وقعوا في فخ الماركسية من حيث أخذهم بالحتمية التاريخية التي هي احدى اصول المادية التاريخية(!)

قال الدكتور يحيى الجمل: «ان الحل الاشتراكي كان حتمياً»* وان (ميثاق الجمهورية العربية المتحدة) في زمن جمال عبدالناصر قد نادى بالحتمية الاشتراكية.

لذا فان الاشتراكية العربية خليط غير متجانس من افكار و مبادئ شتى لا تلتقي في مسرى واحد ولا في نظرية محددة، تنقصها الرؤى الشاملة لثورة او دولة او نظام وتفتقر لمقومات نظرية فلسفية متكاملة.

وهكذا بسبب عدم وجود نظرية حول الاشتراكية العربية فقد تكونت اشتراكيات عديدة كل واحدة تنسج على منوالها: مثل اشتراكية سلامة موسى (الفابية)، واشتراكية حزب البعث (القشرية) ــ التي لا تؤمن بصراع الطبقات ــ، واشتراكية خلدون ساطع الحصري (العربية!) المؤمنة بالصراع الطبقي اذ قال في كتابه: (الاشتراكية العربية تؤمن بوجود الصراع الطبقي في التأريخ)» * و...!

اما الاشتراكيون الاوائل (فرح انطوان، ونقولا حدود، وامين الريحاني) فكانوا ينادون بالاشتراكية الديمقراطية... فيما دعا رمضان لاوند في كتابه (مصير القومية العربية) الى الاشتراكية التعاونية.

٧ــ الاشتراكية العربية / د. يحيى الجمل، ص: ٣٣٦ .

* ثورة ١٤ تموز/ ١٩٥٨ خلدون ساطع الحصري.

من هذا نفهم عدم التقاء القوميين العرب في اسس عقيدتهم وتخبطهم وركوبهم العشواء في المسائل الايديولوجية لاسيما تحليلهم للتاريخ اذ يحلله البعض بعيداً عن الصراع الطبقي، ويحلله البعض الآخر طَبقا له، ويحلله ثالث وفق الصراع القومي وهكذا...!! حيروا انفسهم وحيروا العرب معهم.

اما محسن ابراهيم ونايف حواتمة (القوميان السابقان) فقد استخدما الماركسية للتحليل منذ عام ١٩٥٩ فأسقطا التحليل القومي للتاريخ و كان ذلك ايذاناً بالتحول نحو الاشتراكية العلمية.

وعن الاشتراكية العربية قال الدكتور (باسل الكبيسي) ــ احد اعضاء القوميين العرب: «ان مقالات محسن ابراهيم في مجلة الحرية وخطب عبدالناصر والميثاق القومي للجمهورية العربية المتحدة اعتبرت الاطار الايديولوجي لما عرف بالاشتراكية العربية» *، وقال الميثاق القومي للجمهورية العربية المتحدة: «ان الاشتراكية هي الطريق الى الحرية الاجتماعية، وان الاشتراكية العلمية هي الاسلوب الملائم لايجاد النهج الصحيح الذي يقود الى التقدم».

وفي ظل استمرار هذا النهج غير القويم والالتباس المربك حدثت نكسة عام ١٩٦٧ فتحطمت الايديولوجية القومية والاشتراكية العربية.

وكانت حركة القوميين العرب اول حزب قومي يعترف في اعقاب تلك الحركة بأن ايديولوجيته وبرنامجه السياسي قد هزما واصبحا بلا فائدة.

«وانقلب القوميون العرب على ايديولوجيتهم باعتبارها عقيدة مسؤولة جزئيا عن الهزيمة»[٨].

---

* حركة القوميين العرب/ باسل الكبيسي، ص ٢٠٢.

٨ــ حركة القوميين العرب / باسل الكبيسي.

و بسبب هذه الهزيمة (١٩٦٧) انحلت حركة القوميين العرب الى حركات جميعها ماركسية وهي:

(١)ــ الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين.

(٢)ــ الجبهة الشعبية الديمقراطية لتحرير فلسطين.

(٣)ــ الجبهة الشعبية لتحرير الخليج المحتل.

(٤)ــ منظمة الاشتراكيين اللبنانيين.

(٥)ــ حزب العمل الاشتراكي العربي.

أما عن الحركة الناصرية، فبعد هزيمة حزيران عام ١٩٦٧ عقدت منظمات «حركة القوميين العرب سلسلة من المؤتمرات لتحليل اسباب الهزيمة، وكانت الحصيلة الطلاق الكامل للناصرية التي ادينت بأعتبارها حركة برجوازية صغيرة محكوماً عليها بالفشل»[٩].

وهكذا نجد ان آثار الهزيمة والفرقة والانقسام والتخلف أدت بالقوميين الى تغييرات عديدة، دفعت البعض منهم نحو الماركسية والبعض الآخر لطلاق القومية.

اما عن سبب اهتزاز وضعف القاعدة القومية في العالم الاسلامي فيكشفها خلدون ساطع الحصري في دعواه القائلة: «ان الاشتراكية والقومية العربية، تهدف الى الفصل فصلا قاطعا وحاسما بين الدين والدولة»* ..!!

لاحظ مدى العداء والخوف والقلق من عودة الاسلام والحكم الاسلامي والوحدة الاسلامية...

و بعد انتصار الثورة الاسلامية في ايران شعرت جميع الجماهير الاسلامية العربية ان جهلها وانحطاطها نابعان من بعدها عن الاسلام

٩ــ نفس المصدر السابق.

* ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨/خلدون ساطع الحصري.

وعدم اخذها بأصوله واحكامه وتشبثها بعقائد وافكار غربية، و بأن هدف المذاهب والعقائد الغربية المنتشرة بين المسلمين هو عدم افساح المجال لاتحادهم وتعاونهم في ظل نصوص القرآن المجيد و وقوفهم على صخرة الحضارة الاسلامية الخالدة، واخذهم من منبع الخير والعطاء الذي لاينضب.

شعار القومية بدل (لا إله الاّ الله)

من خلال الدراسة التحقيقية لتاريخ القومية كفرع من فروع العلمانية، و بنت من بناتها، ومن خلال قراءتنا لسيرة القوميين، ومنهجهم، وعقيدتهم، ورايتهم، وهدفهم وما نستشفه من اقوال قادتهم، نجد أنَّ القومية قد جاءت بشكل اساسي لضرب الدين، وهدم اركانه، واقتلاع جذوره ومنع شعائر الله وانهاء الدور السياسي والاجتماعي والروحي لبيوت الله.

فكما كان ماركس و لينين وتروتسكي فلاسفة وزعماء الشيوعية من اصل يهودي كان اتاتورك وعفلق من اصل يهودي ايضا ــوفق بعض الاخبارــ.

وكما قال ماركس: «الدين افيون الشعوب»* قال لينين: «يجب علينا أن نحرر عقولنا من خرافة الدين». **

وقال عفلق: «ان الدعوة الاسلامية والدعوات الطائفية الاخرى كان مصيرها الفشل» اذن أقوال القادة الملحدين المذكورة تهاجم الدين علنا و تفصح عن اغراضها جهارا، وكما ان المادية الديالكتيكية هي

---

* «كارل ماركس» تأليف هنري لوفافر/ ترجمة: محمد عيتاني.

** «العمل وحقوق العامل في الاسلام» تأليف: باقر شريف القرشي. ص١١٩.

الصرح الذي اقيمت عليه الماركسية، فإن العنصرية هي الاساس الذي بنيت عليه القومية.

يقول توينبي في كتابه (العظماء المعاصرون): «ان دما يهوديا يجري في عروق الاسرة الكمالية».. وكان المستشرق اليهودي (بول كراوسي) الاستاذ في كلية الآداب في القاهرة يكره الاسلام و يدافع عن العروبة.

اما المسيحيون العرب فقد تلقفوا القومية ليعلوا بها على الاسلام والمسلمين بفئتهم القليلة التي لا تتجاوز الاربعة في المئة في العالم العربي والاسلامي، وهكذا كانوا هم قادتها وفلاسفتها من امثال نجيب عازوري واسكندرعمون وانطوان زريق... وشبلي العيسمي ومنيف الرزاز وغيرهم الكثير.

«ومما تجدر الاشارة اليه هو ان انتشار فكرة القومية العربية في هذه الفترة كان الى حد كبير بفعل تأثير المسيحيين العرب في لبنان الذين كانت اتصالاتهم بالغرب اكثف من بقية السكان، في حين اوصى القرآن الكريم المسلمين بعدم السير تحت لواء اليهود والنصارى اذ قال: «يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء». (المائدة، ٥١).

اما عن عقيدة وافكار واهداف ونهج القوميين، فهي علمانية، بعيدة عن الدين والاسلام، ففي تونس ينص دستور البلاد على علمانيتها من أجل سواد عيون اوربا والنسبة الضئيلة من النصارى دون الاكتراث بالاكثرية الساحقة من المسلمين.. وفي مصر يوم كان الرئيس جمال عبدالناصر قد اركب القومية على عجلات اشتراكية كانت شريعة البلاد ليست الشريعة الاسلامية والعدل الالهي والمساواة بين المسلمين بل شريعة علمانية مستوردة تتمثل في الاشتراكية والقومية ومثل هذا حدث في العراق و بقية البلدان العربية القومية ولكن بتقديم وتأخير في العجلات فقط اذ تنص تلك الاهداف على ان الاشتراكية منهج للحياة

والحكم، والقومية عقيدة الدولة واساسها.

وفي محاولة من عفلق لانكار العقيدة الاسلامية يتهم المسلمين الموحدين بمحاربة (العقيدة الاساس.) اذ يقول في كتابه نقطة البداية: «حوربت عقيدة الثورة العربية بأسلحة مختلفة سلاح التجاهل والاهمال والتشويه والطمس» (نقطة البداية/ ميشيل عفلق/١٣).

وفي محاولة من البعثيين لطمس آيات القرآن ووعده للمؤمنين بوراثة الارض يحذو القوميون حذو الماركسيين في ادعائهم وراثة الارض تبعاً لاقوال عفلق والرزاز اذ يقول منيف الرزاز: «الحركة القومية الاشتراكية هي المرحلة الرابعة من مراحل تطور الحركة القومية ونضجها. فبعد ان مرّت هذه الحركة بمرحلة رد الفعل الفطري، ثم مرحلة الاصلاح الديني فرحلة الوطنية البرجوازية الليبرالية كان حتماً ان تنتهي الى مرحلة القومية الاشتراكية، القومية التقدمية»[١٠]، لاحظ التأثر بمراحل الشيوعية!

ان تأثر منيف الرزاز بأفكار (ماركس)، في مجال الحتمية التاريخية، يشبه تأثر (احمدخان) المسلم الهندي بالحضارة والقيم الغربية، فبعد ان كان احمدخان يرفع راية العداء والبغضاء ضد الانكليز في الهند بمجرد ما ارسلته الحكومة البريطانية الى الجزيرة الانكليزية ليرى حضارتها وخيراتها و تقدمها الذي بني على ما سرقته من بلدان المسلمين، ورأى الثراء والنعماء الذي يعيشه المستعمرون، اخذ الشك يدب في نفسه حول قدرة بلاده المستعمرة (بالفتح) على التخلص من براثن الاستعمار والتخلف والعبودية، و بدلاً من ان يجاهد في سبيل رفع الكابوس والطغيان والقيد عن بلاده، راح يدعو لابقاء الهند تحت السلطة الانجليزية معللا ذلك بانها سوف تحذو حذو بريطانيا، تدريجيا!! اذ قال: «اننا

١٠ــ التحدي الاستعماري / منيف الرزاز / ص ٩٤.

لانملك طريقاً سوى الذهاب تحت سيادة بريطانيا»[11] وذلك يعني، بقاء الاستعمار واستمرار الاجحاف والاستغلال، وتحول الشعب باكلمه الى عمال وخدم و اجراء في سبيل رفعة التاج البريطاني سابقاً، والتاج الامبريالي الغربي والشرقي حالياً.

في حين قال الامام الخميني امامُ المسلمين والمستضعفين في العالم: «اذا تبعتم امريكا فسوف تعطيكم ما تطلبون، ولكن ما الذي سوف تعطيكم إياه؟ انها سوف تعطيكم ما تعطيه لكلابها وحيواناتها!».

شعار العروبة بدل (لا إله الاّ الله).

ولما كان شعار وراية المسلمين: «لا اله الا الله، محمد رسول الله» جاء القوميون بشعار عنصري معادٍ للدين ومفضل للوحدة القومية على الوحدة الاسلامية ومفضل للشوفينية القومية على الرسالة الاسلامية (والعياذ بالله منهم) يتمثل في: «امة عربية واحدة ــ ذات رسالة خالدة». و بذلك فهم يزيغون عن طريق الاسلام وطريق الله نحو طريق الشيطان.

وتقول المادة التاسعة من دستور حزب البعث العربي الاشتراكي: «راية الدول العربية هي راية الثورة العربية التي انفجرت في عام ١٩١٦ لتحرير الامة العربية وتوحيدها».

الكل يعرف ان راية الثورة العربية التي رفعت في عام ١٩١٦ وضعها وكتبها وخطط لها (لورنس) الصليبي الحاقد على الاسلام والمسلمين لذا فان البعثيين ينضوون تحت راية لورنس ولا ينضوون تحت لواء (لا اله الا الله).

مثلما قال لورنس: «كان في نيتي ان اشكل امة جديدة.. وان

١١ــ حول الثورة الاسلامية / الشهيد مرتضى المطهري.

اقدم الى عشرين مليونا من السامين الاسس التي يبنون عليها (احلامهم الهوائية) في توجهاتهم القومية... ان كل ولايات الامبراطورية العثمانية لا تعدل عندي موت انكليزي واحد....(!) واذا كنت قد اعدت للشرق شيئا من كرامته وجعلت له هدفا يسعى اليه او مثالا يتطلع نحوه، فقد درّبت شعوبه وطاوعتها على قبول نمط جديد من الحكم سينسى معه (الاسياد الاوروبيين) ــ كذا ــ كل ما انجزوه من انجازات فجّة»[١٢].

لذلك فان القوميين هم الامة الجديدة(!) التي اعدها واوجدها لورنس ــ لاحظ كم هو حاقد ذلك المؤسس للثورة العربية الكبرى(!) في ١٩١٦، اذ لايعادل ملايين المسلمين والمستضعفين اضافة الى (القوميين) بانجليزي واحد ــ. و يضيف لورنس قائد و مؤسس الثورة القومية الكبرى، بأنه انجز انجازا كبيرا وخطيرا يتمثل في تطويع المسلمين على نمط جديد من الحكم يتمثل في قبولها القومية والاستعمار والرضى بالذل والتخلف وذلك اكبر من كل انجازات الانجليز التي وصفها بالفجة...!

وحول تعارض الفكر الاسلامي مع الفكر القومي العلماني، قال (انطوان سعادة) مؤسس الحزب القومي السوري: «ان فكرة الجامعة الدينية السياسية منافية للقومية عموما و للقومية السورية خصوصا»[١٣].

لاحظ ان ما بين الاسلام والقومية لايوجد تلاقٍ ولا اتفاق سواء في الافكار الاساسية او الافكار الفرعية.

ومجرد وجود القومية في بلادِنا يعني مؤشراً حول وجود الاستعمار، فالقومية نطفة من نطف الغرب انجبت لنا الاحزاب والمنظمات والشخصيات القومية... قال توينبي عنها: «ان تراجع القومية مرهون بتراجع الاستعمار». (نشأة الحركة العربية الحديثة/ محمد عزة (دروزة)

١٢ــ ما يعد به الاسلام / روجيه غارودي / ٢٣٨

١٣ــ حركات و مذاهب في ميزان الاسلام / فتحي يكن.

وقال (فارل) ــ المستشار المالي لوزارة التربية في الحكومة العراقية اثناء الاستعمار الانكليزي المباشر ــ لساطع الحصري ينصحه: «اسعوا للعروبة، قوموا بدعاية لها...»[١٤] فالعروبة اذن اصبحت طموح الانجليز وهدفاً من اهدافهم يسعون لها و يساندونها بكل ما عندهم.

والعروبة اصبحت امل فرنسا ايضا الى جانب بريطانيا، ليس حبا بالعرب طبعا بل بغضا للاسلام وحقدا على الوحدة الاسلامية. وقد قال روجيه غارودي الذي اسلم قبل سنوات حول القومية: «اما مدرسة الديوان التي ولدت في مصر عام ١٩٢١ وتأثرت بالثقافة الانكليزية فقد رفض اصحابها ما كان يتناوله الشعر العربي التقليدي من موضوعات وما يتبناه من اساليب. و ينطلق الرواد من مدرسة (الديوان) من القول بأن رابطة (الامة) هي الارض وليست رابطة الدين متأثرين بالجرثومة الغربية حول مفهوم القومية.. وكان هؤلاء الرواد (مصريين) قبل ان يكونوا (مسلمين)، وهكذا كرسوا دون ان يشعروا حلم المستعمر المحتل في تفكيك الامة الاسلامية الى (امم) على النمط الذي عرفته اوربا منذ معاهدات (و يستفاليا)، وقد افسد هذا (النمط) العالم منذئذ وجعل حل المشكلات السياسية امرا مستحيلا»[١٥].

فالقومية تعني التفكك والانحلال والانقسامات والفرقة ليس الا، وقد عوّل الغرب عليها في مواصلة استعمار واستحمار العالم الاسلامي، وامتصاص خيراته، والا ماذا جنى العالم الاسلامي من شعارات القومية العربية والفارسية والتركية والكردية غير استمرار التخلف والانحطاط.

و يضيف غارودي: «يرى المجددون من انصار (الحداثة) ان المستقبل مرهون بتقليد اوربا و كانت الفكرة الغربية من جملة المساوئ

١٤ــ مذكراتي في العراق / من ١٩٢١ــ١٩٤١ / ساطع الحصري / ص ٦٢.

١٥ــ ما يعد به الاسلام / روجية غارودي / ص ٢٢٠.

التي استوردها هؤلاء من الغرب... وسرعان ما انتقلت الى البلدان المستعمرة تلك المنازعات والمشاحنات والحروب التي عرفتها البلدان الاوروبية المستعمرة فيما بينها.. وهكذا في امريكا اللاتينية وفي افريقيا السوداء، كما في العالم الاسلامي صارت (حدود تلك الدول القومية) ارثا يقتسمه المستعمرون فيما بينهم ولا سيما من قبل اسبانيا والبرتغال ثم من قبل هولندا وانكلترا وفرنسا فيما بعد»[١٦].

ومن جنايات القومية: محو الوعي الاسلامي عن ملايين من المسلمين وجعلهم يرضون بالسيطرة الاستكبارية و بالدكتاتورية العميلة الحاكمة، و بسيادة القوانين الغربية بدل الاسلامية في مختلف مرافق الدولة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية وغيرها.

ومن جرائم القومية: تلك الحدود المصطنعة في العالم العربي والاسلامي، ونشوء اسرائيل وتوسعها ومذابح الشعب الفلسطيني وسيادة السيطرة الاستكبارية الغربية على كل شؤون العالم الاسلامي، واحتلال مكة والمدينة من قبل امريكا والقدس من قبل اسرائيل.. وتحول القرار العربي بيد البيت الابيض.

ومن جرائم القومية: ذلك العداء الذي تشهره الحكومات القومية ضد الاسلام والمسلمين، ومنعهم لشعائر الله وابعادهم لاحكامه وملاحقة اتباع الله وتصفيتهم، ومنع الكتب الاسلامية، وفرض الالحاد الغربي بكل صوره واشكاله دون التوجه او الالتفات لآمال واهداف وعقائد عشرات الملايين من المسلمين.. يقول الله سبحانه وتعالى عن هؤلاء البعيدين عن قانونه السماوي:

«ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون»

«ومن يبتغ غيرالاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من

١٦ـ نفس المصدر السابق.

الخاسرين»

«قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم و بئس المهاد»

وقال الرسول الكريم محمد(ص) حول العنصرية والقومية ــ الذي يسميه القوميون حقدا على الاسلام الاممي (بالرسول العربي)ــ: «من كان في قلبه مثقال ذرة من الحمية بعثه الله يوم القيامة مع اعراب الجاهلية»[17]

وقال الامام علي(ع): «الله الله في كبر الحمية وفخر الجاهلية فانه ملاقح الشنآن ومنافخ الشيطان التي خدع بها الامم الماضية والقرون الخالية»[18]

وقد كذب القوميون العرب بادعائهم المحافظة على التراث واللغة العربية وحفظ الاستقلال والكرامة العربية.

فالكل يعرف ان الاستقلال فقد في العالم العربي منذ تحكم القومية بمصيره، والكرامة العربية انسحقت منذ مجيء القومية، واللغة العربية توقفت عن الانتشار في العالم بسبب القومية العنصرية.. وهذا يوضح الفرق بين حياة العالم الاسلامي العربي في ظل الاسلام و حياته في ظل القومية.. فيوم كان الشاه حاكما في طهران لو حقت اللغة العربية باعتبارها لغة القرآن وانحسرت في ايران... ولكن بعد انتصار الثورة الاسلامية في ايران فرضت اللغة العربية على المناهج المدرسية في كل المراحل الثانو ية كدرس اساس واخذت المساجد والمؤسسات الثورية بتدريس علوم القرآن وتعليم اللغة العربية. و يسهل على الزائر لايران اليوم ان يجد آلاف اللافتات في الشوارع والميادين تشير الى اماكن تدريس اللغة العربية.

١٧ــ تفسير نور الثقلين / ج ٥ / ص ٧١.

١٨ــ نهج البلاغة / الخطبة ١٩٢ / ص ٢٨٩.

وحول اللغة العربية قال آية الله الشهيد مطهري: «اننا بالنظر للضرورة الدينية نعتقد بلزوم تعليم اللغة العربية خاصة و اننا نرى ان الآداب الاستعمارية تظهر القضية بشكل لا ادري ما وراءه من لغز»

وقال ايضا: «اننا اذا شئنا الحقيقة لانملك حضارة عربية واخرى فارسية. اننا نملك حضارة اسلامية ذات وجهين وجه عربي وآخر فارسي او تركي او هندي او اردوئي».

ونحن هنا نذكّر اولئك الذين باعوا انفسهم للغرب بثمن بخس بالآيتين الكريمتين:

«يا ايها الناس اتقوا ربكم انَّ زلزلة الساعة شيء عظيم» (الحج: ١)

«ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون» (الأنبياء: ١٠٥).

(الفصل السابع)

الوحدة الاسلامية والوحدة القومية

ـ رأي القرآن والسُّنَّة في الرابطة الاسلامية والقومية.

ـ رأي الاعداء في الجامعة الاسلامية.

ـ تجاوز حبل الله.

ـ تولية غير المسلمين.

رأي القرآن والسُّنَّـةِ
في الرابطة الاسلامية والقومية

في محاولة لارجاع الاصول الى منبعها والفتاوى الى مشرّعها، وفي محـاولـة لـرؤ يـة الـعـقـائد والمبادئ والاحكام من زاو ية اسلامية... وفي سـبيـل ابعاد الافكار الالتقاطية والثقافة العلمانية، والعصبيات الجاهلية عـن المجـالات الاجـتـمـاعية والفكرية والدينية والاقتصادية و... نود ان نلقي اضواء على الرابطة الاسلامية والرابطة القومية..

ونحـن نـتـابـع تـلـك الـفـقـرات نتمنى ان تفي الكلمات والأسطر والعبارات بأغراضها واهدافها في فك الالتباس الذي تعمده البعض حول الـوحـدة الاسـلامـيـة والـوحـدة الـقومية: قال العظيم جلّ و علا في كتابه الحكيم:

«ان الدين عندالله الاسلام»

«ومـن يـبـتـغ غيرالاسـلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين»

«ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين»

من هذه الآيات نرى ان الله قد اوضح لعباده الدين الذي يجب العبادة والالتزام به، و بعدم قبول سواه.

وقال الرسول(ص): «اني مخلّف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي اهل بيتي ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي ابدا».

لذا فان الرسالة الاسلامية الشاملة التى خلفها لنا الرسول(ص) متمثلة في الكتاب السماوي والسنة النبو ية والعترة الطاهرة توضح الطريق القويم فلا زيغ ولا انحراف للمسلم المؤمن الذي يعبد الله على يقين.

وحول الوحدة الاسلامية قال العزيز الجبار في آيات عديدة يدعو فيها للاعتصام بحبل الله والتمسك به لتكون الدعوة للوحدة الاسلامية أمراً واجب الاطاعة على المسلمين وهي:

«واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا...»

«ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة ولكن ليبلوكم في ما آتاكم»

«وما كان الناس الا امة واحدة فاختلفوا»

«ان هذه امتكم امة واحدة وانا ر بكم فاعبدون»

«وان هذه امتكم امة واحدة وانا ر بكم فاتقون»

الآية الاولى جاءت بصيغة امر يطلب فيها الرحمن سبحانه وتعالى من المسلمين ان يعتصموا بحبل الله جميعاً، اي ان يلتزموا بحبل الله فلا يدعوا الى حبل القومية او الوطنية او الشيوعية.. وصيغة الامر تلك توضح وتحدد مطلب الجبار..

والآية الثانية توضح البلوى والامتحان فالله يريد ان يرى درجة ايمان عباده، ومن يبتعد عن شرعه وحدوده، مثلما نرى حاليا من احزاب قومية تنادي بوحدة طورانية اوكردية او عر بية..

والله سبحانه وتعالى يقول:

«ان حزب الله هم الغالبون»

وفي هذا المجال حذر الله اولئك الذين لايعملون ببعض الآيات قائلاً:

«أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحياة الدنيا و يوم القيامة يردون الى اشد العذاب...»

اما اليوم فماذا نرى؟ نرى الكثير ممن يدعي الاسلام (اي يؤمن بلسانه و يكفر في جنانه) يعذر نفسه و يسامحها من الاعتصام بحبل الله و يتجه نحو الرابطة القومية بلا برهان عقلي ولا حجة شرعية ولا سنة نبوية. فكشفوا واقعهم فيما ابتلاهم به الله فظهر زيفهم وعجزهم عن تطبيق آيات الله.

اذ قال احد المستشرقين الانكليز حول كيفية حرف المسلمين بضرورة تجرئهم على مخالفة آية من آيات القرآن مما سوف يؤدي الى حرفهم عن بقية الآيات.

وفعلاً انحرف القوميون بهذه الصورة: في البداية خطوة علمانية، تبعتها خطوة قومية، وثالثة اشتراكية... وهكذا!!

ان القومية تعني في ذاتها رباطاً غير اسلامي ظهرت في الحقبة الجاهلية بشكل عصبية قبلية قبرت بطلوع فجر الرسالة الاسلامية ثم عادت مقنعة من اوربا بشكل اوسع واعمق في بداية القرن العشرين.

اهداف القومية تخالف في الصميم اهداف الاسلام، اذ يدعو الاسلام بقوة و بإلحاح لخدمة البشرية ومساعدة المؤمنين وتعاونهم وازالة الحواجز العرقية واللونية وحاجز اللسان اذ قال الرسول(ص): «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» و «المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا».

وقال(ص) ايضا: «من مشى في حاجة اخيه ساعة من ليل او نهار قضاها او لم يقضها كان خيراً له من اعتكاف شهرين».

فكيف يمكن للمسلمين ان يكونوا اخوة وهم متعصبون لقومياتهم ومنتمون لاحزاب قومية عنصرية، ومراعون لقومياتهم دون غيرها... لذا نجد القرآن يحدد بوضوح العلاقة بين الشعوب والقبائل اذ يقول:

«يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عندالله اتقاكم».

فمعيار التفضيل عندالله التقوى مثلما هو ملاحظ من الآيات المذكورة اعلاه... وقال الرسول محمد(ص): «سلمان منّا أهل البيت» وهذه مكرمة جاءت سلمان لتقواه وخدمته للاسلام، فهو من اصل فارسي ومن خارج الجزيرة العربية، ولكن الاسلام لايفرق بين الناس حسب عروقهم وانسابهم والوانهم بل ينظر لاعمالهم وجهادهم واخلاقهم وتقواهم.

وفيما يخص بشرة الانسان المسلم نجد ان الرسول(ص) اختار يوم فتح مكة بلالاً الحبشي ليؤذن في المسلمين دون الأخذ بلونه الاسود واصله الحبشي مثلما كان شائعاً يومذاك في عدم الاعتماد على السود وغير العرب.

وقال ايضا: «اذا تولى عليكم عبد اجدع فأطيعوه»... وهذه قمة المساواة بين المسلمين وقمة العدالة بين ابناء البشر.

وفي مجال آخر قال فاطر السموات والارض في وصفه للمسلمين:

«كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر»

وفي آية اخرى:

«واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم، ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة

لك».

«يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة»

فالله الذي خلق الانسان من نفس واحدة لم يفرق بين هذه القومية وتلك بسبب تناقض ذلك وعدالة الله. والعدل من أصول الدين وقد قال رسول الله(ص): «كلكم لآدم وآدم من تراب، لا فضل لعربي على اعجمي الا بالتقوى».

وقال (ص) ايضا:

(لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبغ بعضكم بعضا، وكونوا عباد الله اخوانا). (المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره التقوى ها هنا و يشير الى صدره ثلاث مرات... كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه).

فيما قال الامام علي(ع): (لا يوجد شرف أعلى من الاسلام).

فلا افتخار للمسلمين بما لهم او نسبهم او قوميتهم او شيء آخر، ولا شرف اعلى من الاسلام.

بعد تلك الآيات والاحاديث النبوية واقوال العترة الطاهرة من آل البيت لم يبق هناك عذرٌ في الدعوة الى غير الوحدة والرابطة الاسلامية، وليس هناك حجة في مخالفة نصوص قرآنية صريحة واحاديث نبوية واضحة واقوال الائمة الكاشفة.. فالله سبحانه يخاطب عباده قائلا:

«وإن هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فأعبدون»

فلا توجد هناك امة مستقلة طورانية وعربية وفارسية وكردية بل توجد امة واحده الا وهي الامة الاسلامية.

وقد أنزل السميع العليم العديد من الآيات حول الجامعة الاسلامية والدعوة اليها تبعه في ذلك عبده ورسوله محمد(ص) الذي دعا لتوثيق عرى الاخوة والصداقة بين المسلمين والى تكاتفهم وتعاونهم وتضحيتهم لبعضهم البعض اذ قال رسول البشرية(ص):

(المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص)

في حين اوصى الامام علي بن ابي طالب ابنه الحسن عليهما السلام:

«... فأحبب لغيرك ماتحبُّ لنفسك، وآكره له ماتكرَهُ لها...».

ولكن ماذا كانت نتيجة الوحدة والتكاتف؟

كان من ثمار الدعوة الى تكاتف المسلمين والأخذ بمعيار التقوى ان تميز العالم الاسلامي بين الامم بالتقوى والعدل والاخلاق الرفيعة والمحبة والتسامح فسقطت حصون الروم وهزمت جيوش الاكاسرة، ووصل الاسلام الى اقاصي افريقيا وحدود الصين.

وذلك التمازج الحضاري بين القوميات المختلفة في بوتقة الاسلام هو الذي قفز بالمسلمين نحو المجد والعلى ودفع بهم الى المرتبة المتقدمة بين الامم والشعوب... فظهر العلماء والفقهاء والمفكرون من قوميات مختلفة ومن بلدان اسلامية شتى وتأسس من تلك البلدان والامصار الواسعة والمختلفة بلد ووطن اسلامي واحد، وهذا ما دفع بالثائر المجاهد جمال الدين الافغاني لان يتحرك نحو افغانستان والهند ومصر وايران وتركيا وفي اماكن اخرى يتواجد فيها المسلمون في سبيل توعيتهم وايقاظهم.

في حين ان الحركات والاتجاهات القومية تحجم المسلمين وتضعفهم لانها تشتت المليار مسلم في قوميات و اوطان لا اتصال ولا تعاون بينها، فالقومي العربي معادٍ للقومي التركي والفارسي والكردي والكل معادون لبعضهم.

اضافة الى ذلك فان المسلمين لايعطون دماءهم وجهودهم ارضاء للقومية لانها عقيدة ركيكة والدليل شعب فلسطين المشرد في البلدان العربية.

اما في الجمهورية الاسلامية في ايران حيث التضحية في سبيل الله الواحد الاحد فماذا نجد؟

نلاحظ بان الحكومة والشعب والقوميات المختلفة في البلد تتسابق للتضحية والفداء و خدمة الاسلام وقد هاجم علماء المسلمين وقادتهم القومية واتهموها، اذ قال الامام الخميني عن القومية: «من الأساليب التي يطرحها المخططون لايجاد الفرقة بين المسلمين و يقوم عملاء الاستعمار بالتبليغ لها هي (القومية) و (الوطنية) اللتان طالما رددها (العراق) طو يلا وراح يتبعها بعض الجماعات مقسمين المسلمين وجاعليهم في مواجهة بعضهم البعض الى حد العداء غافلين عن ان حب الوطن يعني حب اهل الوطن والمحافظة على الوطن وحدوده مسألة ليس فيها اختلاف... اما القومية بين الشعوب الاسلامية فهي مسألة اخرى تخالف الاسلام والقرآن الكريم. وتلك القومية التي تسبب العداوة بين المسلمين وتفرقهم عن بعضهم البعض هي مخالفة للاسلام.. وهي من مكائد الاجانب الذين يخشون الاسلام».

وقال الامام الخميني ايضا:

«الاسلام يعارض العنصرية الجاهلية والقومية القبلية اذيقول تعالى:

«يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا، ان اكرمكم عندالله اتقاكم» اي ان الغرض من اختلاف البشر الى قبائل واقوام مختلفة هو ان يتعرفوا على بعضهم البعض في الدنيا، دون ان يكون لشعب فضل على آخر أو لقبيلة ميزة على اخرى... ولا يوجد في الاسلام عنصر اسمى وارقى من الاخرين كما يعتقد اليهود، اذ يحسبون انفسهم شعب الله المختار، ويجب ان يخضع لهم العالمون. ان الاسلام يرفض رفضا قاطعا هذه الافكار الطبقية القذرة وان المعيار الذي يفضل به الاسلام بعضا على

بعض هو معيار التقوى والقرب من الله، ولا شك ان الانسان يسمو بالعلم على نظرائه ممن لا علم لهم، يقول تعالى:

«هل يستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون»

ولكن العلم وحده ايضا لايمكن ان يكون معياراً عاماً للتفاضل، فاذا اكتسب الانسان علماً جماً دون ان يتسلح بسلاح التقوى فان علمه يوجب له الخزي والذل في الدنيا قبل الاخرة (خسر الدنيا والاخرة ذلك هو الخسران المبين).

وقال عنها اية الله الشهيد مطهري:

«القومية والعنصرية فكرة تجعل الامم وجها لوجه، وهي فكرة من افكار اوربا في القرون الاخيرة، ولعلها كانت فكرة طبيعية هناك لعدم وجود مدرسة فكرية تستطيع ان تجمع الأمم الاوروبية في وحدة انسانية متسامية»[1]

علماً بأن المفكرين الشهيدين حسن البنا وسيد قطب قد أعلنا معارضتهما لها.

اما الشاعر والمفكر الباكستاني (اقبال) فقد قال عنها:

«انها نوع من الوحشية»[2]

كما هاجمها شيخ الازهر السابق الاستاذ (محمود شلتوت) اذ قال:

«لاعصبية في الاسلام»

وهاجمها ايضاً المفكر المرحوم (ابو الاعلى المودودي) حيث قال:

«انه قد سلّط على الامم الغربية شيطانان قويان يجرانها الى ما فيه الهلاك. اولهما شيطان قطع النسل والآخر شيطان القومية، فالشيطان

١ــ الاسلام و ايران / ج ١ / مرتضى المطهري.

٢ــ نفس المصدر السابق / ص ٥٣.

الاول قد سيطر على افرادها والآخر على اممها وحكوماتها... وان الاول قد قلب عقول رجالها ونسائها فجعلهم يستأصلون انسالهم بايديهم. انه يعلمهم تدابير منع الحمل ويحضهم على تعمد الاسقاط و يلقنهم فوائد عملية التعقيم التي يقضون بها على قوتهم التوليدية للابد.

فقد سلب اكابر ساستهم وقادة حربهم قوة التفكير السليم والتدبير الصحيح فهو يبعث فيهم نزعات الا ثرة والمسابقة والتنافر والتعصب والحرص والطمع و بذلك يقسمهم و يفرقهم شيعاً متعادية متحاربة ليذيق بعضهم شدة بعض». [٣]

وقال أيضاً:

«في باب السياسة يطمح الاسلام الى الحكومة الاسلامية، وهدف الغرب في ذلك هو الحكومة القومية. واتجاه الاسلام الى الدولية وقبلة الغرب هي القومية». [٤]

اما العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي فقد ذكر في كتابه (نظرية السياسة والحكم في الاسلام ــ ص ٧٣): «الحدود التي تفصل المجتمع الاسلامي عن غيره حدود عقائدية ولا يعترف الاسلام بحدود اخرى جغرافية او قومية».

رأي الاعداء في الجامعة الاسلامية

إذا أردنا معرفة مدى قوة الوحدة الاسلامية فلنسمع اقوال اعدائنا فيها،... فللغرب آراء في الوحدة الاسلامية كلها قلق ورهبة لتحفيز الاوربيين الى قمعها ومنعها من النشوء والثبات اذ يقول القس سيمون: «ان الوحدة الاسلامية تجمع آمال الشعوب الاسلامية وتساعد

٣ــ نحن والحضارة الغربية / ابوالأعلى المودودي.

٤ــ نفس المصدر السابق / ص ٣٦.

على التملص من السيطرة الاوربية، والتبشير عامل مهم في كسر شوكة هذه الحركة ومن اجل ذلك يجب ان نحول بالتبشير اتجاه المسلمين عن الوحدة الاسلامية»[٥].

و يقول المبشر لورنس براون:

«اذا اتحد المسلمون في امبراطورية عربية، امكن ان يصبحوا لعنة على العالم وخطرا، او امكن ان يصبحوا ايضا نعمة له. أما اذا بقوا متفرقين فانهم يظلون حينئذ بلا وزن ولا تأثير.. ويجب ان يبقى العرب والمسلمون متفرقين، ليبقوا بلا قوة ولا تأثير»[٦].

اما ارنولد تو ينبي المستشرق والمسؤول البريطاني الذي له باع طويل في مجال الاستعمار فقد قال:

«ان تراجع القومية مرهون بتراجع الاستعمار».

إلّا ان القومية مؤشر يدل على وجود الاستعمار فحيث توجد القومية، هناك استعمار والعكس صحيح(!)

وقال ايضا:

«ان الوحدة الاسلامية نائمة، لكن يجب ان نضع في حسابنا ان النائم قد يستيقظ»[٧].

«وفي مجال آخر فقد فرح غابرائيل هانوتو وزير خارجية فرنسا حينما انحل رباط تونس الشديد بالبلاد الاسلامية وتفلتت روابطه مع مكة ومع ماضيه الاسلامي حين فرض عليه الفرنسيون فصل السلطة الدينية عن السلطة السياسية»[٨].

٥ـــ كيف هدمت الخلافة / ص ١٩٠.

٦ـــ جذور البلاء / ص ٢٠٢.

٧ـــ الاسلام والغرب والمستقبل / تو ينبي.

٨ـــ هانوتو / ص ٢١.

ان اقوال الصليبيين واعداء الاسلام في الجامعة الاسلامية واتحاد المسلمين تكشف نوايا العملاء الحاكمين في البلدان الاسلامية المتواطئين مع هؤلاء المستعمرين على منع الوحدة الاسلامية.

فالاوروبيون المستعمرون مثل (هانوتو) واللورد كرومر هاجموا الجامعة الاسلامية.

وفي سنة ١٩٠٧ عقد مؤتمر اوروبي كبير ضم اضخم نخبة من المفكرين والسياسيين الاوربيين برئاسة وزير خارجية بريطانيا الذي قال في خطاب الافتتاح: «ان الحضارة الاوربية مهددة بالانحلال والفناء، والواجب يقضي علينا ان نبحث في هذا المؤتمر عن وسيلة فعالة تحول دون انهيار حضارتنا.

واستمر المؤتمر شهراً من الدراسة والنقاش.

واستعرض المؤتمرون الاخطار الخارجية التي يمكن ان تقضي على الحضارة الغربية الآفلة، فوجدوا ان المسلمين هم اعظم خطر يهدد اوربة.

فقرر المؤتمرون وضع خطة تقضي ببذل جهودهم كلها لمنع ايجاد اي اتحاد او اتفاق بين دول الشرق الاوسط، لان الشرق الاوسط المسلم المتحد يشكل الخطر الوحيد على مستقبل اوربة.

وأخيرا قرروا انشاء قومية غريبة معادية للعرب والمسلمين شرقي قناة السويس، ليبقى العرب متفرقين.

وبذا أرست بريطانيا أسس التعاون والتحالف مع الصهيونية العالمية التي كانت تدعو الى انشاء دولة يهودية في فلسطين». [٩]

وحول العرب ومركزهم في الاسلام، يعتقد الغربيون ان العرب هم مفتاح الامة الاسلامية قال (مورو بيرجر) في كتابه (العالم العربي):

٩ــ المؤامرة و معركة المصير/ ص ٢٥.

«لقد ثبت تاريخياً ان قوة العرب تعني قوة الاسلام فليدمروا العرب ليدمروا بتدميرهم الاسلام».

تجاوز حبل الله

قال الله سبحانه وتعالى:

«واتقوا الله واعلموا انكم ملاقوه و بشّر المؤمنين»

«قد افلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون»

«انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله...»

«ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون»

نلاحظ في الآيات اعلاه ان الله يخص بشراه بالصالحين الذين يؤمنون بآياته ولايحصر بشراه بهذه القومية او تلك، ذلك ان المؤمنين جميعاً من احباب واتباع الله. أما ابناء القومية الواحدة ففيهم المؤمن وفيهم المتعصب وفيهم المجاهد وفيهم الفاسد. فقد كان ابوذر الغفاري عربياً وكان ابولهب عربياً ايضا، وكان الصحابي سلمان فارسياً ورستم فارسياً ايضا... لاحظ الفرق(!)

لذانجد ان الله سبحانه وتعالى يخص البشرى بالمؤمنين فقط فيقول:

«قد افلح المؤمنون»

و يؤملهم بوراثة الارض بقوله: «ان الارض يرثها عبادي الصالحون»، فاذا كانت الخلافة والوراثة للمؤمنين وحدهم دون النظر الى قومياتهم ولغاتهم فلماذا الجري مع رهط القوميين ومع كل مَن هب ودب؟

ان الجري يجب ان يكون مع المؤمنين الذين يتمتعون بنصرالله

وبشراه والذين هم ورثة الارض وسادة الامم... دون النظر الى حالتهم الضعيفة المزرية فالله يقول في كتابه:

«ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين»

«ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين»

فالمؤمنون وحدهم هم الاعلون وهم الأعزة المكرمون اما المنافقون فهم الأرذلون حيث قال القرآن في حقهم:

«ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم»

«ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لايعلمون»

ولسان حال القوميين يقول: «اننا نعتقد بالاسلام عدا عقائده والدعوة للوحدة الاسلامية واتخاذ معيار التقوى وعدم تولية الكافرين... فقط». (!)

جاء عفلق الصليبي اليوناني الاصل بتهجماته على الاسلام ومنيف الرزاز بتنكره لوراثة الارض من قبل المسلمين. ومثل اولئك كان اليساريون من امثال منظمة مجاهدي خلق الايرانية الذين يقولون: «نحن نؤمن بكل ماجاء في الكتاب عدا الاحكام المتعلقة بالاقتصاد والميراث والملكية والامور الغيبية كالمعاد، وتحليل التاريخ اذ يحلل ماديا... فقط»(!)

فالقوميون انحرفوا عن الاسلام وخطوا خطوة تراجعية من خلال الرابطة التي يجب ان تربط افراد الامة... تبعتها خطوة نحو فصل الدين عن السياسة وثالثة نحو الليبرالية وهكذا انحرفوا نحو الهاوية...! وكذلك اليساريون: اذ تراجعوا عن الاسلام من زاوية الاقتصاد آخذين بالاقتصاد الماركسي ولما كان الاقتصاد اس الاساس في الماركسية عليه انخرطوا في الشيوعية!

قال كتاب (كيف نحطم الاسلام) الصادر عن وزارة المستعمرات البريطانية في وصاياه لتحطيم الاسلام:

«لزوم احياء النعرات القومية والاقليمية واللغوية واللونية وغير ذلك بين المسلمين، وضرورة اشاعة الخمر والربا»*.

و «ان نشر الربا بكل صوره بالاضافة الى كونه هدماً للاقتصاد الوطني يوجب تجرؤ المسلمين على خرق قوانين القرآن، ومن خرق قانونا سهل عليه خرق سائر القوانين» !!!

لاحظ كيف يدعو الاستعمار لاحياء النعرات القومية وكيف يخطط لابعاد المسلمين عن دينهم.

وقال الكتاب في باب آخر: «يجب ان يمنع منعاً باتاً التبشير بالاسلام والهداية به. واشاعة ان الاسلام دين قومي لذا قال القرآن: «وانه لذكر لك ولقومك» وذلك لابعاد القوميات غير العربية مثل الفارسية والتركية وغيرها عن الاسلام.

وطبقا للادعاء الاوربي الاخير نجد كثيرا من القوميين يحاولون تحريف معنى الآيات في محاولة لجعلها ذات مدلول قومي.

في حين ان الاسلام لايشجع نشوء القومية فان خصائصه الأممية من شأنها ان تخفف من حدة الفلسفة العرقية والاختلافات الحضارية». [١٠]

فالاسلام دين أممي جاء لخير البشرية وصلاحها، يرفض الاقليمية والوطنية والقومية، فالقومية ليست رابطة بين ابناء البشر وكذلك الوطنية اذ لايمكن للارض ان تكون رابطة بينهم. والدليل هم موارنة لبنان الذين عاشوا على ارض واحدة مع المسلمين سنوات طوالاً، ولكن نجد اليوم انهم يتعاونون مع الصهاينة والامريكان ضد ابناء وطنهم.

يقول المستشرق الانجليزي (جب) في هذا المجال:

---

* «الاسلام ودسائس الاستعمار/ عبدالامير الارشدى/ص٨٨».

١٠ــ *H. Dodwell, "The Founder of Modern Egypt", PP. 127 - 128.*

«وقد يكون من الغريب الى حد ما ان نقول: (ان الوسيلة التى وطّدت سلطان الطبقات المستغربة وأيدت دعائمه هي «القومية»).

ان القومية هي ذاتها فكرة غريبة، وقد لزم على اتباعها ان يخلقوا غاياتهم و يبلغوا اهدافهم وقد نالوا بالفعل هذا التأييد، فذهب بهم الظن عندئذ الى جواز تنظيم اوضاع بلادهم على منوال تنظيم الدول والامم (الاوربية).

ولكن القومية اخذت تفقد روحها الغربية كلما قطعت اشواطاً جديدة في مضمار اجتذاب الجماهير لتأييدها».[11]

ان الوحدة الاسلامية تعني انه يجب اتحاد كل المسلمين من (جاكارتا الى طنجة) في وحدة اسلامية تقوم دعائمها على العقيدة والاحكام الاسلامية وان يكون معيار الدولة الاسلامية في انتخاب الاشخاص هو التقوى لا القومية واللون واللسان وان تطبق آيات القرآن واحاديث الرسول(ص) في هذا المجال.

وطبقا لتلك الاسس يمكن اتحاد سوريا مع مصر، او العراق مع تركيا، او ليبيا مع السودان ضمن وحدة تدعى بالوحدة الاسلامية لا تراعي العرق ولا اللون بل تلتفت الى التقوى والايمان عند الفرد في سبيل دفع المسلمين نحو الاخلاق الاسلامية السامية على طريق الحضارة الاسلامية والجامعة الاسلامية الشاملة.... وحول مكانة القومية قال الرسول محمد(ص): «ليس منا من دعا الى عصبية، وليس منا من قاتل على عصبية، وليس منا من مات على عصبية». (سنن ابي داود).

وقال ايضا: «من نصر قومه على غير الحق فهو كالبعير الذي ردي فهو ينزع بذنبه». (سنن ابي داود).

وقال في الدعوة للوحدة «لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا

١١ـ الاسلام في الواقع الايديولوجي المعاصر / د. محمد البهي.

يبغ بعضكم على بعض وكونوا عبادالله اخوانا، المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره». (سنن ابي داود).

اما فيما يخص اللغة العربية والتي هي لغة القرآن الكريم ولغة الصلاة ولغة اهل الجنة فليعلم المسلمون ان ساطعاً الحصري وامثاله ومبادئهم القومية واعتبارهم اللغة «اس الاساس» في القومية ليسوا اقل خطرا من اتاتورك المعادي للاسلام والمسلمين.

ان اللغة العربية انتشرت بالاسلام فوصلت الفليبين، وجاوة، وجنوب افريقيا، واسبانيا، وجزيرة كريت وواصلت انتشارها الى اليوم الذي نشأت فيه الحركة القومية... فمنذ ذلك اليوم وتلك اللغة في انحسار اذ انحسرت من فلسطين وتركيا وشمال افريقيا واماكن اخرى وطأها الاستعمار.

ان اللغة العربية التي تكلمها سكان الاندلس وعرفها اهل مرو وسمرقند واتقنها مسلمو كشمير ما انتشرت الا بالاسلام والقرآن.

ان اعتبار القوميين اللغة العربية لغة قومية يراد به انكار فضل القرآن والاسلام على اللغة العربية ومحاولة لحصر اللغة في رقعة محدودة وفي قومية معينة. فالقوميون يحاولون حصر اللغة العربية في حين يسعى المسلمون لنشرها بين اهل الارض.

اذ حاول الافغاني اقناع عبدالحميد باستبدال التركية بالعربية وقال: «اذا فعل هذا فان الامبراطورية العمثانية كدولة اسلامية، والسلطان كخليفة للمسلمين، يزدادون قوة و منعة ونفوذا في العالم العربي والاسلامي وكان الافغاني يعتقد ان الاتراك يقترفون خطأ مميتا اذا ما حاولوا تتريك العرب»[١٢].

فليعترف القوميون بمن هو احق باللغة العربية هم ام اولئك

١٢ــ خاطرات جمال الدين الافغاني / م المخزومي ص ٢٣٦ــ٢٣٧.

الذين نشروها في الشرق والغرب وحافظوا عليها في دستورهم السماوي ومازالوا يجهدون لايصالها الى اركان الارض الاربعة، و يعبدون الله و يرتلون كتابه بها و يدعونه بحروفها.

و بعد مرور اكثر من ثمانية عقود على دخول القومية الى العالم الاسلامي نجد فشل القومية الطورانية في جمع طورانيي الصين وتركيا، وفشل القومية الفارسية في جمع فرس أفغانستان، والاتحاد السوفيتي وايران، وفشل القومية الكردية في لم شمل اكراد العراق وتركيا و ايران... اضافة الى فشل القومية العربية في جمع شمل العرب في البلدان العربية...

ان فشل كل تلك القوميات طيلة العقود الماضية في تحقيق الوحدة تحت لواء القومية لهو اعظم دليل على عدم صلاحية القومية لبلدانا الاسلامية.

وتجارب القومية تلك اثبتت ان اللغة والتاريخ والعرق والارض هي اضعف من ان تتمكن من لم شمل امة اسلامية هدفها الاسلام.

اما الوحدة الاسلامية التى تستند الى الدين القويم والعقيدة الاسلامية فقد اثبتت سنوات الحضارة الاسلامية مدى متانة وعظمة تلك العقيدة الصلدة اذ ازدهرت الوحدة الاسلامية طيلة ثلاثة عشر قرنا استمرت من فجر الرسالة الاسلامية والى سقوط الامبراطورية العثمانية.

و بعد انتصار الثورة الاسلامية في ايران اصبحت عودة الجامعة والوحدة الاسلامية أمل كل مسلم لتعود الرايات المحمدية تنشر ظلالها فوق الربوع الاسلامية.

تولية غير المسلمين

هناك آيات كثيرة في القرآن الكريم تدعوا الى عدم تولية الكافرين والمنافقين واليهود والنصارى على رقاب المسلمين، اذ تقول:

«لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين»
«يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء»
فالآيات القرآنية تتعارض مع الاتجاه القومي الذي يرمي الى تولية الشخص وفق قوميته دون النظر الى دينه... حيث ترأس النصارى الحركات القومية في بداية هذا القرن من أمثال عازوري واسكندرعمون، وفي هذا الوقت ترأس ميشيل عفلق حكم سوريا في بداية الستينات والعراق في الحقبة الحالية إضافة الى شبلي العيسمي والياس فرح وطارق يوحَنّا عزيز.
اذن من نولي على رقاب المسلمين؟
يقول الله سبحانه وتعالى:
«والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض»
فالتولية للمؤمنين فقط وليس لغيرهم من الكافرين والمفسدين والعملاء والمستبدين.
«افحكم الجاهلية يبغون ومن احسن من الله حكماً لقوم يوقنون»

(الفصل الثامن)

الصحوة الاسلامية والعقدة الغربية

ــ اعداء الاسلام.
ــ الحضارة الاسلامية.
ــ بغض العقائد الغربية للشريعة الاسلامية.
ــ الحركة القومية انجبت (قادسية صدام)

اعداء الاسلام

ما ان نزلت الرسالة الاسلامية السماوية في ارض الجزيرة العربية امانة في عنق الرسول(ص) والمسلمين شاملة للعقائد والاحكام والانظمة والقيم والعبادات حتى كانت أرضية واركان الحضارة والدولة والنظام الاسلامي قد ظهرت في الافق، وتباشير الحل النموذجي، والديانة الختامية قد برزت للوجود.

ومع قدوم الرسالة المحمدية زالت العادات والتقاليد البالية والعبادات الوثنية وانتهت العصبيات القبلية والاهواء والرغبات والحياة الجاهلية وألغيت الاحكام التعسفية الظالمة.. وتمكن الاسلام من توحيد وجمع المسلمين تحت راية (لا اله الا الله، محمد رسول الله) وزرع المحبة وحب الخير والنصيحة في قلوبهم فظهرت الوحدة الاسلامية:

قال الرسول (ص): «ايها الناس ان ربكم واحد و ان اباكم واحد، كلكم لآدم وآدم من تراب ان اكرمكم عندالله اتقاكم. ليس

لعربي على عجمي، ولا لاعجمي على عربي، ولالاحمر على ابيض، ولا لابيض على احمر، فضل الا بالتقوى». فقد طلب الرسول(ص) من بلال ان يؤذن في المسلمين بعد فتح مكة، وولى الرسول(ص) «مهران» الفارسي ولاية اليمن. وغضب رسول الله(ص) اذ اهان صحابي من صحابته عبداً اسود زنجياً فعيّره بأمه وقال له: يا ابن السوداء، ورؤي الغضب في وجهه، وقال: طف الصاع... طف الصاع ليس لابن البيضاء على ابن السوداء، فضل الا بتقوى الله او بعمل صالح.

وبهذه الوحدة ومبدأ نصرة المسلمين تآلف المهاجرون والانصار في المدينة المنورة كما القى الاسلام في قلوب المؤمنين التقوى والصلاح والعدل. ومع وعد المرسل بنصرة المسلمين بالرسول والرسالة واكمال مكارم اخلاقهم... وتنظيم حياتهم وامورهم وتعاملهم وعملهم... ظهرت بشارات النصر، والعدل، والحق، والايمان، والتقوى في كل مكان.

وبوجود القيادة الرشيدة، والرسالة الحميدة، والفئة المؤمنة تمكنت الديانة الجديدة من بسط نفوذها في ارجاء الجزيرة العربية «كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله».

واستناداً الى مبدأ الجهاد في سبيل الله ونشر الاسلام، تحركت جحافل المسلمين صوب الدولتين الاعظم والاكبر الرومية والفارسية اللتين كانتا تسيطران على مساحات واسعة من الاراضي وتذيقان الامم شتى انواع الجور والتعسف، ورغم الفارق الكبير في العدة، والعدد، والمال، والنفوذ، والخبرة الحربية بين الامبراطوريتين المذكورتين من جهة وبين ابناء الديانة الاسلامية الجديدة من جهة ثانية... نجد ان العملاق الغربي (جيش الروم) قد هلك وانهزم في اول حرب له مع المسلمين في معركة (اليرموك) (١٣ هـ ٦٣٥ م) وهذه المعركة مهدت لفتح القدس في عام ١٤ هـ ٦٣٦م كم من فئة قليلة غلبت فئة كبيرة لها باع طويل في مجال الحرب والغزو والاحتلال. ولم تكد تمضي سنة على الانتصار على

الامبراطورية البيزنطية حتى توجه المسلمون نحو الشرق حيث الامبراطورية الفارسية...

وقد اخذ الذهول من العالم مأخذاً عظيماً حول مدى قدرة وتصميم وقوة اصحاب الديانة الاسلامية.

و بين ذهول أباطرة الروم واستهزاء اكاسرة الفرس وقادتهم جاءت معركة (القادسية) الشهيرة في (١٣ هـ ٦٣٥ م) التي قُتل فيها (رستم) وفتحت المدائن عاصمة الفرس.

وفي خضم تلك الانتصارات وتزايد قوة المسلمين وعمق ايمانهم جاءت معركة (نهاوند) في (٢١ هـ ٦٤٣ م) لتهزم فيها كسرى نهائياً ولتنهي اعظم امبراطورية في الشرق.

و يومها كان الروم والفرس ينظرون الى المسلمين من زاو ية العدة والعدد في حين كانت قوة المسلمين الرئيسة تتمثل في العقيدة والتطلع والرغبة في الجهاد والشهادة.

وتوالت انتصارات المسلمين... اذ فتح المسلمون جزيرة صقلية عام (٢١٧هـ) و استولوا على جنوب ايطاليا و بلغوا ضواحي روما.

و بينما امتدت فتوحاتهم في الشرق حتى وصلت الى جدار الصين العظيم وطئت اقدامهم في الغرب سواحل المحيط الاطلسي.

وفي القرن الثاني عشر الميلادي اندلعت الحرب مرة أخرى حول القدس بين المسلمين والمسيحيين.. اذ تكالبت معظم دول اور با ضد المسلمين في سبيل دحرهم واسترداد القدس.

وجاء الشاهد الثاني على قوة الاسلام والمسلمين ـــ رغم الظروف الخطيرة التي كانوا يعيشونها نتيجة التهديد بالاجتياح التتري للبلدان الاسلامية الشرقية ـــ اذ انهزم الصليبيون في معركة (حطين) عام (٥٣٨هـــ ١١٨٧ م) و تحررت (القدس) ثانية بعد احتلال دام (٩١) عاما... وحدث للاورو بيين في معركة حطين ماحدث لهم في معركة

(اليرموك) اذ جرّ الاوروبيون اذيال الخيبة والعار وهم ينسحبون من المعركة التي انكسروا فيها انكسارا مذلاً اجبرهم على عدم التحرش بفلسطين مدة اكثر من سبعة قرون اي الى بداية القرن العشرين.

ولم تقتصر الهزيمة الاوربية على فلسطين بل انكسرت اوربا في حرب الاندلس التي حررها المسلمون ووقفوا يهددون حدود فرنسا.

وفي ظل استمرار التوجه الاسلامي والوحدة الاسلامية والرجوع الى القرآن والسنة ـ ولوفي شيء يسير ـ استمرت انتصارات المسلمين وهزائم الصليبيين. في سنة ١٤٥٣م قفزت خيول المسلمين نحو (القسطنطينية) لتفتحها، وتضمها الى المدن الاسلامية تحت اسم (اسلام بول) وبهذا النصر فتحت اوربا ابوابها الجنوبية للمسلمين الذين واصلوا الزحف والتقدم محررين البلدان التي تدعى اليوم باليونان، وبلغاريا، و رومانيا، والبانيا، و يوغسلافيا.. وحاصرت «فينا» عاصمة النمسا سنة ١٦٨٣ رغم انها تقع في قلب اوربا.

هكذا كان المسلمون يوم كانوا يحاربون لوجه الله، وفي سبيل الاسلام، ايام كانت قلوبهم مشربة بحب الايمان والشهادة.

وبعد فتح القدس في هذا القرن على يد اللنبي نشرت الصحف الانجليزية صور اللنبي وكتبت تحتها عبارته المشهورة التي قالها عندما فتح القدس:

(اليوم انتهت الحروب الصليبية)

كما قال راندولف تشرشل: «لقد كان اخراج القدس من سيطرة الاسلام حلم المسيحيين واليهود على السواء، ان سرور المسيحيين لايقل عن سرور اليهود. ان القدس قد خرجت من أيدي المسلمين، وقد اصدر الكنيست اليهودي ثلاثة قرارات بضمها الى القدس اليهودية ولن

تعود الى المسلمين في أية مفاوضات مقبلة ما بين المسلمين واليهود». [1]

ومن الاقوال المهمة ما قاله لورنس براون الذي قال: «كان قادتنا يخوفوننا بالخطر اليهودي، والخطر الياباني الاصفر، والخطر البلشفي لكنه تبين لنا ان اليهود هم اصدقاؤنا والبلاشفة الشيوعيون حلفاؤنا، أما اليابانيون، فان هناك دولا ديمقراطية كبيرة تتكفل بمقاومتهم... لكننا وجدنا ان الخطر الحقيقي علينا موجود في الاسلام، وفي قدرته على التوسع والاخضاع وفي حيويته المدهشة». [2]

الملاحظ من سير اقوال الوزراء الاوربيين أنها مشابهة لاقوال المستشرقين في الخوف من الاسلام وضرورة تحطيمه والقضاء عليه.

يقول غلادستون:

«ما دام هذا القرآن موجوداً في ايدي المسلمين، فلن تستطيع اوربا السيطرة على الشرق، ولا ان تكون هي نفسها في أمان». [3]

و يقول غاردنر: «ان القوة التي تكمن في الاسلام هي التي تخيف اوربا». [4]

ولما تأكد للغرب بأن الدولة العثمانية الاسلامية والخلافة الاسلامية فيها ــ رغم شكليتها ــ هما الخطر؛ اجتازت القوات الانكليزية والايطالية واليونانية الاراضي التركية واشترطت انها لن تنسحب منها الا بعد تنفيذ الشروط التالية:

١ــ الغاء الخلافة الاسلامية وطرد الخليفة من تركيا ومصادرة امواله.

٢ــ ان تتعهد تركيا باخماد كل حركة يقوم بها انصار الخلافة.

---

١ ــ راندولف تشرشل/ حرب الايام الستة/ الترجمة العربية/١٣٩.

٢ ــ التبشير والاستعمار/ الخالدي وفروخ/١٤٨.

٣ ــ قادة الغرب يقولون: دمروا الاسلام ابيدوا أهله/ جلال العالم/١٦٨.

٤ ــ التبشير والاستعمار/ الخالدي وفروخ/ طبعة رابعة/٣٦.

٣ــ ان تقطع تركيا صلتها بالاسلام.

٤ــ ان تختار لها دستوراً مدنياً بدلاً من دستورها المستمد من احكام الاسلام». [٥]

وقال يومها كرزون وزير خارجية بريطانيا في مجلس العموم لمعارضي معاهدة لوزان: «لقد قضينا على تركيا التي لن تقوم لها قائمة بعد اليوم... لاننا قضينا على قوتها المتمثلة في أمرين: الاسلام والخلافة.

فصفق النواب الانكليز كلهم، وسكتت المعارضة». [٦]

ومن الاقوال الاخرى حول قوة الاسلام. قال المستشرق البريطاني مونتجومري وات في جريدة التايمز اللندنية، في آذار من عام ١٩٦٨م:

«اذا وجد القائد المناسب الذي يتكلم الكلام المناسب عن الاسلام، فأن من الممكن لهذا الدين ان يظهر كاحدى القوى السياسية العظمى في العالم مرة اخرى». [٧]

وقال جب: «ان الحركات الاسلامية تتطور عادة بصورة مذهلة، تدعو الى الدهشة فهي تنفجر انفجارا مفاجئا فبل ان يتبين المراقبون من أماراتها ما يدعوهم الى الاسترابة في أمرها. فالحركات الاسلامية لاينقصها الا وجود الزعامة». [٨]

أما المؤتمر المهم الذين عقد لدراسة الاخطار المحدقة بالغرب فهو المؤتمر الذي عقد سنة ١٩٠٧ للدول الاوربية وضم اضخم نخبة من المفكرين والسياسيين الاوربيين برئاسة وزير خارجيًة بريطانيا الذي قال في خطاب الافتتاح:

---

٥ ــ الارض والشعب/٤٦/ المجلد الاول.

٦ ــ كيف هدمت الخلافة/١٩٠.

٧ ــ الحلول المستوردة/ يوسف القرضاوي/١١.

٨ ــ الاتجاهات الحديثة في الاسلام/٣٦٥.

«ان الحضارة الاوربية مهددة بالانحلال والفناء والواجب يقضي علينا ان نبحث في هذا المؤتمر عن وسيلة فعالة تحول دون انهيار حضارتنا. واستمر المؤتمر شهرا من الدراسة والنقاش.

واستعرض المؤتمرون الاخطار الخارجية التي يمكن ان تقضي على الحضارة الغربية الآفلة، فوجدوا ان المسلمين هم اعظم خطر يهدد أوربا فقرر المؤتمرون وضع خطة تقضي ببذل جهودهم كلها لمنع ايجاد اي اتحاد او اتفاق بين دول الشرق الاوسط لان الشرق الاوسط المسلم المتحد يشكل الخطر الوحيد على مستقبل اوربا».

ويضيف:

«واخيرا قرروا انشاء قومية غريبة معادية للعرب والمسلمين شرقي قناة السويس، لتبقي العرب متفرقين».[٩]

وبذا ارست بريطانيا اسس التعاون والتحالف مع الصهيونية العالمية التي كانت تدعو الى انشاء دولة يهودية في فلسطين.

واستمراراً للدور الاستعماري في محاربة الاسلام فقد شاركت امريكا ايضا في التحالف ضد المسلمين باعتبارها جزءاً من بلاد الشيطان.

قال المستشرق و. ك . سميث الامريكي، والخبير بشؤون الباكستان: «اذا اعطي المسلمون الحرية في العالم الاسلامي وعاشوا في ظل انظمة ديمقراطية، فان الاسلام ينتصر في هذه البلاد، وبالديكتاتوريات وحدها يمكن الحيلولة بين الشعوب الاسلامية ودينها»*.

وينصح رئيس مجلة تايم في كتابه (سفر اسيا) الحكومة

---

٩ ــ المؤامرة ومعركة المصير/٢٥.

* قادة الغرب يقولون: «دمّرو الاسلام، أبيدوا أهله». جلال العالم/ ص٨٠.

الامريكية ان تنشئ في البلاد الاسلامية ديكتاتوريات عسكرية للحيلولة دون دعوة الاسلام للسيطرة على الامة الاسلامية، و بالتالى الانتصار على الغرب وحضارته واستعماره». [10]

و اذا نظرنا حاليا الى دول الباكستان وتركيا والعراق ومصر والسودان و بقية الدول الاخرى لرأينا بأن الدكتاتوريات العسكرية العميلة للغرب هي الحاكمة... امتداداً لدكتاتورية اتاتورك في تركيا و رضا بهلوي في ايران.

قال ايوجين رستو رئيس قسم التخطيط في وزارة الخارجية الامريكية ومستشار الرئيس جونسون لشؤون الشرق الاوسط حتى عام ١٩٦٧: «يجب ان ندرك ان الخلافات القائمة بيننا و بين الشعوب العربية ليست خلافات بين دول او شعوب، بل هي خلافات بين الحضارة الاسلامية والحضارة المسيحية. لقد كان الصراع محتوما ما بين المسيحية والاسلام منذ القرون الوسطى وهو مستمر حتى هذه اللحظة بصور مختلفة. ومنذ قرن ونصف خضع الاسلام لسيطرة الغرب وخضع التراث الاسلامي للتراث المسيحي».

و يتابع:

«ان الظروف التاريخية تؤكد ان امريكا انما هي جزء مكمل للعالم الغربي في فلسفته وعقيدته ونظامه وذلك يجعلها تقف معادية للعالم الشرقي الاسلامي بفلسفته وعقيدته المتمثلة بالدين الاسلامي، ولا تستطيع امريكا الا ان تقف هذا الموقف في الصف المعادي للاسلام والى جانب العالم الغربي والدولة الصهيونية» [11].

ان الفرق الهائل والكبير بين الديانتين المسيحية والاسلامية جاء

---

١٠ ــ قادة الغرب يقولون: دمروا الاسلام أبيدوا أهله/ جلال العالم/٨٠.

١١ ــ نفس المصدر السابق/ص٣٢.

من حيث كون الثانية متكاملة من جهة نظامها الاقتصادي والاجتماعي والسياسي ودعوتها لانشاء حكومة عدل الهي و كون الاولى خالية من تلك الانظمة والاحكام.

فرغم ذكر الله سبحانه وتعالى في كتابه الختامي القرآن: «ان الدين عند الله الاسلام»، امتنع اغلب المسيحيين وقادتهم عن الانضمام الى الديانة الجديدة وراحوا يحوكون لها الدسائس والمؤامرات علّها تقف حاجزا امام المد الاسلامي الهادر.

قال احد المبشرين: «ان القوة الكامنة في الاسلام هي التي وقفت سدا منيعا في وجه انتشار المسيحية، وهي التي اخضعت البلاد التي كانت خاضعة للنصرانية». [١٢]

وقال (اشيعيا بومان) في مقالة نشرها في مجلة العالم الاسلامي التبشيرية:

«لم يتفق قط ان شعباً مسيحياً دخل في الاسلام ثم عاد نصرانياً». [١٢] و يذكر بأن الحقد الذي يكنه رجال الكنيسة للاسلام كان له دور كبير و في عداء اوربا والغرب للاسلام والمسلمين.

وقال القس سيمون: «ان الوحدة الاسلامية تجمع آمال الشعوب الاسلامية وتساعد على التملص من السيطرة الاوربية، والتبشير عامل مهم في كسر شوكة هذه الحركة. من أجل ذلك يجب ان نحول بالتبشير اتجاه المسلمين عن الوحدة الاسلامية.» [١٤]

وقال المبشر لورانس براون: «اذا اتحد المسلمون في امبراطورية عربية، أمكن ان يصبحوا لعنة على العالم وخطرا، او امكن ان يصبحوا

---

١٢ ــ جذور البلاء/٢٠١.

١٣ ــ التبشير والاستعمار/ الخالدي وفروخ/١٣١.

١٤ ــ كيف هدمت الخلافة/١٩٠.

نعمة له. اما إذا بقوا متفرقين، فانهم يظلون حينئذ بلا وزن ولا تأثير». [١٥]

وقال المبشر تكلي: «يجب ان نشجع انشاء المدارس على النمط الغربي العلماني، لان كثيرا من المسلمين قد تزعزع اعتقادهم بالاسلام والقرآن حينما درسوا الكتب المدرسية الغربية وتعلموا اللغات الاجنبية»*.

ومن جملة الحقد الصليبي على الاسلام تصريح الكاردينال بور، كاردينال برلين لمجلة تابلت الانكليزية الكاثوليكية يوم سقوط القدس عام ١٩٦٧م بعد ان رعى صلاة المسيحيين مع اليهود في كنيس يهودي لاول مرة في تاريخ المسيحية قال: «ان المسيحيين لابد لهم من التعاون مع اليهود للقضاء على الاسلام وتخليص الارض المقدسة». [١٦]

اما اتباع ماركس فلهم نظرة معادية للاسلام تبعاً لقول ماركس الذي قال: (الدين افيون الشعوب).

والعداء الشرقي للاسلام جاء مشابها للعداء الغربي.. اذ كان الاثنان يحاولان السيطرة على خيرات المسلمين خاصة مع وجود اكثر من ستين مليون مسلم في الاتحاد السوفيتي وحدودها الطويلة مع بلاد المسلمين.

في افتتاحية عدد ٢٢/ايار/ عام ١٩٥٢م من جريدة «كيزيل اوزبخستان» الجريدة اليومية للحزب الشيوعي الاوزبخستاني ذكر المحرر مايلي: «من المستحيل تثبيت الشيوعية قبل سحق الاسلام نهائيا» [١٧] !!!

وقال لينين: «الماركسية هي المادية وهي من ثم معادية

---

* التبشير والاستعمار/ الخالدي وفروخ/ ٨.

١٥ ــ جذور البلاء/٢٠٢.

١٦ ــ قادة الغرب يقولون: دمروا الاسلام ابيدوا أهله/ جلال العالم/٦٢.

١٧ ــ الاسلام والتنمية الاقتصادية/ جاك اوستري/٥٦.

للدين».

وقال ايضا في رسالة له الى الكاتب السوفيتي مكسيم غوركي: «ان البحث عن الله لافائدة منه. ومن العبث البحث عن شيء غير موجود و بدون ان نزرع لانستطيع ان نحصد وليس لك اله لانك لم تخلقه بعد والآلهة لا يبحث عنها و انما تخلق»[١٨]

وكما كانت تفعل المؤتمرات الغربية اصدر المؤتمر السادس للدول الشيوعية عام ١٩٢٧ مايلي: الحرب ضد الدين تشغل مكانا هاما بين اعمال الثورة الثقافية و يلزم ان تستمر هذه الحرب بأصرار و بصورة منظمة».

في حين اصدرت الاكاديمية العلمية عام ١٩٥٠م في موسكو كتاباً اسمه (الدين والالحاد) جاء فيه: «الدين هو دوما افيون للشعوب ومولد الجمود وارث خرافات انسانية منحطة».

و بسبب ذلك الحقد ضد الاسلام نصح المستشرقون والمبشرون والمبعوثون مدراءهم و وزراءهم ومسؤوليهم حول ضرورة دس الافكار العلمانية والقومية في اذهان المسلمين ومسخ المبادئ الاسلامية وتقسيم العالم الاسلامي الى دويلات صغيرة وانشاء اسرائيل في قلب و مركز المسلمين وتشكيل انظمة دكتاتورية عسكرية.. ونلاحظ اليوم ان كل الدسائس والمؤامرات التي ارادتها اوربا وامريكا قد اثمرت الى حد ما في العالم الاسلامي من تقسيم وانتشار افكار علمانية وقومية وابعاد للمبادئ الاسلامية وايجاد اسرائيل والمجيء بالانظمة الدكتاتورية ولكن الشيء الذي لم يدم هو استمرار غفلة المسلمين ونومهم... اذ انتصرت الثورة الاسلامية في ايران ضد اعتى واطغى نظام دكتاتوري فاسد رهيب وظالم وانشاء حكومة اسلامية وانتهاج سياسة لاشرقية لا غربية ودعوة المسلمين

---

١٨ ـ النظام الشيوعي/٥٣.

للثورة والوحدة الاسلامية والعودة للاسلام.

لكن يجب ان لاننسى ونحن في هذا الظرف ما تكنّه دول كالاتحاد السوفيتي وامريكا وفرنسا وبريطانيا وغيرها من حقد وكراهية للنظام الاسلامي وللاسلام بصورة عامة.

الحضارة الاسلامية

الحضارة الاسلامية ازدهرت ازدهاراً كبيراً وعظيما لقرون عديدة وقد ظهرت في شتى صنوف العلوم والفنون والاقتصاد والادارة والجيش والزراعة فكان جابربن حيان الكوفي في الكيمياء والخوارزمي في الرياضيات، وابن سينا في الطب والفلسفة، وابن الهيثم في البصريات والتجربة والملاحظة، وتمكن المسلمون ايضا من اكتشاف الدورة الدموية ــ اذ اكتشفها ابن النفيس ــ واكتشاف البارود، وكروية الارض، والميكروب...، وفي الصناعة تمكنوا من صناعة الزجاج والورق والبوصلة البحرية والبندول.

كما اعطوا اهتماماً كبيراً للفلك والمثلثات وآلات الحرب، والدفاع والبناء، والآداب، وغيرها من العلوم. حيث بلغت الحضارة الاسلامية مرتبة سبقت بها كل الحضارات القديمة والمعاصرة لها... واصبحت العواصم والمدن الاسلامية محط أنظار علماء وفلاسفة وادباء ومفكري العالم.

وكان للحضارة الاسلامية الفضل الكبير في انتشال الاوربيين من واقعهم المأساوي وعصورهم المظلمة... اذ اعترف بهذا الفضل اغلب علماء ومفكري الغرب.

ولما كان الواقع الفكري والتراث، والحضارة، والشريعة، والاحكام الاسلامية ارفع واعلى مرتبة واسمى واعمق واغزر مما يقابلها

عـنـد الحضارات الاخرى لذا استمر ذلك الفرق بارزاً للعيان مدة اكثر من اثني عشر قرنا.

امـا الـعـقيدة الاسلامية، فهي الارضية الخصبة والاساس القويم الـذي ابتنيت عليه حضارة الاسلام، وعلى عتبتها تكسرت كل المؤامرات والدسائس المعادية له.

فـالـعـقـيـدة الاسـلامـيـة هـي الاصـول الثابتة والرئيسة للديانة المحـمـديـة التي لا تبديل فيها ولا تحوير ولا تغيير علما بأن اركان العقيدة او الاصول الاسلامية، اواصول الدين تتمثل في:

* الايمان والاعتقاد بالله جل وعلا خالق هذا الكون.
* الايمان والاعتقاد بعدالة هذا الخالق المدبر وعدالة صنعه وفعله.
* الايمان والاعتقاد بالنبوة المباركة.
* الايـمـان والاعـتـقـاد بإمامة الأئمة الاثنى عشر التي تبدأ بالامام علي (ع) وتـنـتـهـي بـالامـام المـهـدي الـغـائـب عجل الله فرجه «اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي اهل بيتي...».
* الايمان والاعتقاد بيوم الجزاء والحساب.

و يلحق بتلك الاسس وتلك الارضية القيم الاسلامية (الاخلاق) حيث يقول النبي محمد(ص): «انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق»..

و يـلـحـق بـالاصـول الاسـلامـيـة العبادات وهي سبل و وسائل الـتـنـاجـي والاتـصـال مع الله سـبـحـانه وتعالى... ومفاتيح الوصول الى العقيدة السمحاء.

كما يـلـحـق بـالاصـول الاسـلامـيـة الاحـكـام الخاصة بالقضاء والعقوبات الجزائية.

و يـلـحـق بها أيـضـاً طرق و وسـائـل مراعاة الأمور الاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

ان نظرة متفحصة في العقيدة الاسلامية توضح لنا متانة الاساس

القويم الذي بني عليه الاسلام... فاساس وبناء الاسلام اي العقيدة والاحكام والمعاملات تشكل ارضية ونظاماً متكاملا لدولة اسلامية مستقلة... وتلك المبادئ والاسس المتكاملة هي التي دفعت الغربيين لمحاربة الاسلام والمسلمين....

وبعد النهضة الاوربية واجتياز مرحلة التخلف والجهل والاستبداد، والتنافس على حركة الاكتشاف الجغرافية حيث تم اكتشاف الامريكتين واستراليا وطريق رأس الرجاء الصالح، ازدادت رغبة اوربا في السيطرة وحب النفوذ... وكان الدافع الاقتصادي المتمثل في المواد الاولية والزراعية والاسواق والايدي العاملة هو الدافع الاول للغزو والاحتلال.

وقد شجع على الاحتلال قوة السلاح الذي يملكه الاوربيون وتناحر الشرقيين واختلافهم وتأخرهم.

ولما كانت اشجانهم ما زالت تثيرها هزائم معركة اليرموك وحطين عليه كانت في نفوسهم رغبة جامحة لاخذ الثأر من المسلمين والانتقاص منهم ومن حضارتهم ودينهم.. ولما كانت اوربا في حاجة لمعرفة خفايا الامور، وصدق الظنون، ونقاط الضعف والقوة عند الشرقيين فقد أرسلت الآلاف من المستشرقين الى تلك المناطق والامم.

وبعد سنوات من البحث، والجهد، والتدقيق، والدراسة، رفع المستشرقون نتائج بحوثهم الى المؤسسات الاستعمارية والدول التي بعثتهم.

وقد جاءت بحوث المستشرقين كلها تلتقي حول نقطة مهمة الا وهي: ان الخطر الاساسي في الشرق يتمثل في الاسلام، والامة والحضارة والوحدة والعقيدة الاسلامية. فلا الديانة البوذية ولا الوثنية ولا المجوسية ولا الارثذوكسية تشكل خطرا على اوربا ومستقبلها.

وربطت تلك الدراسة مع نظرة الغرب للامبراطوريات التي كانت موجودة في ذلك الوقت (العثمانية والروسية والصينية) حيث قالت

تقارير المستشرقين والباحثين ان الامبراطورية الروسية الارثذوكسية، المخالفة للمذهب الكاثوليكي، والبروتستانتي، والامبراطورية الصينية الوثنية لا تشكلان خطرا بقدر ما تشكله الامبراطورية العثمانية الاسلامية فهي تذكرهم بهزائمهم وعقدهم في الحروب الصليبية، وتحرير القسطنطينية، ومحاصرة فينا، واقتطاع الاندلس والسيطرة على اكثر من ثلث مساحة القارة الاوربية.

بغض العقائد الغربية للشريعة الاسلامية

العقائد والقيم والنظريات والقيادات الغربية، منذ هبوط الوحي في الجزيرة العربية اخذت موقف العداء والبغض للرسالة.. الاسلامية وتلك النظرة العدائية تبلورت عندها اكثر فاكثر حتى تفجرت في ما سمي بالحروب الصليبية، التي اشتركت فيها اوربا من اقصاها الى اقصاها، وذهب ضحيتها مئات الآلاف من القتلى.

وبعد النهضة الاوربية التي اعقبت الثورة الصناعية والثورة الفرنسية عادت اوربا الى حقدها القديم ضد الاسلام وحاولت تسخير نهضتها الصناعية والفكرية في تحطيم الرسالة الاسلامية واتباعها...

ولما كانت الدولة العثمانية تحكم باسم الاسلام وتجمع بلداناً اسلامية مهمة تحت سيطرتها فقد اصبحت هي الهدف المزمع تحطيمه من قبل الغربيين.

وفي محاولة من الغرب للتعويض عما لحق به في الحروب الصليبية في ارض فلسطين نراه قد صمم على اقتطاع فلسطين عن البلدان الاسلامية والعربية فصدّر وعد بلفور.. وانشئت اسرائيل.

ومن مواقف الفرنسيين المعادية للمسلمين بعد استقلال الجزائر القى احد كبار المستشرقين محاضرة في مدريد كان عنوانها: لماذا كنا نحاول البقاء في الجزائر؟

اجاب على هذا السؤال بشرح مستفيض ملخصه:

«اننا لم نكن نسخر نصف مليون جندي من اجل نبيذ الجزائر او صحاريها او زيتونها. اننا كنا نعتبر انفسنا سور اوربا الذي يقف في وجه زحف اسلامي محتمل يقوم به الجزائريون واخوانهم من المسلمين عبر المتوسط، ليستعيدوا الاندلس التي فقدوها، وليدخلوا معنا في قلب فرنسا بمعركة بواتيه جديدة ينتصرون فيها، و يكتسحون اوربا الواهنة، و يكملون ما كانوا قد عزموا عليه اثناء حلم الامويين بتحويل المتوسط الى بحيرة اسلامية خالصة. من اجل ذلك كنّا نحارب في الجزائر».[19]

وقال غاردنر: «ان الحروب الصليبية لم تكن لانقاذ القدس، انها كانت لتدمير الاسلام»[20].

ونشيد جيوش الاستعمار كان يقول: «انا ذاهب لسحق الامة الملعونة لاحارب الديانة الاسلامية، ولامحو القرآن بكل قوتي»*.

في حين يقول المستشرق الفرنسي كيمون في كتابه: «باثولوجيا الاسلام»:

«ان الديانة المحمدية جذام تفشى بين الناس، واخذ يفتك بهم فتكا ذريعا، بل هو مرض مريع، وشلل عام وجنون ذهولي يبعث الانسان على الخمول والكسل، ولا يوقظه من الخمول والكسل الا ليدفعه الى سفك الدماء والادمان على معاقرة الخمور وارتكاب جميع القبائح، وما قبر محمد الا عمود كهربائي يبعث الجنون في رؤوس المسلمين فيأتون بمظاهر الصراع والذهول العقلي الى ما لانهاية و يعتادون على عادات تنقلب الى طباع اصيلة ككراهة لحم الخنزير والخمر والموسيقى... ان الاسلام كله

---

١٩ ــ قادة الغرب يقولون: دمروا الاسلام أبيدوا أهله/ جلال العالم/٥٦.

٢٠ ــ التبشير والاستعمار/ الخالدي وفروخ/١١٥.

* قادة الغرب يقولون... ص ٦٠

قائم على القسوة والفجور في اللذات».

و يتابع هذا المستشرق المجنون:

«اعتقد ان من الواجب ابادة خمس المسلمين، والحكم على الباقين بالاشغال الشاقة وتدمير الكعبة و وضع قبر محمد وجثته في متحف اللوفر».[21]

اما الحاكم الفرنسي في الجزائر فقال بمناسبة مرور مئة عام على احتلالها: «يجب ان نزيل القرآن العربي من وجودهم.. ونقتلع اللسان العربي من السنتهم، حتى ننتصر عليهم»[22].

كما قال مسيو «بيدو» وزير خارجة فرنسا عندما زاره بعض البرلمانيين الفرنسيين وطلبوا منه وضع حد للمعركة الدائرة في مراكش أجابهم.

«انها معركة بين الهلال والصليب»*.

ومن صور العداء الصليبي للاسلام: «خرج اعوان اسرائيل في باريس بمظاهرات قبل حرب ١٩٦٧م يحملون لافتات، سار تحت هذه اللافتات جان بول سارتر(!)، كتبوا على هذه اللافتات، وعلى جميع صناديق التبرعات لاسرائيل جملة واحدة من كلمتين، هما:

(قاتلوا المسلمين)

فالتهب الحماس الصليبي الغربي، وتبرع الفرنسيون بألف مليون فرنك خلال اربعة ايام فقط... كما طبعت اسرائيل بطاقات معادية كتب عليها (هزيمة الهلال).... بيعت بالملايين.. لتقوية الصهاينة الذين يواصلون رسالة الصليبية الاوربية في المنطقة،، وهي محاربة الاسلام

---

٢١ ــ قادة الغرب يقولون: دمروا الاسلام أبيدوا أهله/ جلال العالم/٦٠.

٢٢ ــ نفس المصدر السابق/٩٩.

* مأساة مراكش /روم رولاند/ ٣١٠

وتدمير المسلمين». [٢٣]

وما يخص تونس الاسلامية وعلاقتها مع باقي اجزاء العالم الاسلامي:

«فقد فرح غابرائيل هانوتو وزير خارجية فرنسا حينما انحل رباط تونس الشديد بالبلاد الاسلامية وتفلتت روابطه مع مكة، ومع ماضيه الاسلامي، حين فرض عليه الفرنسيون فصل السلطة الدينية عن السلطة السياسية». [٢٤]

ان سردنا لتلك الحقائق الهدف منه معرفة رأي فرنسا القديم والحالي بالاسلام الذي مازالت تحاربه بكل ما أوتيت من قوة وقدرة ونفوذ، وحربها الحالية ضد الجمهورية الاسلامية في ايران عن طريق المشاركة في الحصار الاقتصادي والامتناع عن اعطاء مليار دولار موجود في البنوك الفرنسية وايوائها لاعداء الثورة ومساعدتهم، وتحويل الاسلحة الحديثة للعراق من طائرات وصواريخ ومدفعية، والتأثير على الدول الاخرى لمساعدة العراق في حربه، اضافة الى المساندة السياسية والدبلوماسية وتصريحات ميتران ووزير خارجيته ضد ايران و لصالح العراق.

ومن اوجه العداء الفرنسي ضد الاسلام: «قال احد المسؤولين في وزارة الخارجية الفرنسية عام ١٩٥٢م: «ان الخطر الحقيقي الذي يهددنا تهديدا مباشرا عنيفا هو الخطر الاسلامي» ...و يتابع ذلك المسؤول: «فلنعط هذا العالم ما يشاء، ولنقو في نفسه عدم الرغبة في الانتاج الصناعي والفني، فاذا عجزنا عن تحقيق هذه الخطة وتحرر العملاق من عقدة عجزه الفني والصناعي، اصبح خطر العالم العربي وما

---

٢٣ ــ طريق المسلمين الى الثورة الصناعية/٢٠ــ٢١.

٢٤ ــ مذكرات هانوتو/٢١.

وراءه من الطاقات الاسلامية الضخمة، خطرا دائما ينتهي به الغرب و ينتهي معه دوره القيادي في العالم»[٢٥].

اي ان فرنسا و بريطانيا والدول الغربية الأخرى كانت و ما زالت لا تنفك عن اظهار حقدها على الاسلام، و هذا الاتجاه لايمثل رأي اوربا فقط بل ان العالم الاستكباري تتفق آراؤه في هذا المجال.

الحركة القومية
انجبت قادسية صدام

حرب الخليج أو حرب القادسية او الحرب العربية ـ الايرانية ليست سوى مسميات ظالمة مغالطة للواقع الذي منه انطلقت وشرعت شرارة الحرب.

فالحرب بدأها النظام العراقي الكافر، وأيدها الغرب والشرق، وخططت لها أمريكا حيث احتلت بها اجزاءً من ايران وشردت ملايين من المسلمين الايرانيين، عليه فان اسمها الحقيقي هو: (غزو عملاء امريكا لايران)، اما ما يقال عن حرب عربية ـ ايرانية او نزاعات حدود فهي ليست الا عملية ذر للرماد في العيون.

ان فهم الغزو البعثي الكافر وفك التباساته غير مرتبط بالحرب، فحسب، بل مرتبط بالاستراتيجية الامريكية التي وضعت بعد الحرب العالمية الثانية تجاه العالم الثالث عموما وذو علاقة وثيقة بالاستراتيجية الغربية تجاه الاسلام.

ففهم واقعة او حدث او التباس يتمثل في انقلاب او غزو، أو تآمر لايأتي من دراسة الافعال التكتيكية أو السياسية الوقتية، بل يأتي

---

٢٥ ـ قادة الغرب يقولون: دمروا الاسلام أبيدوا أهله/ جلال العالم/٥٤.

من الدراسة التاريخية لواقع المسألة واستراتيجيات الحادث ونتائجه وأسبابه.

فمثلا لايمكن لنا فهم مقتل (سلفادورالندي) من خلال اضراب سواق الشاحنات في شيلي فقط.. ولا يمكن فهم حرب ١٩٦٧م من خلال وجود حشد عسكري عربي فقط.. ولا يمكن فهم احتلال لبنان من خلال وجود قواعد فلسطينية فقط.. لان مثل هذه الدراسة تكون قاصرة وملفقة وتشبه كثيرا دراسة حياة عميل للمافيا عن سبب جريمته وأحوالها، بعيدا عن عضويته في المافيا، وعن اهداف الاخيرة وأغراضها وقيادتها.

لذا فان فهم الغزو الصدامي البعثي لايران لايتكامل بدراسة واقع وملابسات الحرب بمعزل عن الاستراتيجيات الدولية، وعن خطر الاسلام على الغرب.

ففي العالم استراتيجيتان استكباريتان تكاملتا بعد الحرب العالمية الثانية تحكمان العالم وتتقاسمانه، واي غزو او تآمر او انقلاب في مصلحة احدى القوى الكبرى يدفع الثانية الى تعويضه.

ولما كانت امريكا هي الشيطان الاكبر كما وصفها الامام الخميني قائد الثورة الاسلامية، لذا فان مصدر الاحداث يعود اليها، وهذه المسألة لا تنزه الاتحاد السوفياتي بل تلقي بالعبء الاكبر على عاتق امريكا، كما ان فرنسا والمانيا وبريطانيا ليست من القوى الخيرة، بل هي ايضا من ضمن الاستكبار العالمي، ولكن قوة الولايات المتحدة حتمت عليها أن تسير تحت لوائها وباشاراتها.

فبعد الحرب العالمية الثانية ارتفع نجم الولايات المتحدة وعلا شأنها في السياسة الدولية خاصة بعد الدمار الذي لاقته روسيا وفرنسا وبريطانيا والمانيا واليابان من جراء الحرب، وأصبحت هي ربان السفينة الطاغوتية الامبريالية.

ووضعت امريكا استراتيجيتها بعد الحرب العالمية الثانية على اثر

تثبيت مبدأ (ترومان) ومبدأ (ايزنهاور) تلك المبادىء المستندة الى حق التدخل في اي بقعة من بقع الارض، مهددة بتدخل قوة خارجية ــ شيوعية ــ او داخلية ــ تحررية ــ ترمي الى الاستقلال في الشؤون الخارجية والاقتصادية.

(جورج بول) الذي بقي سنوات وكيلا لوزارة الخارجية الامريكية في عهدي كنيدي وجونسون يلخص سياسة امريكا في الحرب الباردة في كتابه «نظام القوة» عام ١٩٦٨م بقوله: ان سياستنا في الحرب الباردة يمكن ان تلخص بانها:

١ــ اصرار على الخطوط المثبتة قبل عام ١٩٥٠م والتي تحدد الحدود الخارجية للقوة الشيوعية.

٢ــ الاعتراف المبطن بان الاراضي الواقعة ضمن الحدود هي منطقة نفوذ شيوعية لانتدخل فيها ولو لجأ الشيوعيون الى اخضاع تلك المنطقة بأساليب قمعية قاسية (كماحصل في المانيا الديمقراطية عام ١٩٥٣م وهنغاريا و بولندا عام ١٩٥٦م).

٣ــ الاصرار على ان كل ما هو خارج هذه الحدود هو منطقة نفوذ غير شيوعية أو منطقة نفوذ (للعالم الحر) تحميها الولايات المتحدة(!!) وبمساعدة اي حليف يمكن ان تجنده، ضد اي تغلغل شيوعي سواء بالقوة او بالتآمر الداخلي (كما حصل في كوريا عام ١٩٥٠م، وجزر فرموزاعام ١٩٥٥م، ولبنان والاردن عام ١٩٥٨م، والدومنيكان عام ١٩٦٥م، وايران عام ١٩٨٠م.

وقد كشفت تحقيقات الكونجرس الامريكي بعد فضائح (ووترغيت) الكثير من الاسرار، عن دور المخابرات الامريكية في انقلابات اندونيسيا، وغانا، وشيلي، ودول امريكا الوسطى والجنوبية، واليونان، وقبرص، وايران، والبلاد العربية، وكمبوديا، وتايلند، والكونغو، و بقية البلدان

لذا فان الأدلة التي تدلنا على طاغوتية وامبريالية الولايات المتحدة توضح لنامدى سفاهة وتفاهة الانظمة العربية التي تجري وراء امريكا لتوسطها في مسألة فلسطين (كما في مشروع كامب ديفيد، وفهد و جولات فيليب حبيب ومشروع ريغان).

ذلك ان الصهيونية واسرائيل ليستا سوى اصابع للامبريالية الاحتكارية الامريكية فكيف بوساطة القيادة الاستعمارية (امريكا) حول اعتداءات احد عملائها (اسرائيل).

وهذا السبب هو الذي دفع الثورة الاسلامية في ايران بعد غزو صدام لها الى معاداة الولايات المتحدة اكثر وليس توسيطها واسترحامها لايقاف الحرب كما تفعل الرجعية العربية مع اسرائيل.

وكان الامام الخميني رائعا يوم وصف العدوان البعثي قائلا: «هذه يد امريكا التي خرجت علينامن أكمام صدام».

يقول السناتور وليم فولبرايت ــ رئيس لجنة الشؤون الخارجية في مجلس الشيوخ الى عهد قريب ــ في كتابه (غطرسة القوة): «هناك امريكتان امريكا لنكولن، وادلاي ستفنسون وامريكا تيدي روز فلت و المتعصبين المحدثين. والتيار السائد الان هو في اتجاه سياسة امريكية خارجية اكثر صرامة وعدوانية اي في اتجاه سياسة اقرب الى روح روز فلت منها الى لنكولن»*.

اذن فان امريكا من خلال حديث السناتور فولبرايت متحالفة مع العدوان والاحتكار (الامبريالية) والتسلط ولا يمكن لنا باي حال من الاحوال ان نلتحق بها ونصبح اذنابها فلا اسلامنا يسمح بذلك ولا شعبنا يرضى بذلك، ولا استقلالنا يدفعنا الى مثل هذا.

و بهذا يتوضح دور الملتحقين بركب امريكا والمتعلقين بأذيالها

---

* فلسفة الحركة القومية العربية/ التحدي الاستعماري/ منيف الرزاز/ ٨٩.

من أمثال حكام العراق وقيادة حزب البعث ككل وحكام السعودية وشيوخ الخليج وحكام المغرب، وتونس، والسودان وغيرها من الانظمة الداعية للقومية.

اما دور امريكا في اشعال الحروب و تحريك الاضطرابات والمؤامرات فالاسطر القادمة توضح ذلك:

بعد سير أمريكا في طريق الامبريالية (الاحتكار) استطاعت و بقفزات طويلة وسريعة ان تتربع على مركز قيادة الاحتكار والاستغلال في العالم. مسيطرة على المجالات السياسية والاقتصادية (أسواق، مواد اولية، تجارة، بنوك) والعسكرية والاستراتيجية وغيرها.

وقد ظهرت سيادة الأمر والنهي الأمريكية في حرب عام ١٩٦٥؛ إذ أجبرت امريكا كُلاً من فرنسا و بريطانيا على ايقاف حربها ضد مصر، وارادت بذلك ان تثبت لها ولروسيا وللعالم أجمع أن لاحرب تشن ولاسلام يدوم ولا صلح يعقدون موافقة الولايات المتحدة الامريكية.

فأمريكا بقيادتها وتمويلها للحرب العالمية الثانية ومشروع مارشال، وحلف الأطلسي، وهيئة الامم المتحدة و باعلانها لمبدأ ايزنهاور العدواني أرادت السيطرة على العالم. لهذا فقد أعلنت تصدرها لقيادة الحرب الباردة ضد الشيوعية وانهاءها لمبدأ الاستعمار القديم الذي كانت تقوده فرنسا و بريطانيا والمانيا، عليه فقد شهد العالم الثالث بعد الحرب العالمية الثانية ــ اي بعد قيادة الولايات المتحدة للعالم ــ انسحاب الجيوش البريطانية والفرنسية واليابانية والسماح بـ(الاستقلال الرمزي) لدول كثيرة وتكوين حكومات فيها وانضمامها للامم المتحدة.

فامريكا المقترحة لمبدأ ايزنهاور ما أعطت الاستقلال لدول العالم الثالث والعالم الاسلامي الا لتدخلها في مرحلة جديدة من الاستعمار ــ اصبحت فيها تلك الشعوب تترحم على الاستعمار القديم ــ.

وهكذا نحن نسير مع الاسطر كلمة كلمة طلبا للتوصل الى كيفية وقوع الغزو العراقي لايران، الذي لم يختلف في اخراجه عن بقية المؤامرات الامريكية التي حدثت في العالم... ولمعرفة الطريق الذي تخطوه الحركة القومية... ونتيجة هذا الاتجاه غير الاصيل.

المهم ان امريكا بعد اعلانها عن دورها الجديد في العالم كشفت عن صفحة جديدة في التاريخ تسمى بالاستعمار الحديث بدأته بمكافحتها للشيوعية ـ لمنافستها لها ـ وتدخلها في لبنان، والدومنيكان، وأندونيسيا، وفيتنام، ولاوس، وكمبوديا، وتايلند، وأنغولا، و شيلي.

ودفعها اصرارها المقيت على السيروفق مبدأ ايزنهاور الى انفاق مئة وخمسين الف مليون دولار، وتقديم خمسة وار بعين الف قتيل وأكثر من مئة ألف جريح ومعوق في فيتنام.

وتسببت المؤامرات والحروب المستمرة ضد شعوب العالم الى كشف القناع عن وجه الامبريالية الامريكية في العالم، وتصميم شعوب العالم الثالث والاسلامي خاصة على طلب الاستقلال.

ولم يكن ليدفع سيدة الاحتكار والاستغلال والحرب الى تغيير استراتيجيتها خاصة و انها لم تتلق حتى الآن الضربة القاضية التي تجبرها على تغيير خطها الاستراتيجي. فحرب فيتنام أحرقت اصبعا من اصابعها، واستقلال كوبا هدد جزءاً من جسدها الهائل الضخم في الوقت الذي أدّت سياستها ودسائسها الى تحويل الصين عن صف روسيا والحاق مصر والصومال بها وتثبيت اسرائيل في مواقعها.

ان الضربة القوية التي يمكن ان توجع الولايات المتحدة لا تتمثل في حركة او تغيير من اليمين الى اليسار كما حصل في اثيوبيا، وعدن ونيكاراغوا، فهذه جزء من لعبة الشطرنج الجارية بين العملاقين، بل تتمثل في ثورة اسلامية لاشرقية ولا غربية تهدف الى وحدة اسلامية في ظل التعاليم القرآنية والشرائع الالهيّة، وثورة شعبية عالمية.

وعن اصرار الولايات المتحدة على سلوك المسلك الامبريالي فان هزائمها المرة في فيتنام ومعارضة الشعب الامريكي للتدخل والغزو، ونهضة العالم، وتأييد شعوبه لثورة فيتنام كل هذه الاسباب دفعت امريكا الى تغيير تكتيكها الامبريالي من غزو مباشر الى غزو وتدخل وتآمر غير مباشر.

وبينت امريكا تكتيكها الجديد في مبدأ نيكسون الذي صدر عام ١٩٦٩م اذ يقول هذا المبدأ الانهزامي: ان امريكا هي أساسا قوة باسفيكية وان مصالحها في قارة آسيا ليست حاسمة من الناحية الاستراتيجية ـــ لاحظ تعابير الهزيمة ـــ وان تركيز الدبلوماسية الامريكية في اسيا سيتحول من الادوات العسكرية الى التأثير بالادوات الاقتصادية وجعل الدول الآسيوية اكثر اعتمادا على نفسها في حل مشاكلها بدلاً من الاعتماد على الدور المباشر للولايات المتحدة.... !!!»*

فمبدأ نيكسون يماشي ذكاء الولايات المتحدة الاستعماري الذي دفعها الى الاستعمار الحديث ـــ الذي لايكلف جيوشاً ولا مصاريف ـــ.
فهذا المبدأ لايعدو عن كونه جزءاً من المبدأ القديم الذي ينادي بعدم التدخل المباشر، والقاء تبعية الامور على القوى العميلة الحاكمة او المتسترة في بلدان العالم الثالث والغربي، والاستخدام الحسن لجهاز المخابرات الذي يمكنه من اثارة الاضطرابات والانقسامات.

اما في حالة حصول ثورة فكيف تعالجها امريكا: يقول السناتور فولبرايت: «اننا على الرغم من تعاطفنا مع الذين ينادون بالقضاء على الفقر والظلم الاجتماعي وعلى رغم العون والدعم المادي الذي نقدمه للكثير من الدول الفقيرة في العالم، فان تعاطفنا هذا سرعان ما يستحيل

---

* مذكرات الرئيس نيكسون (الحرب الحقيقية) ترجمة د. سهيل زكار/ ١٩٨٣/ ص ٢٧٩.

الى خصومة حين يتخذ الاصلاح شكل ثورة»*.. (عجيب امرهم).

اي ان امريكا سوف تحارب اي ثورة في العالم تهدف الى الاستقلال. اما عن كيفية المواجهة فيما اذا كانت الثورة مستقلة واسلامية وعدوة لدودة لامريكا كثورة ايران فإن امريكا بينت ذلك.

فبعد انتصار الثورة الاسلامية في ايران اعلنت امريكا النفير العام لقواها المختلفة معلنة الحرب على هذه الثورة ولكن ضمن المبادئ الامبريالية المتخذة من قبل نيكسون، فأمريكا لم تكن تريد حصول نكسة جديدة مشابهة لنكستها في فيتنام وتود التطبيق الجيد لمبدأ نيكسون في التدخل والتآمر والغزو، خاصة و انها كانت تتخوف من اثارة المسلمين في عموم العالم.

وفي هذا السياق التآمري اثارت الاستخبارات المركزية الامريكية و بالتعاون مع الحكومات المجاورة العميلة مثل (حكومة العراق، والسعودية) الاضطرابات في كردستان و خوزستان ايران، حيث وصلت عشرات الآلاف من قطع السلاح الى المنطقة هدية من حكومة صدام. وامتنعت حكومات العالم الغربية والشرقية والعميلة عن شراء النفط الايراني ــ هذه النقاط كلها جزء من مبدأ نيكسون ــ الذي وصلت مبيعاته الى نصف مليون برميل فقط. واغرقت السعودية و بأمر من واشنطن السوق العالمي بالنفط الزهيد الثمن.

والدول الغربية واليابان والفليبين واستراليا ودولٌ اخرى شاركت في الحصار الاقتصادي ضد الجمهورية الفتية ــ شمل الحصار المواد الغذائية والتكنولوجية والاحتياطية والعسكرية والاولية و بقية المواد حتى الطبية منها (لاحظ مواجهة الامبريالية للاسلام) واعلنت الدول الطاغوتية ومعظم الحكومات الذيلية الحرب الاعلامية لتشويه الثورة

---

* فلسفة الحركة القومية العربية/ التحدي الاستعماري/ منيف الرزاز/ ٨٣

الاسلامية في ايران.

ولإحكام الحصار ايضا عملت امريكا الانقلاب العسكري في تركيا. ومن الجهة الاخرى احتل الاتحاد السوفيتي افغانستان وهكذا حوصرت ايران من كل الجهات.

ولم يكتف الحقد الاستعماري الامريكي بهذا بل موَّل أطرافاً عديدة داخل ايران لقلب نظام الحكم الاسلامي واعطيت الاشارة لعملاء (السي. آي. اي) من عسكريين ومدنيين داخل النظام الاسلامي وخارجه لاحداث انقلاب عسكري تمثل في مؤامرة قاعدة (نوجه) الجوية الفاشلة.

كما تدخلت امريكا بواسطة قواتها العسكرية في عملية (طبس) التي حطم الله سبحانه وتعالى طائراتها وافشلها.

ليس هذا فحسب بل حرَّكت امريكا ايضا المنظمات والاحزاب اليمينية واليسارية والشخصيات الشاهنشاهية ضد الحكومة الاسلامية.

فأمريكا في اعمالها ضد ايران لم تبق سلاحا ولا جهازا ولا عميلا الا واستخدمته... وهذه هي المرة الاولى التي تستنفر فيها امريكا كل ذلك الحشد الهائل من القوى العالمية منذ الحرب العالمية الثانية.

ورغم كل ذلك وجدت واشنطن انها لم تحقق شيئا من اغراضها ــ يقول كارتر: «لقد فكرنا باستخدام كل الاسلحة ضد ايران حتى النووية منها»* وهذا ما دفعها لتحريك عملائها في العراق لشن حملة عسكرية ضد ايران لاسقاط النظام الاسلامي.

ولما كان الرئيس العراقي السابق احمد حسن البكر عميلا ضعيفا

---

* (٤٤٤) خاطرات كارتر رئيس الجمهورية الامريكلية/ أحمد باقري/ الترجمة الفارسية. ص٢٩.

فقد عمدت امريكا الى تغييره بعميلها القوي صدام.

وهكذا اصاب التغيير في السلطة بعد الثورة الاسلامية في ايران ثلاث دول مجاورة لها هي افغانستان وتركيا والعراق... اذ وصل الى حكم هذه البلدان على التوالي كارمل وكنعان ايفرين، وصدام.

بعد وصول صدام الى الحكم كانت المهمة الاولى له هي اسقاط الثورة الاسلامية في ايران عن طريق مد العناصر المناوئة ـ حيث استقبل العراق بختيار والجنرال او يسي والجنرال باليز بان وجهز عملاءهم في خوزستان وكردستان بالسلاح والمال والقواعد ـ وكانت الثانية شنّ حملة عسكرية غادرة على امتداد الحدود الايرانية من الشمال الى الجنوب.

وقد وضعت امريكا تحت تصرف العراق كل المعلومات العسكرية والاقتصادية وغيرها، وزار ضباط الشاه الكبار العراق برفقة رجال السافاك الشاهنشاهي... فتحالف الاتجاه القومي الفارسي مع الاتجاه القومي العربي ضد الاسلام.

وحركت امريكا ايضاً عملاءها الآخرين من امثال السعودية فأعطت ـ بالمشاركة مع دول الخليج الأخرى ـ مامجموعه خمسة وأربعين مليار دولار.

ليس هذا فحسب بل حركت امريكا عملاءها الغربيين حيث تعهدت بريطانيا باعطاء خبرائها وامكانياتها لحفظ النظام العراقي واعلنت فرنسا عن استعدادها لمد العراق بالمساندة السياسية ـ تصريحات وزير الخارجية الفرنسية وميتران اوضحت ذلك اذ قال ميتران: «بأننا نسند نظام العراق لحفظ استراتيجية المنطقة» حيث وصلت العراق حتى الان اكثر من ستين طائرة ميراج، ومئات الصواريخ اضافة الى الخبرة العسكرية الميدانية وطائرات السوبر اتندارد.

ولم تبق امريكا احداً من عملائها بعيدا عن حرب صدام والتي اسمتها (حرب القادسية) اذ اشترك الجميع بلا استثناء... وشمل الامر

السادات المقبور الذي مد العراق بالسلاح والعتاد ولما انتهت مخازنه من سلاحه الروسي اجبرته امريكا على اعطاء سلاحه وعتاده الاستراتيجي ـ عسى ان يعرف المسلمون مدى خوف امريكا من الاسلام ـ.

ومن ضمن احتياطيات امريكا الاستراتيجية كان الملك حسين الذي ابعدته واشنطن عن كامب ديفيد خوفا على نظامه المهزوز، وللساعة المؤاتية.. حتى هذا الهزيل استخدمته واشنطن في قادسيتها وكان له دور في عقود اتفاقيات السلاح الغربي للعراق وعقود المليارات المالية من الخليج وصفقة السلاح والصلح بين السادات وصدام وصفقات اخرى.

في حرب امريكا ضد فيتنام استخدمت امريكا كل انواع السلاح ووصل بها الامر الى استخدام الغازات السامة والمواد الكيمياوية المحرمة دولياً ودفعها حقدها للقضاء على المزروعات والغابات الفيتنامية الى جانب المزارعين والمواطنين الفيتناميين، فقتلت من الشعب ١/٦٠٠/٠٠٠ مليون فيتنامي بواسطة الاسلحة الكيمياوية والجرثومية والقت ٩/٦٠٠ طن من الغاز السائل لإتلاف المزارع.

وهكذا هي في ايران اذ استخدمت كل اعوانها ورجالها ومؤسساتها وقد توضح حقدها في اطلاق صواريخ ١٢ متر، و ٩ أمتار ضد مدن دزفول، واهواز، حيث اطلقت السلطات البعثية عشرات من تلك الصواريخ مؤدية الى مصرع المئات من المواطنين الأبرياء ودفن عشرات العوائل تحت الانقاض.

كما اطلقت العساكر البعثية الكافرة الآلاف من قذائف المدفعية على المدن الامنة (خرمشهر وعبادان واهواز ودزفول) والتي تعد من المدن الكبيرة في ايران.

كما استخدمت الاسلحة الكيمياوية والغازات السامة وكل ما في جعبتها من الآت حربية فتاكة.

الخلاصة: ان امريكا تريد حرق كل اوراقها في لعبة القادسية، فاما النصر واما (الهزيمة) خاصة و انها تدرك مسبقا ان لاشيء لها من وراء انتصار الثورة الاسلامية سوى الهزيمة والخذلان للغرب.

فمثلا فيما يخص الملك حسيناً تدرك امريكا ان هذا سوف لايتمكن من البقاء في الحكم اسبوعا واحدا الى جانب حكم اسلامي في العراق.

يقول السيد محسن رضائي القائد العام لحرس الثورة الاسلامية: «لقد عثرنا في السفارة الامريكية المحتلة من قبل الطلبة السائرين على نهج الامام الخميني على وثائق تثبت تحريك امريكا لصدام لشن حربه الغادرة ضد ايران، وتكشف تلك الوثائق المعلومات العسكرية الخطيرة والسرية حول الجيش الايراني التي زودت بها امريكا العراق، وتفصح عن مدى اهمية جنرالات الشاه العسكريين في مساعدة العراق».

خلاصة الفكرة، ان القومية العنصرية لايمكن لها مواجهة الاسلام العادل. ففي القادسية الاولى فشلت جحافل الفرس (الاكاسرة) في مواجهة المسلمين، وفي (قادسية صدام) نرى اليوم كيف تتقهقر قوات البعث الشوفينية امام القوات الاسلامية...

والخلاصة إنَّ القومية العنصرية كانت ومازالت عدوة للاسلام ومؤيدة للغرب فهي مع الغرب في تقسيم البلاد الاسلامية والعربية، واقتطاع فلسطين، وضم الجولان، واحتلال لبنان من قبل الصهيونية، ومع الاستكبار العالمي ضد الثورة الاسلامية في ايران والحركة الاسلامية في كل مكان.

الفهرست

منظمة الاعلام الاسلامي
معاونية الرئاسة للعلاقات الدولية
طهران- ص.ب- ١٤١٥٥/١٣١٣
الجمهورية الاسلامية في ايران

السعر : ٢٧٠ ريال